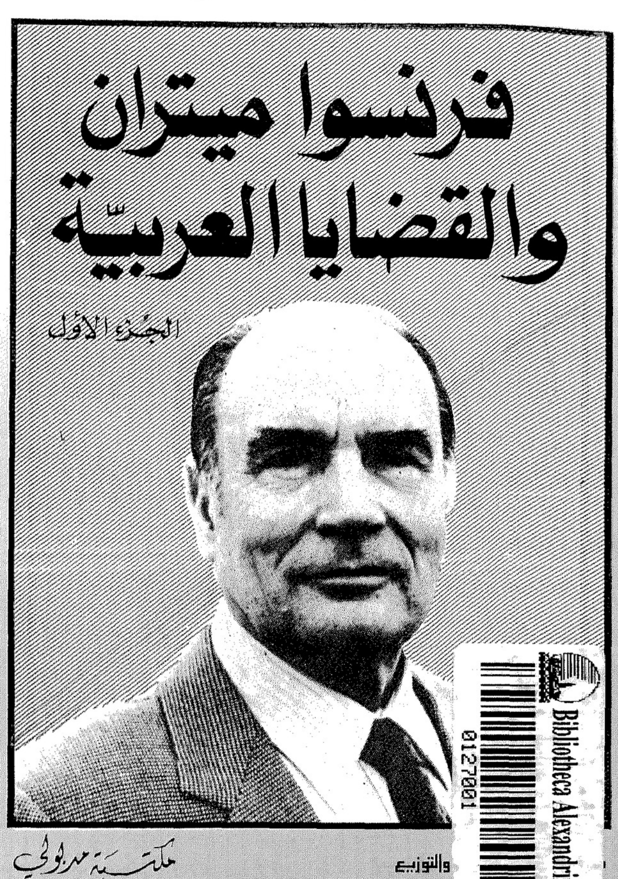
الدكتور جورج فرشخ

فرنسوا ميتران والقضايا العربية

الجزء الأول



مكتبة مدبولي
القاهرة

والتوزيع

فرنسوا ميتران
والقضايا العربيّة

الدكتور جورج فرشخ

فرنسوا ميتران والقضايا العربيّة

الجزء الأول

دار آزال
بيروت

مكتبة مدبولي
القاهرة

الطبعة الثانية

١٩٨٥

دار آزال
للطباعة والنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة ـ مركز بيروت التجاري
هاتف : ٣٠٠١٧٦ ـ ٣١٨٨٥٦
ص . ب : ١٤/٦٢٩١
بيروت ـ لبنان

مكتبة مدبولي
القاهرة
٦ ميدان طلعت حرب

الإهداء :

هل هو متطرف
ذاك الذي يريد وطناً ؟

فرنسوا ميتران
(هنا والآن)

الى سلمى

وإلى هكتور الدويهي

المقدّمة

يصدر هذا الكتاب بعد انقضاء ثمانية اشهر على انتخاب فرنسوا ميتران رئيساً للجمهورية الفرنسية. وهي بالتأكيد مدة قصيرة وغير كافية للتكهن بالسياسة العربية التي سينتهجها الرئيس الفرنسي الجديد. واذا كانت الغاية النهائية ـ المعلنة على الاقل ـ لكل حاكم هي احقاق الحق وسيادة العدل وتوطيد السلام (ناهيك عن السعادة والرفاهية وتحقيق الذات)، فإن الاسلوب الذي يعتمده الحاكم والوسائل التي يلجأ اليها لتحقيق هذه الاهداف، هي التي تخضع للنقاش والتحليل والاختلاف. والاشهر الثمانية الاولى من الولاية تعطينا فكرة عن اسلوب فرنسوا ميتران في التصدي لقضايا الشرق الاوسط، وعن الوسائل التي سيُوظفها في محاولات منه للمساهمة في ايجاد حلول لهذه القضايا. وهو اسلوب يتميز بالصراحة وبمخاطبة جميع الفرقاء بلغة واحدة، كما قال في أول مؤتمر صحافي له كرئيس للجمهورية.

ولا تَخفى تعقيدات قضايا الشرق الاوسط على فرنسوا ميتران. فهو مقتنع ان بعضاً منها ليست له حلول[١]. ويعلن ان له مواقف نهائية لا تقبل الجدل والنقاش من بعضها الآخر. ويدعو الى الخيال والحوار والبحث من أجل التوصل إلى حل ما

١ـ راجع موضوع « الشرق الاوسط بما فيه ايران» في الفصل المخصص لفرنسوا ميتران والعالم العربي.

تبقى منها. ولا نعتقد اننا نغالي في قولنا ان فرنسوا ميتران نفسه لا يعرف اليوم الى أين سيؤدي به مشواره العربي الطويل، المحفوف بالمخاطر والمزروع بالألغام. لكننا نعرف من أين يبدأ. وكيف يعمل. وأية ارادة تحركه من أجل الشرق الاوسط. ولا يكفي أن يصرخ هنري هاجدنبرغ[٢] بأعلى صوته بأنه كان وراء اسقاط جيسكار ديستان، ولا أن يلتقي مناحيم بيغن وشيمون بيريز على اعلان فرحة اسرائيل بفوز ميتران، كي تغيب عن ناظرنا تلك الارادة. وسيفاجأ القارىء بهذه الارادة وهو يكتشف ما جمعناه من تصريحات ومواقف أدلى بها واتخذها فرنسوا ميتران منذ عام ١٩٦٥ وحتى العاشر من أيار/مايو ١٩٨١، في الفصل المخصص للقضايا العربية.

* * *

يهمنا كثيراً أن نعرف لماذا فاز ميتران وحزبه الاشتراكي، وما هي أسباب خسارة جيسكار ديستان وأحزاب اليمين. ففي فوز الاول وفي هزيمة الثاني دروس وعبر سياسية وانسانية وأخلاقية تستحق كثيراً أن نتوقف عندها. لكن ليس هذا غرض الكتاب، وبالتالي سنترك تحليل أسباب الفوز والفشل للآخرين، ونكتفي باعلان رفضنا، جملةً وتفصيلاً، للتحليل المتسرع الذي طلع به بعضهم، والذي اراد أن يصور سقوط جيسكار ديستان على انه سقوط للعرب وللسياسة العربية في فرنسا (اذا وجدت)، ونجاح ميتران نجاح للسياسة الاسرائيلية في فرنسا. فمثل هذا التحليل لا يمت إلى الواقع بصلة، ولا يتَّسم بالدقة العلمية ولا بالتفكير المعمق. والقبول به يعني الأخذ بالدعاية الصهيونية الرامية إلى

٢ـ هنري هاجدنبرغ هو رئيس جمعية «التجديد اليهودي»، ومنظم مهرجانات «١٢ ساعة من أجل اسرائيل» وصاحب شعار «الاقتراع الجزائي» ضد جيسكار ديستان.

اقناع الفرنسيين أولاً، وكل من يريد أن يقتنع من الآخرين، بأن اليهود في فرنسا تحولوا إلى مجموعة ضغط (لوبي) فاعلة ومؤثرة في مجرى الاحداث، على غرار «اللوبي اليهودي» في الولايات المتحدة. وهذا ليس بصحيح. لقد ساهمت «مراكز القوى» اليهودية في فرنسا في فوز ميتران، لكن أهمية هذه المساهمة لا تتعدى بكثير أهمية المساهمة العربية في محاولة ترجيح كفة جيسكار ديستان.

الغرض من هذا الكتاب هو تقديم الرئيس الفرنسي الجديد للقارىء العربي وتعريف هذا القارىء على كبار معاوني ميتران، اولئك الذين «يفكرون» له، ويقدمون له التقارير والتحاليل، ويهمسون في أذنه، فيصغي اليهم ويأخذ بالكثير من آرائهم ومن نصائحهم.

والغرض منه أيضاً القيام بجولة استطلاعية في داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي، وهو الجهاز الذي أوصل ميتران إلى كرسي الرئاسة، والذي سيعمل الرئيس من خلاله على تحقيق سياسته وتنفيذ برنامجه، لا سيا بعد أن انتزع هذا الحزب الاكثرية المطلقة داخل الجمعية الوطنية.

لقد اتيحت لنا الفرصة، كصحافي عربي مقيم في باريس، أن نتابع الحياة السياسية في فرنسا عن قرب. وقد لمسنا منذ اللحظة الاولى التي تلت اعلان فوز ميتران، مدى جهل العرب لشخصية الرئيس الجديد ولمواقفه على حقيقتها وليس كما صوّرتها أو تصورها أجهزة الدعاية الاسرائيلية، ولمسنا الافكار المسبقة والخاطئة التي تكونت عند العرب عن معاوني ميتران، وعن الحزب الاشتراكي الذي أعاد ميتران احياءه منذ ١٠ سنوات.

ولذلك قررنا أن نضع هذا الكتاب، وأن نجمع فيه أكبر قدر ممكن من الوقائع والمعلومات حول فرنسوا ميتران وكبار معاونيه

والحزب الذي أوصله إلى الحكم. ولم نتوخَّ التحليل والتفسير، تاركين للقارىء أن يكوّن الرأي الذي يريد. انما حرصنا على استقاء هذه الوقائع والمعلومات من مصادر درجت العادة على الثقة بها. وقد أشرنا إلى هذه المصادر في كل مرة. كما اننا لم نتردد في ذكر أكثر من رواية ومن مصدر عندما تكون الواقعة التي نشير اليها موضع التشكيك. لكننا لم نتوقف كثيراً عند الشائعات المغرضة التي تكثر في مثل هذه المناسبات، خصوصا عندما يكون من السهل التثبت من مدى صحتها أو كذبها. فواقعة ميدالية «الفرنسيسك»[٣]. مثلاً، لم نُعرها اهتماماً كبيراً لأنه ثبت بما لا يقبل الشك ان فرنسوا ميتران لم يحصل على هذه الميدالية الا بناءً على أمر من المقاومة الفرنسية ذاتها، وذلك تغطية للدور الذي كان يقوم به سراً في خدمة المقاومة. ومن غريب المفارقات انه في الوقت الذي كان يصدر فيه قرار منحه الميدالية، كان ميتران يتوجه إلى الجزائر عن طريق لندن لمقابلة ديغول. وتكفي هنا شهادة الجنرال ديغول نفسه الذي استقبل فرنسوا ميتران شخصياً عندما وصل إلى الجزائر، ثم عاد فأثنى على دوره في المقاومة في مذكراته[٤]. وكذلك الامر، فقد أهملنا الأقوال المغرضة التي شككت باصابته بجرح أثناء الحرب، وتغافلنا عن علامات الاستفهام التي رُسمت حول طريقة فراره من المعتقلات الالمانية اثناء الحرب. لكننا، بالمقابل، لم نحاول أن نخفي دوره في حرب الجزائر، ولم ننس أن حكومة الحزب الاشتراكي برئاسة غي موليه، هي التي شنت حرب السويس وكان ميتران وزيراً في تلك الحكومة...

٣- الفرنسيسك هي فأس قبائل الفرنكة اجداد الفرنسيين. وقد اتخذها المارشال بيتان رمزاً للوسام الذي انشأه والذي اراد به استبدال وسام جوقة الشرف.

٤- راجع سيرة حياة فرنسوا ميتران.

كما حرصنا على نقل كل التصريحات التي عالج فيها ميتران قضايا الشرق الاوسط والتي عثرنا عليها. وهكذا يتمكن القارىء أن يتابع مسيرة الرئيس الفرنسي الاسرائيلية أولاً والعربية ثانياً.

وسيلاحظ التطور الكبير في مواقفه. وإذا أخذنا مثلاً، الشعب الفلسطيني فإننا لجد أن قضية هذا الشعب، كانت بنظر ميتران في الستينات، مجرد مسألة لاجئين وتعويض عليهم وتوطينهم في بلدان الاستقبال، ولكنها تطورت لتصبح في السبعينات قضية شعب سُلخ من أرضه، له حقوق قومية مشروعة، وبات يرى اليوم، في الثمانينات، انه لا يمكن التوصل إلى سلام دون أن يتمكن هذا الشعب من إقامة وطن، له شكل الدولة الذي يريد.

* * *

سرعان ما سيدرك القاريء اننا من الذين يتعاطفون مع فرنسوا ميتران ومع الكثير من أفكاره، واننا من الذين يراهنون على مواقفه العربية مستقبلاً. وهذا أيضاً سبب من الاسباب التي دفعتنا إلى وضع هذا الكتاب. ولكن لا يعني ذلك على الاطلاق ان هذا التعاطف يعمينا عن الحقيقة. بالعكس. فنحن نعتقد اننا نخدم قضيتنا أولاً، عندما نقدم الحقيقة، كما هي، لا كما تصورها وسائل الدعاية ولا كما نتمناها نحن. فالحقيقة وان كانت «ثورية» فإنها لا تجرح. انها تنير وتفتح الطريق امام العمل السليم. فنحن من الذين يعرفون تمام المعرفة ان فرنسوا ميتران صديق لاسرائيل. ولكننا نعرف أيضاً انه **«لا توجد صداقة دائمة، ولا يوجد عداء دائم، انما هناك مصالح دائمة»**. وفرنسوا ميتران يفاخر بصداقته لاسرائيل وتربطه بشعبها وبعدد من زعمائها علاقات شخصية وفكرية متينة. ولم يحدث أن جرت مظاهرة تأييد

لاسرائيل الا وكان من المشتركين فيها، ولم يحدث أن زارت شخصية اسرائيلية باريس دون أن يُولِم لها أو يجتمع بها مطولاً، عندما لا يكون هو الداعي أو المستضيف. كما لم يحدث ان زارت شخصية عربية وفلسطينية باريس واجتمع بها، الا نادراً.

ولكن هل يعني ذلك ان فرنسوا ميتران هو صديق أعمى لاسرائيل؟ وهل يعني ذلك انه صديق مرهون لاسرائيل لا يناقش مواقفها ولا ينتقد قراراتها ولا يشجب تصرفاتها؟ هل يعني ذلك انه عدو العرب؟ بالتأكيد لا. وقد اثبت ذلك أكثر من مرة، قبل وبعد أن يتسلم زمام الحكم. ففي عام ١٩٦٥، تعرض لحملة اعلامية عنيفة شنتها عليه الصحف الاسرائيلية، وذهبت جريدة «هاتسوفيه» الناطقة بلسان الحزب الديني آنذاك، إلى حد اتهامه «باستخدام اللاسامية» في حملته الانتخابية، لأنه تجرأ وقال في خطاب له في مدينة «نيس» انه يُفضِّل ان يحصل على دعم وتأييد عامل زراعي ينتخب شيوعياً، من أن يحصل على تأييد روتشيلد[٥]. وفي ٣٠ مايو / أيار ١٩٦٧، أي قبل اسبوع واحد من هزيمة حزيران، عندما كانت اسرائيل بحاجة إلى استنفار وتجييش اصدقائها في العالم اجمع، تغطيةً للعدوان الذي سترتكبه، عقد فرنسوا ميتران مؤتمراً صحافياً خصصه للوضع المتفجر في الشرق الاوسط وقال بوضوح: «**يستحيل علينا أن نسلم بزوال دولة اسرائيل... ولكننا لا نعطي اسرائيل الحق بكل النقاط** (المطروحة على بساط البحث)، **لا سيا عندما ترفض مجرد دراسة مسألة اللاجئين الفلسطينيين...**». واذا عدنا إلى ماض قريب لاستمعنا إليه يقول «لاصدقائه الاسرائيليين»، من على

٥- غي دي روتشيلد، صاحب البنك الشهير الذي يحمل اسمه وحفيد روتشيلد الذي انتزع «وعد بلفور» من وزير الخارجية البريطاني عام ١٩١٧.

شاشة التلفزيون الاسرائيلي ذاته، انه «**فوجيء بقرار اعلان القدس عاصمة ابدية لاسرائيل، وإن هذا القرار جاء من جانب واحد**»، وإن الاسرائيليين يخطئون في استمرار تجاهل واقع الشعب الفلسطيني، وانه ضد اقامة المستعمرات الاسرائيلية في الضفة الغربية...

هل يعني ذلك ان فرنسوا ميتران هو صديق للعرب؟ نقول بالتأكيد انه ليس عدواً للعرب. ونقول انه لا يحمل العرب ولا القضية العربية في قلبه. ونقول أيضاً انه المحاور الانسب والافضل للعرب. فهو بحكم علاقته الوثيقة باسرائيل وبحكم صداقته لزعمائها ينتظر من الدولة الصديقة ومن زعمائها اصدقائه أن يسايروه وأن يقدموا له التنازلات، والا يخيبوا مواقفه أو محاولاته في الشرق الاوسط. في حين انه يعرف انه لا يستطيع أن ينتظر شيئاً، بل يجب عليه الا ينتظر شيئاً من اولئك الذين لم يفاخر يوماً بصداقتهم ولا سار يوماً في تظاهرة لهم. بل من حق هؤلاء عليه أن يقدم لهم، بصفته رئيساً لدولة تدعي صداقتهم وتربطها بهم شبكة قوية ومتنوعة من العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية والتاريخية...، الدليل تلو الدليل على احترامه لهم وتقديره لقضاياهم وحرصه على تحسين علاقاته الشخصية والرسمية معهم. وخير دليل على الاحترام والتقدير هو دراسة قضاياهم دراسة دقيقة ومعمقة، والاصغاء الى آرائهم، ومشاركتهم التفكير في ايجاد الحلول لها. ومعروف عن فرنسوا ميتران انه رجل حوار «ورجل الملفات» كما يقولون بالفرنسية. ورهاننا انه عندما يعكف على هذه الملفات ويجد انهم، أي العرب، لا يطلبون «**المستحيل الذي لا يمكن أن يسلّم به**»، بل انهم يكتفون بالاعتراف «**بالواقع**» الذي يدعو اليه منذ سنوات طويلة، فهل يمكن أن يقبل بمجرد

البقاء على « الحياد »؟ وهل يمكن أن يترك « العاطفة » التي تُغلّب الاجحاف، تسيطر على « العقل الذي يتجه نحو تحقيق العدالة »؟

* * *

لا شك ان عمل فرنسوا ميتران السياسي لا ينجو من النقد، ليس فقط من وجهة نظر عربية، انما ايضاً على الصعيد الفرنسي ذاته. وهو نفسه، يمارس أحياناً نوعاً من « النقد الذاتي ». فقضية الجزائر التي انفجرت وهو وزير للداخلية في حكومة منديس فرانس، وحرب السويس التي شنها غي موليه على مصر، وفرنسوا ميتران وزير للدولة وزير للعدل في حكومته، وخطف طائرة زعماء الثورة الجزائرية، دون أن يدين القرصنة ودون أن يستقيل من الحكومة، كما فعل الان سافاري، وزير المستعمرات آنذاك ووزير التربية الحالي، ليست وحدها النقط السوداء في نشاط ميتران. كما انها ليست التحولات الوحيدة في مسيرته. فهناك تحوُّله من العداء للشيوعية، في مستهل حياته السياسية، إلى التحالف معهم فيما بعد، تمهيداً لاضعافهم ولادخالهم الى الحكم. ولا نعتقد انه سيتخلى عنهم او سينفصلون عنه، طالما انهم بمثل هذا الضعف السياسي الذي هم فيه الآن. وهناك رفضُه لمؤسسات الجمهورية الخامسة ومحاربتها بمثابرة تثير الاعجاب. ونراه اليوم يعمل من خلال هذه المؤسسات وكأنها قُدَّت على قياسه، ولا يتردد في الثناء عليها وفي اعتبارها أحد أهم عناصر تركة الجنرال ديغول. ولا نرى انه يبدي استعجالاً فائقاً في ادخال « الاصلاحات » التي كان ينادي بها وهو في المعارضة، كالاقتراع النسبي، مثلاً. وهناك القوة الفرنسية الضاربة أو الرادعة، أو بتعبير آخر القنبلة الذرية الفرنسية. فقد كان من أشد المناوئين لها، ولم يُصوِّت يوماً في المجلس الى جانب الاعتمادات التي ترصد لها.

بل كثيراً ما كان يسخر منها باسلوبه اللاذع ولسانه السليط، متهكماً على الجنرال ديغول بما معناه «قنبلتنا الذرية هي لعبة الجنرال». لكنه اليوم يعترف بأن هذه القوة الرادعة، على نسبيتها، هي العمود الفقري للسياسة الدفاعية الفرنسية. وبالتالي الدعامة الاولى للاستقلالية العسكرية التي بدونها لا توجد استقلالية سياسية ولا اقتصادية.

ونتوقف عند هذه القضايا الكبرى للتذكير بأن بين الموقف الاول الذي اتخذه فرنسوا ميتران من كل قضية، والموقف الذي صار اليه، فترة زمنية نادراً جداً ما تقل عن ١٥ سنة، وانه من الخطأ بالتالي أن نضع هذا التغير على محمل التقلب وعدم الثبات. وانما هو نتيجة لقدرة كبيرة على التكيف وعلى التحليل، وعلى وزن الامور في ميزانها الصحيح، وعلى وضعها في سياقها التاريخي، دون التخلي عن الاقتناعات الجوهرية. ويعتبر محللون اجتماعيون فرنسيون ان هذه الميزة هي مظهر من مظاهر ذكاء فرنسوا ميتران. وهو ذكاء يعترف له به أشد خصومه، وإن كانوا يقرنونه بالدهاء والمناورة ومعرفة اغتنام الفرصة وتصيّد الظرف المؤاتي، متناسين وضوح الرؤيا وشموليتها، وبعد النظر وعدم الانجراف وراء الاوهام، ورفض الكذب والرياء والحلول السهلة، ورفض الديماغوجية والمتاجرة بمشاعر الناس. فهذا المظهر الآخر من مظاهر ذكائه هو الذي دفع فرنسوا ميتران إلى الاصرار على الفرار من الاسر ثم الانضمام إلى المقاومة. وهو الذي دفعه فيما بعد إلى الاستقالة من حكومة جوزف لانيل لاختلافه مع رئيسها حول سياسته في المغرب العربي وفي افريقيا. وهو الذي جعله يتصدى لعودة الجنرال ديغول إلى الحكم، عام ١٩٥٨، ولو رحّب به كما فعل غي موليه، مثلاً، لاصبح وزيراً للدولة. وهو الذي جعله يعلن كرهه للمقصلة، أثناء المعركة الرئاسية الأخيرة،

ويلتزم بالغاء عقوبة الاعدام في حال فوزه، مع علمه التام بالشعبية التعيسة التي تتمتع بها المقصلة في الاوساط الشعبية بالذات.

* * *

العلاقات الشخصية والصداقة القديمة العهد والتوافق الفكري والايمان بمُثُلٍ عليا واحدة تشكل كلها ولا شك عنصراً هاماً من عناصر تمتين العلاقات بين الدول. فالذين يقيمون هذه العلاقات هم في النهاية بشر، ويندر أن نجد دولتين العلاقات بينهما وثيقة في حين أن حبل الود بين المسؤولين فيهما مقطوع. لكن هذه المعطيات الذاتية ليست العنصر الحاسم والنهائي. فهناك المبادىء والقضايا العادلة، وهناك المصالح المشتركة، والمصلحة العليا لكل دولة، وهناك التاريخ والجغرافيا. وهناك ميزان القوى والمعادلات الدولية. وفرنسوا ميتران اليوم في موقع لا يجيز له أن يتغافل عن هذه المعطيات. بل ان موقعه في رئاسة الجمهورية الفرنسية يتيح له أن يحلل تحليلاً علمياً دقيقاً كل عنصر من عناصر هذه المعطيات وأن يزنها وأن يراها على حقيقتها، لا مضخمة بمنظار الدعاية، ولا مقزّمة بالدعاية المضادة، ولا مشوهة بمنظار المعارضة. كان بوسعه، وهو لما يزل على رأس المعارضة، أن يقوم «بدور البطل»، فيدافع عن حقوق الانسان، ويرفع شعار الاخلاقية السياسية، ويوجه الانتقاد اللاذع للحكومة على سياستها الشرق اوسطية التي «تفوح منها رائحة البترول»، وان يندد بعقود بيع السلاح، التي تهدد السلام. اما وقد أصبح المسؤول الاول عن تزويد فرنسا بالبترول، اما وقد أدرك، وهو يراجع الملفات، في صمت جدران قصر الاليزيه وبعيداً عن ضوضاء الدعاية المغرضة، ان عقود النفط هي ككل العقود التجارية، أي انها لا ترهن فرنسا ولا تُقيِّد سياستها، اما وقد ادرك ان السلاح يُؤخذ للدفاع

فقط ولا لتهديد السلام، وان فرنسا هي التي ترهن وتقيد وتضع الشروط كي يستحيل تحويل السلاح عن هدفه الدفاعي، وكي يستحيل تحويل المفاعل النووي عن أغراضه المدنية، اما وقد أدرك كل ذلك، فهل يمكنه أن يضحي بكل ذلك من أجل عاطفة لا يعود واثقاً من انها تميل نحو الحق الذي يصبو اليه؟ ومن قال انه في هذه الاثناء، لن يكتشف انه يمكن أن يصادق بعض العرب على الاقل، وانه يمكن أن يتفق معهم في كثير من أفكارهم، وانه يشترك معهم بالايمان في مثل عليا واحدة؟

* * *

اثبت فرنسوا ميتران انه سياسي يتعامل مع الواقع على حقيقته ليصل إلى الممكن الذي في مصلحته. ولو ترك نفسه ينساق وراء المواقف التي لا تمت إلى الواقع بصلة، وهو خطر يهدد عادة رجال اليسار، لما رأيناه، اليوم يتربع سعيداً على كرسي الرئاسة في قصر الاليزيه. والواقع العربي اليوم، كما يعرفه ويعيشه الفرنسيون، تغير كثيراً. ففي فرنسا، اليوم، تيار موال للعرب. قد لا يكون بأهمية التيار الموالي لاسرائيل، لكنه موجود، بعد أن ظل سنوات عديدة مفقوداً، حتى لا نقول موضع عداء. والمناضلون الشرفاء الذين أدركوا منذ البدء الظلم اللاحق بالعرب، فوقفوا إلى جانبهم دون أن يكون لمواقفهم أي تأثير على مجرى الحياة السياسية في فرنسا، التحقت بهم اعداد كبيرة من الفرنسيين، إن لم يكن من أجل المبدأ فعلى الاقل من أجل المصلحة، وصار لهم، مجتمعين، وزن لا يمكن تجاهله بسهولة.

هذا التيار موجود داخل الحزب الاشتراكي نفسه، ويتمثل بعناصر بارزة جداً في الحزب كان لها فضل كبير في ترجيح كفة فرنسوا ميتران وتحقيق فوزه. ويعرف الرئيس الجديد انه لا

يستطيع الذهاب بعيداً في تجاهل العرب دون أن يصطدم بهذا التيار.

والوجود العربي في فرنسا أصبح وجوداً قوياً وكبيراً بحد ذاته، وبغض النظر عن التيار الفرنسي الموالي له. ولم يعد بالامكان تجاهل هذا الوجود. وإذا كان صحيحاً ان للعرب مصلحة في وجودهم في فرنسا، وانهم ليسوا مستعدين للتضحية بهذه المصلحة بسهولة، فالأصح ان مصلحة فرنسا في بقاء الوجود العربي وفي تنميته أكبر بكثير، وإن فرنسا مستعدة لأن تدفع ثمناً أعلى للابقاء على هذا الوجود.

ولا يتمثل الوجود العربي فقط بالبنوك والشركات والمكاتب والمطاعم التي غزت الشانزليزه وأفخم الاحياء الباريسية. انه يتمثل ايضاً وبقوة في التوظيفات والاستثمارات غير المنظورة للمواطن العادي، من شراء القصور والفيلات في الريف الفرنسي، إلى اقتناء الاسهم والسندات في شركات بعيدة مئات الكيلومترات عن باريس وتنتج من الخمور إلى الاسمنت ومن الاحذية إلى قطع غيار السيارات، الى ابتياع تراخيص وبراءات الاختراع...

هذا الوجود العربي في فرنسا يقابله وجود فرنسي في العالم العربي، يزداد وينمو يوماً عن يوم. وهو إن لم يوازيه بالاهمية، فإنه لا يمكن لأي مخطط للسياسة الفرنسية أن يُسقِطه من حسابه.

الودائع العربية في المصارف والمشاريع الفرنسية تمثل حوالي خمس الودائع والتوظيفات مجتمعة. وتختلف المصادر والمؤسسات المالية في تحديد رقم هذه الودائع، لكنها تجمع على القول ان سحبها يهدد الاقتصاد الفرنسي. ولم يسبق أن استعمل العرب هذه الورقة الشديدة الاقناع. لكن لا يستطيع فرنسوا ميتران وسواه

اغفال هذا الاحتلال. ولا يصح اطلاقاً مقارنة هذه الاموال بأموال روتشيلد أو داسو، مثلاً، لأن أموال روتشيلد هي أموال فرنسية، واذا حاول صاحبها اخراجها من فرنسا فانه يقع تحت طائلة القانون، في حين ان الاموال العربية تستطيع أن تسرح وتمرح بين باريس وجنيف ولندن ونيويورك وطوكيو بحرية مطلقة، وبحماية القانون، لأنها أموال أجنبية.

ولن نستفيض في الحديث عن عقود السلاح «الخرافية» الموقعة أو التي هي قيد التوقيع، ولا عن «تبعية» فرنسا النفطية للعالم العربي الذي يؤمّن لها القسم الاكبر من حاجتها إلى البترول، ولا عن حجم المبادلات التجارية الاخرى. فكلها أمور صارت معروفة. وما نريد أن نقوله هو ان العلاقات العربية الفرنسية، كما نعرفها اليوم، لم تقم على نزوة ولا على تحزّب وانحياز، ولا حتى على مجرد نية معنوية المقصود بها اعادة الحق إلى نصابه. لقد قامت هذه العلاقات بعد أن أنهى الجنرال ديغول عهداً من الاستعمار كان يحول دون تحقيق أي نوع من أنواع التقارب والتعاون والتبادل العميق الجذور. وقامت بناءً على تحليل ذكي وواقعي وبعيد النظر للمعطيات المستجدة في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم بأسره. ويضع هذا التحليل المصلحة الفرنسية فوق كل مصلحة. وأياً كان الرئيس الفرنسي والنظام السائد في فرنسا، وطالما ان الواقع في المنطقة لم تطرأ عليه تغييرات جوهرية، فإن هذا التحليل سيظل سليماً وقائماً، وستظل السياسة الفرنسية حيال العرب سياسة ود وصداقة، حتى لا نقول سياسة تودّد. لأنه ليس لفرنسا الاختيار، ولا يوجد لديها بديل عن هذه السياسة. ففرنسا دولة متوسطة، واقتصادها، على متانته، لا يستطيع الصمود في وجه هزات كبرى، وليست لديها امكانية الانكفاء والانطواء على ذاتها. والنزاع العربي الاسرائيلي سيظل يقف حاجزاً دون أن يأخذ

تعاونها مداه الأقصى مع العالم العربي، لا بل مع العالم الثالث بأسره. ولا يزول هذا الحاجز لمجرد تظاهرات الفرح والابتهاج - المصطنعة أحياناً - التي سارع إلى التعبير عنها مختلف الأطراف في اسرائيل عند اعلان فوز ميتران.

* * *

ما هو موقف فرنسوا ميتران من هذا النزاع العربي الاسرائيلي؟

إذا كانت تصريحات الرجل السياسي، لا سيما المعارض، ومناقشاته في المجالس النيابية وغيرها وكتاباته هي التي تعكس الصورة الحقيقية عن مضامين فكره ومواقفه من القضايا التي يتناولها، فإننا نستطيع القول ان موقف فرنسوا ميتران طرأت عليه تطورات مهمة، ولكن هذه التطورات كانت دائماً تسير به باتجاه واحد، متعرج وبطيء أحياناً ولكنه ثابت وأكيد. وإذا أردنا أن نعطي تشبيهاً لهذا التطور لقلنا انه أقرب ما يكون إلى رسم بياني قاعدته الأساسية موقف ميتران العام، ينطلق من طرفيها خطان، خط يمثل «تطوره الاسرائيلي» وخط يمثل «تطوره الفلسطيني». وسيفاجأ الكثيرون إذا قلنا ان الخطين يسيران بموازاة بعضهما ولكن باتجاه معكوس. فالخط الاسرائيلي انطلق صعوداً واستمر صاعداً حتى حرب الايام الستة في حزيران / يونيو ١٩٦٧، حيث بدأ يسجل انتكاسات واضحة. والخط الفلسطيني انطلق نزولاً واستمر في هذا الاتجاه حتى حزيران / يونيو ١٩٦٧، حين انثنى صعوداً وأخذ يسجل تقدماً ملحوظاً. ونترك لغيرنا أن يسمي هذا التطور تقلباً. ويمكن القول في تفسير هذا الاتجاه ان فرنسوا ميتران، كغيره من السياسيين الفرنسيين، منح اسرائيل كل شيء، منذ قيامها، وانه تجاهل الفلسطينيين. ولكن ما ان بدأ

يدرك حقيقة الامر، حتى أخذ يُعدّل من موقفه. وكل تعديل سيُعتبر خسارة لاسرائيل وكسباً للفلسطينيين لأنه يأخذ من «الكل» ليصب في «اللاشيء».

بعد قراءة القسم الاكبر من تصريحاته ومناقشاته وكتاباته، منذ عام ١٩٦٥، وحتى العاشر من مايو / أيار ١٩٨١، يوم انتخابه رئيساً للجمهورية، نرى ان فرنسوا ميتران يبني موقفه من قضية الشرق الاوسط على ثلاثة مبادىء يعتبرها جوهرية، ويعتبر انها ترتبط ببعضها، وإن الاخذ بها مجتمعة يؤدي إلى حل النزاع. وهذه المبادىء هي:

- بقاء اسرائيل
- قيام دولة فلسطينية
- المفاوضات المباشرة

بقاء اسرائيل يكاد يكون هاجساً لدى ميتران وهذا لا يمكن أن يكون موضوع نقاش ولا مساومة ولا اعادة نظر. برأيه، اسرائيل وجدت لتبقى، ومن لا يسلّم بهذا الأمر، فلا مجال للتفاوض معه، وهو ليس مستعداً لمجرد الاصغاء اليه. يروي في كتابه الاخير «هنا والآن» انه استقبل يوماً وفداً من رؤساء بلديات الضفة الغربية، واثناء الحديث، وقف احد أعضاء الوفد فجأة وقال بنبرة هادئة، وهنا نترك الكلام لفرنسوا ميتران نفسه يروي الحادثة:

قال الضيف «لا نريد أن نخدعك لا تظن أننا نقصر مطالبنا على الوجود الاسرائيلي في الضفة الغربية. فاسرائيل يجب أن تزول من فلسطين كلها. ولن نعترف ابداً بالتقسيم». ويضيف فرنسوا ميتران: «ذكّرتهم بأن الاشتراكيين ايّدوا قرار ١٩٤٩ (القاضي بالتقسيم) وانهم لم يغيّروا رأيهم».

وإذا بمحدثي يحدّق في عيني مباشرة ويقول: «عندما احتل هتلر فرنسا، هل قبلتم بهذا الاحتلال؟ وهل كنتم اعتبرتم انه كسب حق البقاء في ارضكم فيما لو ربح الحرب؟» اعترضتُ على محدثي ولفتُّ نظره إلى ان مقارنة هتلر بالشعب اليهودي هي مقارنة تعيسة لأسباب يسهل فهمها. وبعد قليل افترقنا».

«بعد قليل افترقنا». ما أن تطرق الحديث إلى جوهر القضية حتى انقطع الحوار. ويروي ميتران في كتاب آخر أنه قال لياسر عرفات، عندما قابله في القاهرة عام ١٩٧٤: **«لا تتكلوا على الاشتراكيين الفرنسيين كي يساعدوكم في القضاء على اسرائيل».**

ولن ندخل في متاهات تحليل اسباب هذا التعلق ببقاء اسرائيل. فهي اسباب معقدة تدخل فيها عناصر سياسية وأخلاقية ومبدئية ونفسانية والشعور بالذنب تجاه الشعب اليهودي، وأواصر الصداقة والعلاقات الانسانية مع «الرواد الاسرائيليين الاوائل» الذين «عاشوا الاشتراكية في الكيبوتزات»، فضلاً عن عوامل الحق والتاريخ والامم المتحدة والوعد وشعب الله المختار... ونكتفي بالتذكير بأن هذا التعلق هو من المعطيات الثابتة في موقف فرنسوا ميتران من القضية، وان لا شيء يمكن أن يجعله يتراجع عن هذا الموقف... في المستقبل المنظور.

وتعلق ميتران ببقاء اسرائيل ليس موقفاً نظرياً ولا مجرد امنية يكتفي بالتعبير عنها. انه موقف سياسي يترجمه عملياً بالمطالبة بتوفير كل الوسائل التي تؤكد هذا البقاء وتدعمه، ويعتبر ان كل ما من شأنه ان يهدد بقاء اسرائيل يهدد في الوقت نفسه السلام والاستقرار ليس في الشرق الاوسط انما في العالم اجمع.

تبنى الرئيس الفرنسي الجديد هذا الموقف منذ قيام اسرائيل ومنذ صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين. لكنه استغرق وقتاً أطول بكثير للتوصل إلى ادراك حقيقة الشعب الفلسطيني وحقيقة الظلم اللاحق به نتيجة لقيام اسرائيل، وضرورة التعويض عن هذا الظلم باقامة وطن للفلسطينيين، ولكن خارج اسرائيل وبشكل لا يهدد أمنها وسلامتها. لأن بقاء اسرائيل وأمنها وسلامتها هي الموقف الاساسي، كما ذكرنا.

ويعود تبلور هذا الموقف لدى ميتران إلى بداية السبعينات. قبل ذلك، كان يتحدث من حين إلى آخر عن اللاجئين الفلسطينيين، وعن ضرورة ايجاد حل انساني لهم.

ويقترن هذا التبلور بحدثين مهمين جداً في حياة ميتران السياسية. ففي مطلع السبعينات (١٩٧١) تمكن فرنسوا ميتران من اعادة تأسيس الحزب الاشتراكي، وأصبح أمينه الاول، تمهيداً لأن يتحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي ويوقع معه برنامج الحكم المشترك (١٩٧٢). ولا شك ان هذين الحدثين هما اللذان حثا ميتران على السير في هذا الاتجاه «العربي». لا سيما وان الحزب الشيوعي يعتبر ان موقفه من الشرق الاوسط موقف استراتيجي، وانه مستعد أن يساوم على عدد الشركات الفرنسية الكبرى التي يجب تأميمها، لا على حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني أو اعادة الاراضي المحتلة. ولذلك كان على ميتران أن يخطو خطوات كثيرة على هذه الدرب، إذا هو أراد تحقيق التحالف مع الشيوعيين. وكان الشيوعيون يطلبون منه دائماً المزيد، حتى باتوا يشكلون عبئاً عليه، في هذا المجال أيضاً، إلى درجة أن بعض الاوساط ومراكز القوى اليهودية باتت تعتبر ان ميتران، واليسار الفرنسي بشكل عام، «**لديه نقطة ضعف لا يمكن التغلب**

عليها، وهي تحالفه مع الحزب الشيوعي. فالحزب الشيوعي برأي اليهود، هو العدو الالد، وعداؤه أشد وقعاً من السياسة الراهنة (التي يقودها جيسكار ديستان) مهما انتقدناها».[٦].

وأول تصريح واضح وصريح يعترف فيه ميتران بحقيقة الشعب الفلسطيني وبأمنيته وسعيه إلى الحصول على وطن، يعود إلى عام ١٩٧٢ . كان ذلك على شكل اشارة عابرة وردت على لسانه اثناء مؤتمر صحافي عقده في باريس للتنديد، اساساً، بالاضطهاد الذي يتعرض له «أبطال ربيع براغ» في تشيكوسلوفاكيا. ويتذكر ميتران المناسبة، ويرويها في كتابه «الحب والزؤان» على الوجه التالي:

«قبل أن أسافر إلى اسرائيل، عقدت مؤتمراً صحافياً في «قاعة المزارعين» بالاشتراك مع كوليت اودري، من أجل توعية الرأي العام الفرنسي على تطور الأوضاع السياسية في تشيكوسلوفاكيا. اشرت في هذا المؤتمر إلى أن الحزب الاشتراكي يشعر بالتضامن مع كل الذين يعانون من التعسف والتعذيب والتهجير تحت أي سماء كانوا. ذكرت انجيلا ديفيس واليهود السوفيات والدمقراطيين في اسبانيا وفي اليونان، وذكرت حملات التطهير الرهيبة في اندونيسيا، وتعاسة البنغال. كان بوسعي أن استفيض كثيراً في هذا المجال. ولكن بما انني تحدثت أيضاً عن «الفلسطينيين الساعين وراء وطن»، فقد استحقيت على ذلك، فور وصولي إلى تل أبيب، هجوماً قاسياً من قبل الصحافة الاسرائيلية. وتوزعت (الادوار) بين السخرية «السيد

٦- جريدة لوموند - مقابلة مع غي دي روتشيلد حول تأثير أصوات اليهود على سير الانتخابات لرئاسية - ٢٩ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٨٠.

ميتران دمعته سخية»، وبين الغضب «السيد ميتران يتدخل بما لا يعنيه»، وصولا إلى الحنين «الحزب الاشتراكي تغير كثيراً».

وفي الصفحة ذاتها من الكتاب ذاته، يضيف فرنسوا ميتران «كانوا يطرحون علي الاسئلة من الصباح إلى المساء، واخيراً أجبت ان الاعتراف بالواقع الفلسطيني لا يستتبع بالضرورة، بنظر الحزب الاشتراكي الفرنسي، التنكّر لحق اسرائيل بالبقاء. وهو حق اعلنته الأمم المتحدة منذ ٢٥ سنة ولا يمكن اعادة النظر به. وأضفت أن حق اسرائيل بالبقاء يفترض تزويدها بامكانيات وبوسائل البقاء»[٧].

ومن الواقع الفلسطيني، انتقل ميتران إلى الشعب الفلسطيني ومنه إلى ضرورة ايجاد وطن لهذا الشعب. وهنا يفترق افتراقاً كلياً عن موقف المسؤولين الاسرائيليين، بمن فيهم اصدقاؤه الاعضاء في الأممية الاشتراكية، وفي طليعتهم شيمون بيريز. فبينما يقول الاسرائيليون ان الوطن الفلسطيني موجود وهو الاردن، **«فليتفقوا مع الملك حسين وليقيموا في الاردن الدولة التي يريدون»**، يقول فرنسوا ميتران ان وطن الفلسطينيين هو الضفة الغربية وقطاع غزة، مع تعديلات بسيطة في الحدود، ومن حق الفلسطينيين أن يقيموا في هذا الوطن الدولة التي يريدون. ولا يرى ان قيام مثل هذه الدولة من شأنه أن يشكل خطراً على اسرائيل. وحول هذه النقطة بالذات، يقول فرنسوا ميتران في كتابه الاخير «هنا والان» بالحرف الواحد:

«سأنصح اسرائيل بالموافقة على ولادة دولة فلسطينية. ولكن، رداً على هذه الحجة التي وردت مئة مرة في

٧ـ المقال بكامله موجود في الفصل المخصص لفرنسوا ميتران و اسصايا العربة

محادثاتنا، كان شيمون بيريز وزعماء حزب العمل يقولون ان هذه الدولة الفلسطينية موجودة، وانها تحمل اسم الاردن، وانها كانت تضم، قبل حرب الستة أيام، الضفة اليمنى لنهر الاردن، وإن الحاح اوروبا على المطالبة بقيام دولة جديدة مجردة من الجذور ولا سابقة تاريخية لها هو الحاح غير جدي. وعبثاً كنت اجيبهم انني لا أرى كيف ان وجود دولتين فلسطينيتين بدلاً من دولة واحدة على حدود اسرائيل من شأنه أن يشكل خطراً أكبر، فما كانوا يتخلون عن رأيهم».

ويضيف فرنسوا ميتران متوجهاً بكلامه إلى محدّثه: «انظر إلى خريطة اسرائيل: من الصعب الا تتفهم حذرهم. ولكن هذا التوجس الدائم ألا يشكل خطراً أكبر؟».

ونصل إلى المبدأ الثالث حيث المواقف متداخلة ومعقدة تداخل وتعقيد المسألة ذاتها. ويجب النظر اليها بامعان ودقة للتوصل إلى التمييز بينها.

فالمبدأ الاساسي هو المفاوضات المباشرة بين المعنيين بالدرجة الاولى بالنزاع. والمعنيون هم الاسرائيليون من جهة والفلسطينيون أولاً والعرب عموماً من جهة ثانية.

الاسرائيليون يدعون في الاساس إلى المفاوضات المباشرة مع العرب جميعاً دون الفلسطينيين. ميتران يقول ان للفلسطينيين دوراً أساسياً في التفاوض فهم أصحاب العلاقة. الاسرائيليون يشترطون الاعتراف المسبق باسرائيل، فرنسوا ميتران يقول: **«ليأتوا جميعاً ويجلسوا إلى طاولة خضراء واحدة، دون هوية مدنية الا حبهم لوطنهم»**[٨]، وفي هذا القول نفي لأي شرط مسبق.

٨- فرنسوا ميتران «هنا الآن».

اسرائيل لا تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وتقول بأنها لا تمثل الشعب الفلسطيني، وتصف ياسر عرفات وزعماء المقاومة بأنهم مجرمون ارهابيون. يقول ميتران عن المنظمة انها الهيئة الاكثر تمثيلاً للشعب الفلسطيني، ويضيف ان الاعتراف بوجودها لا يعني تأييد اهدافها ولا الوسائل التي تتبعها. اما عرفات فلقد قابله، وأجرى معه مفاوضات واطلع منه مباشرة على أوضاع الفلسطينيين وحقيقة مواقفهم. وعندما اثيرت مسألة زيارة عرفات إلى فرنسا، قال ميتران انه لا يجد مانعاً من منحه تأشيرة دخول إلى فرنسا. ولما سئل إذا كان على استعداد لاستقباله، أجاب: «**ان مثل هذا القرار متروك للحزب، وإذا قرر الحزب أن تتم المقابلة فسأحرص على الا تكون مصدراً لأي التباس**». بتعبير آخر: على الا يعلق في ذهن احد بأنه يؤيد الفلسطينيين في سعيهم للقضاء على اسرائيل أو على الكيان الصهيوني.

ويعتبر ميتران ان المفاوضات المباشرة هي الطريق الطبيعي والمنطقي لحل كل خلاف أو نزاع، لأنه رجل حوار يؤمن بالاقناع الشخصي وبالاتصال المباشر بين اصحاب العلاقة. ولأنه يعتقد أن الوسطاء، وبنوع خاص اولئك الذين منحوا انفسهم بالقوة حق التوسط والتدخل، ينظرون إلى المفاوضات وإلى النتائج التي يمكن أن تترتب عليها من زاوية مصالحهم. اما اذا توفر وجود «وسطاء خير»، لا مصلحة لهم الا في تحقيق السلام وفي انصاف المتنازعين، فانه يرحب بهم. بل يذهب إلى حد اقتراح اسماء شخصيات أو هيئات، مثل فيلي براندت، المستشار الالماني السابق، أو برونو كرايسكي المستشار النمساوي الحالي، أو الأممية الاشتراكية ذاتها للقيام بدور وسيط الخير. ولا يجب أن ننسى أن ميتران هو بين السياسيين الاوروبيين القلائل الذين رحبوا

باتفاقيات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل، لكنه لم يعتبرها نهائية، بل مجرد خطوة رئيسية، يجب أن تتبعها خطوات.

* * *

لم نُخفِ تعاطفنا مع فرنسوا ميتران، ولا نتردد في الرهان عليه، ونقبل تهمة التفاؤل التي سيوجهها لنا أكثر من واحد. لكننا نعتقد أن تفاؤلنا ليس مجانياً ولا مرتجلاً، ولا من النوع الذي يؤدي الى التساهل ثم التنازل والتخاذل. شرط الا ننسى ان فرنسوا ميتران ليس طرفاً بالنزاع، والا نعلّق عليه آمالاً لا يستطيع أن يحققها أحد سوانا، ولا ان نحمله مسؤوليات تقع على عاتقنا وحدنا، والا نحاول الاستئثار بصداقته، والا نمنع عنه ما نمنحه للولايات المتحدة بسخاء يخجل منه حاتم. فالثقة برجل اثبت ويثبت انه مؤمن بأفكاره، مخلص لمبادئه دون تحجر في المواقف، وانه قادر على التغلب على الحواجز، حتى تلك التي في داخله، ليست مجرد تفاؤل. انها رؤية سياسية تستحق الاهتمام. خصوصاً عندما لا تكون الاختيارات كثيرة. نكاد نكون محكومين بوجوب التفاهم معه. فليكن ذلك على الاقل برضى منا.

الفصل الأول

سيرة حياة

١ ـ فرنسوا ميتران في المقاومة

المنشأ والطفولة

ولد فرنسوا ميتران في السادس والعشرين من اكتوبر/تشرين الأول ١٩١٦ في مدينة جارناك في مقاطعة الشارانت. كان الطفل الخامس في عائلة تتألف من ٨ أولاد ولم تعرف الاضطرابات ولا المآسي. ينتمي أبوه الى أسرة لجأت الى جارناك آتية من مقاطعة البيري الداخلية، بسبب بعض الصعوبات في نهاية القرن التاسع عشر، مما حال دون أن يكمل جوزف ميتران، والده، دراساته. فدخل موظفاً في شركة السكك الحديدية التي لم تكن قد أصبحت بعد الشركة الوطنية للسكك الحديدية، أي شركة مؤممة، بل كانت لا تزال ملك شركات خاصة. ولم تؤهله ثقافته لأن يكون موظفاً كبيراً. وعندما أقبل فرنسوا، الطفل الخامس في هذه العائلة الكبيرة كان الأب قد ترقى فأصبح رئيساً لمحطة في مدينة أنغوليم.

ميتران الأب كان رجلاً متحفظاً ميالاً للصمت، على عكس أمه التي أثّرت تأثيراً عميقاً على إبنها. وتنتمي ايفون ميتران الى عائلة كاثوليكية ثابتة العقيدة، عميقة الإيمان، تأمل في العودة الى النظام الملكي. وقد فرضت على نفسها نظاماً قاسياً في الحياة لا يترك مجالاً للكسل أو الملل ولا لتضييع الوقت. وككل أم فرنسية عندها ثمانية أولاد وليس عندها خدم وحشم، كانت تنهض في

الساعة الخامسة صباحاً في الصيف وفي الساعة السادسة في الشتاء، وتنهمك في الأعمال المنزلية وتدبير شؤون أولادها. لكنها لم تترك هذه الأعمال اليومية تسيطر عليها وتأكل حياتها. فقد كانت تتابع النشاطات الفكرية، وتهتم بالسياسة وبما يجري حولها، فتطالع وتطّلع وتفكر... وتصلي. ولا تنسى مساعدة الفقراء. كان ذلك فرضاً من فروض الإمرأة المسيحية الصالحة ـ في تلك الأزمنة الغابرة ـ تقوم بكل ذلك بمحبة وتودد، وبلطف يتذكره فرنسوا ميتران ويقول عنه أنه لم يعرف مثيلاً له في كل حياته. وبرغم كل هذه الأشغال كانت تجد الوقت لتكتب مذكراتها بانتظام،فتسجل فيها قراءاتها ورحلاتها وكذلك ـ وهذا نادر لدى النساء في ذلك الوقت ـ كل الأحداث السياسية. وهكذا نشأ فرنسوا وترعرع وهو يستمع الى والديه يتحدثان عن كليمانسو الذي قاد فرنسا الى النصر، في الحرب العالمية الأولى، وعن بوانكاريه الذي أنقذ الفرنك الفرنسي، وعن الألمان الذين «يستحقون درساً قاسياً». وعن بطولات لندبرغ الذي كان أول من قطع المحيط الأطلسي بالطائرة، وعن أفعال موسوليني ولينين وغاندي. يستمع الى كل ذلك وهو يجالس جده يلاعبه الشطرنج، ويتلقن على يده ومن خلال هذه اللعبة دروساً في الصمت وفي التأمل وفي التفكير. تعلم منذ الصغر كيف يلزم الصمت وينتظر ويصغي، وكلها دروس ثمينة سيعرف كيف يستفيد منها عندما يدخل المعترك السياسي.

قضى فرنسوا ميتران طفولته في الشارانت غير البعيدة عن المحيط الأطلسي. هضاب خلف هضاب، تكسوها غابات من أشجار الكستناء، عندما لا تكون مزارع من الكرمة يعتنون بغرساتها عنايتهم بالأطفال، لأنها تمثل كل شيء، ولأنها تعطي مشروب الكونياك الشهير.

ورجل الشارانت معروف في فرنسا ببغضه للإنفعالات الصاخبة وبمجاملته وبمزيج من الفطنة والتحفظ. وهو يعرف أهمية الأرضوأهمية تثبيت الأقدام عليها، ويتصرف بواقعية تامة، ولا يترك نفسه ينساق وراء الأوهام. فاكتسب فرنسوا ميتران من هذه الصفات الكثير، وهو الذي جعل شعار معركته الإنتخابية «القوة الهادئة».

كان الوسط الذي يعيش فيه، كما ذكرنا وسطاً كاثوليكياً مؤمناً. وفي ذلك الوقت، كان كل كاثوليكي يتردد بانتظام على الكنيسة يُصنَّف فوراً بين اليمينيين. غير أن والده كان راديكالي النزعة، مما جعله خارج أي تصنيف. ويقول عنه ميتران:

لجأ أبي الى التفكير والتأمل، لا عن عدم اكتراث بل لأنه اضطر الى ذلك... كان من أكثر الناس الذين عرفتهم تحرراً، غير أنه لم يكن يمارس هذه الحرية الا عندما يجلس الى نفسه أو ينصرف الينا، نحن أطفاله الثمانية، خلال العطل المدرسية... كان أبي يدرك أنه يعيش نهاية عهد... وكان ينظر الى الأزمنة القادمة كما ينظر الى طفل يترعرع وينمو».[1]

الأعداد والدراسات

مرت الأيام وكبر الطفل الخامس.

المدرسة الإبتدائية في جارناك، المدرسة الداخلية في أنغوليم وانسلاخ عن الحياة العائلية الدافئة السعيدة.

بقي فرنسوا ميتران في معهد «سان بول» بمدينة أنغوليم تسع سنوات لم يترك خلالها ذكر ذلك التلميذ المتفوق، ولا ذكر

١- فرنسوا ميتران «حصتي من الحقيقة» - ١٩٦٩

التلميذ المتخلف. كان عادياً، شأنه شأن العديد من أبناء صغار الموظفين الذين يفتقدون كثيراً الأجواء البيتية. وبعد البكالوريا بجزأيها، التحق بكلية الحقوق في باريس بعد أربع سنوات، فشرع في وضع رسالة دكتوراه، والتحق بمعهد العلوم السياسية. وفي هذه الأثناء غالباً ما كان ينصرف لاكتشاف حياة باريس والاطلاع على أحداث العالم، ويتأمل بأحداث عام ١٩٣٤، ذلك العام الحاسم في حياة فرنسا في فترة ما بين الحربين، حين كادت فرنسا تقع في أحضان الفاشية. ولم يكن يهتم بالسياسة فحسب، بل بالآداب والموسيقى وبالحركة السوريالية. ويستمع الى محاضرات موريس توريز، الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي، وليون بلوم زعيم الإشتراكيين الفرنسيين، واندريه مالرو ذلك الأديب الشاب الذي كان ملتزماً بكل قضايا اليسار قبل أن ينضم الى صفوف المقاومة الفرنسية، ويشارك في الاجتماعات المناهضة للفاشية، ولا يخفي ميتران الشاب اشمئزازه من الجنرال فرانكو الذي قضى على تجربة الجمهورية في اسبانيا وأقام دكتاتورية ظلت ٤٠ سنة، رفض خلالها فرنسوا ميتران السفر الى اسبانيا احتجاجاً. وكانت كل هذه المفاهيم جديدة على مسامع شاب عاش في وسط اقليمي محافظ ويميني.

هذا القادم من الشارانت، المتحفظ والميال الى الهدوء، لم يتسرع ولم يختر آنذاك اتجاهاً سياسياً واضحاً. شعر بميل نحو حركة «العمل الفرنسي»[٢] واستهواه برنامجها، ووجد انه يتلاءم مع كل ما تعلمه واستمع اليه منذ طفولته. يقول فرنسوا ميتران انه لم ينخرط في هذه الحركة رسمياً. بل كان قريباً منها كثيراً، وانه استمر في الاستماع الى جميع الاصوات السياسية المتعالية في

٢- حزب سياسي يميني، يدعو الى اعادة الملكية، تعاون مع الالمان اثناء احتلالهم لفرنسا.

هذا الوقت. الا ان خصومه يؤكدون العكس، ويقارنون بين ما بدأ به في أقصى اليمين وما آل اليه على رأس الحزب الاشتراكي، ليتهموه بالانتهازية والتقلب، وينسى المتهمون انه لم يكن قد تجاوز العشرين. ويرد فرنسوا ميتران على ذلك قائلاً:

لو صح انني انتميت إلى أقصى اليمين في شبابي، لأعتبرت انه يُشرفني أن أكون قد وصلتُ الى حيث أقف اليوم، بدلاً من أن أكون قد سلكتُ الاتجاه المعاكس الذي يزدحم عليه المتهافتون، على ما يبدو».

وجاء عام ١٩٣٦، فهبت رياح جديدة على فرنسا، رياح الامال التي اثارتها «الجبهة الشعبية» بزعامة ليون بلوم:[٣]

«اتذكر الليلة التي عقبت الانتخابات والاجواء التي سادت في شوارع باريس والفرح المتصاعد من الاغاني الثورية. واسترجعتُ في هذا الجو النشوة التي كنت أشعر بها وأنا طفل، عندما كنت أركض وأجري باقصى سرعتي الى ان أفقد القدرة على التنفس. واكتشفتُ انه مازالت هناك قضايا تستحق أن نحيا وأن نموت من أجلها، وأحببت أن أجد نفسي، وأنا في العشرين من عمري، على عتبة عالم أتوق الى خلاصه ولو انني لم أكن بعد قد اطلعت على آلامه. لم يكن في موقفي هذا أي اختيار سياسي، اذ لم أكن أميز بعد بين القوى المتواجدة على الساحة. ولم أكن أملك مفتاح الحل. ولكن من دون أن اتفهم الاسباب والدوافع، خالجني اعتقاد بانني ادركتُ جانب الحق والعدل».[٤]

٣- ليون بلوم (١٨٧٢—١٩٥٠) راجع اللمحة التاريخية عن الحزب الاشتراكي.
٤- فرنسوا ميتران «حصتي من الحقيقة»

الحرب والوقوع في الأسر.

ولم يتصور ميتران ولا ملايين الفرنسيين معه ان هذا الأمل العارم الذي أطلقته الجبهة الشعبية سرعان ما سينقلب الى جحيم الحرب العالمية الثانية، وما ستجره على فرنسا خصوصاً وعلى العالم، من ويلات وألم ويأس كبير لم يمكن التغلب عليه الا بالقتال والنضال والمقاومة.

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية، كان ميتران قد حصل على وسام الشرف وعلى الوسام الحربي وعلى وسام المقاومة الفرنسية. بعبارة أخرى، كان قد قطع شوطاً طويلاً على طريق الالتزام السياسي، ولم تعد الحقوق ولا الآداب ولا الموسيقى تمثل اهتمامه الاول والأساسي.

بدأ الحرب كجندي عادي في الفرقة الثالثة والعشرين للمشاة، ارسلت هذه الفرقة لتغطية «خط ماجينو» في موقع غير بعيد عن حدود بلجيكا، وبقيت الحرب معلقة ومترددة في الاندلاع الحقيقي مدة ثمانية أشهر، وهي الفترة التي تعرف في فرنسا باسم «الحرب الغريبة العجيبة»[٥]. كانت هناك بعض المناوشات على حدود مقاطعة «السار»، غير ان الملايين من الجنود الفرنسيين قضوا وقتهم يلعبون بالورق أو بكرة القدم، بانتظار أن تنهار المانيا ويستسلم هتلر، كما وعدهم بذلك السياسيون في باريس. لكن هتلر لم يستسلم ولم يكن يوجد ما يمكن ان يرغمه على الاستسلام. وفي العاشر من أيار/مايو ١٩٤٠ هبت العاصفة. لم تكن مفاجئة. لم يُفاجأ بها الا عميان البصر والبصيرة. وفي أقل من ستة أيام اجتاحت الجيوش الالمانية بلجيكا وفرنسا. وفي أقل من ستة أيام،

٥- وهي الفترة التي تلت اعلان الحرب رسمياً، عام ١٩٣٩، وامتدت حتى اشتعال الجبهات في مايو / أيار ١٩٤٠.

هُزمت الجيوش الفرنسية. وبعدها بأقل من شهرين وقّع الماريشال بيتان الهدنة.

دام جحيم القتال حول الموقع الذي وُجد فيه ميتران ورفاقه شهراً كاملاً، اذ كان هذا الموقع «رأس خط ماجينو» الذي دارت حوله الجيوش الالمانية لغزو فرنسا. وعندما صدرت الأوامر الى الجيش بالتراجع، كانت هذه الفرقة مسؤولة عن تغطية جزء من عملية الانسحاب، وحين وصلت على مقربة من مدينة «فردان» الشهيرة بمعاركها الدامية في الحرب العالمية الأولى، جرح ميتران بشظايا قذيفة انفجرت فوق رأسه، فنُقل الى مستشفى مجاور. ومن سريره، رأى الجيش الفرنسي ينسحب ليحل محله الجيش الالماني،فأصبح أسير حرب ونُقل بعد ذلك بشهرين الى معنسكر للاسرى قرب مدينة «كاسيل» الالمانية، هو معتقل «ستالاغ ٩أ».

بدأت فترة الاعتقال في ظروف صعبة جداً إذ كان ميتران لايزال مريضاً مرهقاً بسبب جرحه. وكان المعسكر يضم ٣٠ ألف سجين، جُمعوا فيه دون أي تنظيم. ولعل فرنسوا ميتران تعلم من تلك الفوضى الرهيبة ضرورة التنظيم التي ستكون احدى خصائص عمله السياسي. كما يعترف هو نفسه بأنه «تلقى بديهيات الاشتراكية وأولى الامثولات في المساواة، حول ذلك الوعاء الكبير» الذي يحتوي على كثير من الماء الملون الوسخ والذي يسمونه تجاوزاً، حساءً:

> في الساعة الثانية عشرة ظهراً، كان الالمان يأتون بوعاء كبير جداً من الحساء وببعض قطع من الخبز، ويتركوننا نتصرف بها طوال اليوم. في البداية، ساد قانون القوة، وحُكْم السكين. فا لذين يستولون على الوعاء بالاول، يخدمون أنفسهم، وما على الباقين الا ان ينتظروا من لُطفهم الواسع

قليلاً من الماء الوسخ لضمان بقائهم. كيف استيقظ الوعي لدى الجماهير فأطاحت بهذه السلطة المطلقة؟... بعد ذلك بثلاثة أشهر، كان المندوبون المنتَخَبون ـ لا أدري كيف؟ ـ يُقطِّعون الخبز الاسود الى ست شرحات متساوية تماماً، باشراف «الاستفتاء العام». مشهد نادر ومليء بالعبرة. لقد شهدتُ ولادة العقد الاجتماعي»[6].

بتعبير آخر، يمكن القول ان فرنسوا ميتران شهد تحولاً أساسياً في تفكيره وفي نظرته الى المجتمع والى علاقة الانسان به، عندما كان واقعاً في الاسر، وعندما كانت فرنسا تدخل في مرحلة من أدق مراحل تاريخها الحديث: الوقوع تحت الاحتلال الالماني. وأدرك ميتران وهو في أسره ان المجتمع على صورة معتقله لا يستقر الا متى ساد نظام يعود بأكبر خير ممكن على أكبر عدد ممكن. أوَليس هذا أبسط تعريف للاشتراكية؟

محاولات الفرار

والدرس الآخر الذي تعلمه ميتران خلال فترة أسره هو شغفه بالحرية. وكان لايزال جريحاً لم يتعدَّ فترة النقاهة عندما بدأ يبحث عن وسيلة للفرار.

بعد قليل من وقوعه في الأسر، نقل الى معتقل آخر يحمل رقم «ستالاغ ٩سي» بجوار مدينة «فايمار»، وأدخل في عداد «الكوماندو ١٥١٥» المكلف بتعبيد الطرقات قرب «ايينا»، اي انه صار أقرب الى الحدود الروسية منه الى فرنسا. غير ان ذلك لم يُثنه عن عزمه على الفرار. وبرغم الشتاء القارس والغذاء القليل، عكف ميتران مع رفيق له على اعداد خطة للهرب. وبعد ستة

٦ـ فرنسوا ميتران: «حصتي من الحقيقة» ١٩٦٩

أشهر من القهر والحرمان والانتظار، اذا بالامل يلوح في صبيحة الخامس من مارس / آذار ١٩٤١، وغادر الرفيقان المعتقل، كما غادره ألوف الاسرى، الا انهما قررا عدم العودة الى الاعمال العادية في تعبيد الطريق، فانسلاّ تحت جنح الظلام وتوجها، سيراً على الاقدام مُيمّمين وجهيْهما شطر الجنوب الغربي من المانيا، وصولاً الى حدود سويسرا. سارا ٢٢ يوماً وقطعا مئات الكيلومترات. كان زادهما (الذي تم توفيره على حساب ما يُقدّم لهم من الطعام في المعتقل) قليلاً والبرد شديد والجهد يهدّ القوى، والخوف يُقصي النعاس. ولكنهما ظلا مثابرين، يختبئان في الغابات خلال النهار ويسيران في الليل بعيداً عن المدن والقرى. وفي السادس والعشرين من مارس / آذار، حين باتا على بعد كيلومترات معدودة من الحدود السويسرية، ارتكبا الخطأ الذي لا يُغتفَر، فعبرا قرية المانية قبل هبوط الليل. اشتبه بهما السكان واستوقفوهما. وأُرسلا من جديد الى معتقل « ستالاغ ١٩ ». كانت هذه المحاولة الفشل الشخصي الاول الذي يعرفه ميتران. لكن « ما قيمة هذا الفشل بالمقارنة مع الهزيمة الكبرى التي مُني بها الوطن؟ وما أهميتُه بالنسبة لما يمكن ان يُسفر عنه كنتائج؟ » فلم تثبط عزيمتُه، وعاد يحاول.

تطلبت المحاولة الثانية ثمانية أشهر من التحضير اذ كان المعتقل « ٩أ » قد أصبح معتقلاً المانياً نموذجياً، تحيط به الاسلاك الشائكة وأبراج المراقبة المجهزة بالمصابيح القوية. واستطاع ميتران واثنان من المعتقلين عبور الاسلاك الشائكة في ليلة ظلماء. وسرعان ما بدأت الملاحقة. وأمسك الالمان بالرفيقين اللذين انكرا ان يكون لهما شريك ثالث. وهكذا فرّ ميتران، مستخدماً هذه المرة وسيلة السفر في القطار بالدرجة الثالثة، متخفياً بين العمال الفقراء، وحاملاً أوراقاً مزورة. وتمكن من الوصول بعد عناء طويل الى

مدينة «ميتز» في فرنسا المحتلة. وأراد أن يرتاح قليلاً في فندق صغير، مدّعياً انه عامل ايطالي مهاجر في طريقه الى بلجيكا. غير ان صاحبة الفندق شكت في أمره، ولم يُعجبها هذا العامل الايطالي الذي لا يعرف من الايطالية الا كلمة «السباغتي»، وأخطرت السلطات الالمانية، فعاد ميتران الى حياة الاسر، وسُجن مؤقتاً في بلدة فرنسية، وتقرر ارسالُه الى معتقل خاص بالمتمردين وأصحاب السوابق، حيث المعاملة القاسية والاعمال الشاقة. وأدرك ميتران ان فرصته الوحيدة هي في الفرار قبل ارساله الى ذلك المعتقل، والا راحت عليه، وقضى الحرب في الأسر. وأعلمه أحد الاسرى بأن على مدخل القرية المجاورة مقهى صغير، يُمكن الاعتماد على أصحابه. وفي الصباح الباكر قبل شروق الشمس التي لا يُعرف لها شروق في هذه المناطق الشمالية، هرع ميتران الى باب المعتقل وتسلقه بينما كان الاسرى الاخرون يحاولون لفت انتباه الجنود الالمان وشغلهم بالاتجاه المعاكس. واستمر يجري ورصاص الحراس يتطاير حوله حتى غاب عن أنظارهم. بعدئذ توجه الى المقهى الصغير، ودون ان يقول ولا أن يطلب شيئاً، وجد من يساعده على الاختفاء. وكأن الصدفة أرادت أن تؤكد المثل الشائع بأن المحاولة الثالثة هي الناجحة. وقد عادت وأكدتها له اكثر من مرة، وكانت آخرها انتخابه رئيساً بعد ترشيحه للمرة الثالثة. وبقي لميتران بعد ان استعاد حريته، ان ينضم الى صفوف المقاومة الفرنسية.

المقاومة وديغول والشيوعيون..

«لم أجد صعوبة ولم أشعر بأي تمزق أو تنازع نفسي بانتمائي الى حركة المقاومة، بعد عودتي الى فرنسا. والتساؤل لم يكن مطروحاً في المعتقلات كما كان يُطرح في باريس. فمن

زاوية مُعتَقَل في المانيا، لم يكن ديغول وبيتان يمثلان سياستين متناقضتين... غير ان رومانسية الحماس كانت الى جانب الجنرال المتمرد. وكنت في الخامسة والعشرين. وكفاني ذلك»[٧].

حمل ميتران في صفوف المقاومة لقب «مورلان» (وهو اسم محطة من محطات الميترو في باريس). وقد عمل في البداية في اطار مجموعة صغيرة تُعنى بتوفير بطاقات الهوية المزورة للاسرى الفارين ولمختلف رجال المقاومة. أما رسمياً وفي الظاهر والعلن، فقد شغل ميتران منصب نائب رئيس «مراكز تقديم المعونة لاسرى الحرب». وسمحت حكومة بيتان باقامة هذه المراكز، بل شجعتها أحياناً، لكسب تأييد شعبي، ولكسب الاسرى العائدين الى جانبها. ولم يلبث ميتران أن أسس «شبكة مورلان» التي أصبحت نواة حركة الاسرى والفارين من المعتقلات الالمانية والذين كانوا قد الفوا العمل السري والمقاومة في المعتقلات. واتسعت الشبكة الى أن شملت جميع أنحاء فرنسا. وهكذا وجد نفسه يعمل لاول مرة على مستوى وطني عام وليس على مستوى محلي ضيق.

وعام ١٩٤٣ أصدر الالمان قانون «العمل الاجباري»[٨] وهو القانون الذي أجبر الشباب الفرنسيين، ابتداء من سن السادسة عشرة على التوجه الى المانيا للعمل في مصانعها. وبالطبع، أيّدت حكومة فيشي هذا الاجراء، ونظّم بيار لافال رئيس الوزراء (الذي ستصدر عليه تهمة الخيانة العظمى، فيعدم رمياً بالرصاص،

٧- كلود مانسرون «مئة ألف صوت كل يوم».

٨- بموجب هذا القانون، يقول جورج مارشيه، الامين العام للحزب الشيوعي الفرنسي، انه ارغم على السفر الى المانيا، مثله مثل الوف الشباب الفرنسيين، للعمل في أحد مصانع السلاح، بينما يقول خصومه السياسيون انه سافر الى المانيا بملء ارادته.

بعد التحريـر) في بـاريس اجتماعـاً كبيراً دعـي للاشتراك فيـه المسؤولون عن مراكز تقديم المعونة للاسرى، بين مدعوين آخرين عديدين. وكان الهدف من الاجتماع اعلان اجماع كل المدعوين على ضرورة التعاون الفرنسي ـ الالماني ونشر ذلك في وسائل الاعلام، غير أن صوتـاً ارتفـع مـن وسـط الجمهـور: «**لا، هـذا ليس صحيحاً، انكم كاذبون، ان فرنسا لا تقف وراءكم**». وكان ذلك الصوت صوت فرنسوا ميتران. لم يجروء الجالسون على المنصـة أمثـال دارلان ولافـال ومـاسـون[٩] على استعمال القـــوة لاسكاته، لاسيما وان الجمهور، بعد شيء من التردد، صفّق لميتران وكأنه خلصه من كابوس يعيشه منذ ثلاث سنوات. وأُلغي اصدار الاعلان. وبعد ذلك بأيام أعلن موريس شومان الذي كان آنذاك الناطق الرسمي باسم «الفرنسيين الاحرار»، أعلن من اذاعة لندن ان مواطناً فرنسياً تجرأ على تحدي الالمان والمتعاونين معهم من الفرنسيين في قلب باريس المحتلة، غير عابيء بالاخطار.

في هذه الفترة بالذات، أي عام ١٩٤٣، تقلّد فرنسوا ميتران وسام «**الفرانسيسك**» وهو وسام كانت تمنحه حكومة فيشي لكل المخلصين لها، وللذين أدوا خدمات للدولة الفرنسية وأظهروا «اخلاصهم وولاءهم للمارشال بيتان». ولم يحصل على هذا الوسام الا حوالي خمسة آلاف شخص فقط خلال الحرب، وأغلبيتهم من كبار معاوني الماريشال بيتان والمؤمنين بضرورة التعاون مع المانيا النازية. الا ان ميتران لم يقبل هذا الوسام الا بناءً على ايعاز من المقاومة.

وعلى مر السنين عاد خصومه السياسيون بانتظام الى اتهامه بالتعاون مع الالمان. وجاء آخر اتهام خلال الانتخابات الرئاسية

٩- جميعهم من السياسيين الفرنسيين الذين تعاونوا مع الالمان اثناء الاحتلال.

الاخيرة من الجنرال دو بواسيو صهر الجنرال ديغول الذي فضّل الاستقالة من منصبه كقائد أعلى لجوقة الشرف بدلاً من تقليد الرئيس الجديد هذا الوسام. وقد اجمع المراقبون على ان استقالة دو بواسيو كانت مناورة فاشلة من قبل الرئيس السابق جيسكار ديستان.

غير ان ميتران رد دوماً على هذه الاتهامات بقوله ان الاوامر الصادرة عن قيادة المقاومة نصت على قبوله « وسام الفرانسيسك » كي لا يلفت الانتباه اليه. ويضيف في كل مرة: « **تكفيني شهادة الجنرال ديغول بأنني كنت من المقاومين المتسللين داخل ادارة فيشي ومن الذين يُوصلون معلومات هامة الى لندن** ».

ماذا يقول الجنرال ديغول عن ميتران وعن مهمته؟

في الصفحة ٢٠٧ من الجزء الثاني من « مذكرات الحرب ـ الوحدة »، منشورات « كتاب الجيب »، يقول الجنرال ديغول بالحرف الواحد:

. . . « فالمعلومات التي تردنا من فرنسا بالبريد، وبنوع خاص تلك التي يُزودنا بها، من باريس، قسمنا المولج « بالتسلل داخل الادارات العامة »، والمؤشرات التي يحملها معهم الموفدون الى الجمعية الاستشارية أو الهاربون الذين تمكنوا من اجتياز جبال البيرنيه، والتقارير التي يكتبها لنا المكلّفون بالمهمات والمتنقلون بين الجزائر وفرنسا: غيلين دي بنوفيل، بورجيس مونوري، فرنسوا كلوزون، لويس مانجين، الجنرال بريزاك، الكولونيل زيلر، غاستون ديفير، اميل لافون، فرنسوا ميتران، وابن أختي ميشال كاييو، الخ . . . كانت كلها تبقينا على اطلاع متواصل على كل ما يجري ».

فهل من شهادة تعلو على شهادة زعيم المقاومة الفرنسية وقلبها

النابض؟ خصوصاً وانه يعرف جيداً، عندما كتب هذه الاسطر، ان فرنسوا ميتران لم يعد حليفه السياسي، وان طريقيهما ستلتقيان ولكن دائماً باتجاهين متعاكسين تماماً؟

ثم كُلف ميتران في نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩٤٣ بمهمات سرية في الجزائر، فتوجه الى لندن، وهناك طُلب منه ان ينخرط في حركة « فرنسا الحرة » أي ان يصير ديغولياً. الا انه تردد، وبعد العديد من المغامرات وصل الجزائر حيث استقبله الجنرال ديغول، فدار الحديث بينهما في البداية في جو من الود والارتياح الى أن طلب منه ديغول أن تتوحد المنظمات الثلاث لاسرى الحرب المنخرطين في المقاومة، ضمن اطار منظمة واحدة يكون رئيسها احد أقرباء الجنرال. فرفض ميتران وأصر على استقلالية منظمته ففتر الجو بين الرجلين. وسيظل فاتراً.

بعدها، عاد ميتران الى فرنسا وواصل نشاطه السري ٦ أشهر اضافية، الى أن جاء شهر آب / أغسطس ١٩٤٤ واقتربت جيوش الحلفاء من باريس فانتفضت العاصمة الفرنسية لتتخلص من المحتلين. فدارت « معركة تحرير باريس ». وخلالها اقتحم ميتران مع رفاقه المسلحين وزارة المحاربين القدامى بايعاز من المقاومة. وكان قد بلغ السنة الثامنة والعشرين، وعُيّن أميناً عاماً لوزارة أسرى الحرب، وطلب منه الاستمرار في السيطرة على الوزارة ريثما يصل الوزير المعيَّن من الجزائر. وبصفته هذه، اشترك في الجلسة الاولى التي عقدتها الحكومة الفرنسية المؤقتة برئاسة الجنرال ديغول في باريس، بعد تحرير العاصمة. الا أن الجنرال ديغول لم يلبث أن استبعده من هذه الحكومة.

يمكن القول أن أول اتصال جدي ومتواصل بين ميتران والشيوعيين تم خلال المقاومة. لم يكن يحبهم كثيراً. وكان أقرب

الى أحزاب اليمين منه الى اليسار، قبل الحرب. الا أن احتكاكه بهم خلال العمل السري جعله يقول:

« الفِتُ التعامل مع الشيوعيين في المقاومة وربطتني ببعضهم منذ ذلك الوقت أواصر الصداقة التي لم يقطعها الزمن... علموني الا أغمض عيني أبداً كي لا تسحقني آليتهم الرهيبة. علموني التوازن الذي يصعب تحقيقه بين الحذر الذي لا يسمح بشيء والثقة التي تتيح كل شيء. وما زلتُ عند هذا الموقف»[١٠].

دانيال والالتزام اليساري

لقنته الحرب وظروفها القاسية دروساً هامة في الوطنية والاشتراكية والسياسة. وفي الوقتْ ذاته عرّفته على شريكة حياته.

فحين عاد من انكلترا تعرف على فتاة تدعى كريستين غوز (وهي حالياً زوجة الممثل الفرنسي روجيه هانان). حدثته كريستين عن أهلها الذين كانوا يسكنون في مقاطعة برغونديا في بلدة صغيرة تدعى «كلوني» والذين يقومون هناك بنشاط هام داخل المقاومة الفرنسية. حدثته عن ابيها وعن أمها اللذين كرّسا حياتها للتعليم من جهة، وللنضال من أجل انتصار مبادىء اليسار من جهة أخرى. وحدّثته عن أخت لها تدعى دانيال لم تتجاوز بعد التاسعة عشرةمن عمرها، وبرغم حداثة سنها، فقد تطوعت في قسم التمريض بإحدى مستشفيات المقاومة. وكانت تحمل صورة لهذه الاخت الشديدة الاندفاع. وتأمل ميتران مطولاً صورة الفتاة، ثم قال بمزيج من الجدية والمزاح: «**هذه هي!... سأتزوجها**»[١١].

١٠- فرنسوا ميتران «هنا والآن».

١١- فرانس اوليفيه جيسبير «فرنسوا ميتران او اغراء التاريخ».

وهكذا كان. وتزوجها قبل أن تنتهي الحرب بقليل. وأنجبت له ثلاثة اولاد، توفي أولهم، اما الاثنان الباقيان فقد تجاوزا الآن الثلاثين: كريستوف الصحافي، وجيلبير الاستاذ والمناضل السياسي الى جانب أبيه والذي انتُخِبَ عضواً في الجمعية الوطنية الفرنسية خلال الانتخابات النيابية الاخيرة التي عقبت تولي فرنسوا ميتران رئاسة الجمهورية.

ولا شك ان زواج فرنسوا ميتران من دانيال رسخ التزامه بمبادىء اليسار وحدد له بمزيد من الوضوح الخط السياسي الذي انتهجه منذ ذلك الحين. وهو يقول عنها حتى الآن: **«ان زوجتي أكثر «يسارية» مني بكثير»**.

ودانيال ميتران معروفة بمساندتها لحركات التحرير، وعندما انتُخب زوجها رئيساً للجمهورية الفرنسية اعلنت انها، مع التزامها بواجباتها الجديدة بعد أن أصبحت سيدة فرنسا الأولى، لن تتخلى عن التزاماتها الأخرى، وفي طليعة هذه الالتزامات مواصلة تقديم العون لضحايا الديكتاتوريات المستبدة في اميركا اللاتينية. وهي الآن رئيسة لجنة مساندة السلفادور.

٢ - فرنسوا ميتران في الحكم

الرجل السياسي

ولنعد إلى عام ١٩٤٦ ، ولنتابع حياة فرنسوا ودانيال ميتران في شقتهما الصغيرة في باريس. ظروف الحياة جعلته على التوالي أسيراً ثم مقاوماً فرجلاً سياسياً. وأصبح في عداد الشباب الذين تعتمد عليهم فرنسا وتنتظر منهم الكثير، بعد انتهاء الحرب وسقوط حكومة فيشي، لاعادة بنائها.

غير انه لم ينضم لأول حكومة شكلها الجنرال ديغول فور عودته إلى باريس، لسبب بسيط، وهو ان الجنرال لم يستدعه، لأنه رفض الولاء غير المشروط، وفضل المشاركة في تأسيس حزب يحمل اسم «الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي للمقاومة» وهو تنظيم سياسي أدمج فيما بعد مع «الشعبة الفرنسية للأممية العمالية» (أي الحزب الاشتراكي الفرنسي آنذاك).

لماذا هذا الرفض؟ يعزوه بعض المعلقين إلى طموحه السياسي الذي دفعه إلى التميّز عن الالوف المؤلفة من الفرنسيين الذين كانوا يؤيدون الجنرال ديغول، بطل معركة التحرير. بينما رده آخرون لايمانه القوي، منذ ذلك الوقت، بالخط الاشتراكي العلماني، الذي كان يتفق وسياسة الجنرال ديغول في بعض النقاط ويختلف عنها في نقاط عديدة أخرى.

وفي الانتخابات النيابية الأولى التي جرت في فرنسا بعد الحرب، ترشح ميتران في مقاطعة «النييفر» وانتُخب نائباً، وأصبح كذلك عمدة مدينة «شاتو ـ شينون» وكان لا يزال يحتل هذين المنصبين عندما انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية.

وفي شاتو شينون احتُفل عام ١٩٧٢ بالـ«يوبيل النيابي» لفرنسوا ميتران وأحيت الحفلة المطربة داليدا بالاشتراك مع الموسيقار اليوناني المناضل «تيودوراكيس». وكتب ميتران بهذه المناسبة:

«خلال كل هذه السنوات، لم أغير دائرتي الانتخابية ولا حزبي ولا مجموعتي. اقترعت إلى جانب القوانين الاقتصادية والاجتماعية التي تقدم بها الاشتراكيون. وانتميت إلى ١١ حكومة، أي انني توليتُ مهاماً وزارية مختلفة تؤدي اذا جمعناها إلى سبع سنوات متتالية... وباستثناء حكومة «لانيل» التي لم أشارك فيها الا ثلاثة اشهر لعدم اتفاقي معها حول سياستها في المستعمرات، وحكومة منديس فرانس، فقد كنت دائماً وزيراً في حكومات تضم أعضاء اشتراكيين»(١٢)

ومنذ البداية برهن فرنسوا ميتران عن مواهبه الكبيرة في الخطابة والعمل السياسي والعمل القيادي، بل ربما كانت هذه الموهبة هي السبب المباشر في نجاحه. عُيّن وزيراً للمحاربين القدماء، ثم وزيراً للاعلام بعدها وزيراً لمقاطعات ما وراء البحار والشؤون الاوروبية، والداخلية والعدل. وموضع فخره الاساسي عندما يتذكر هذه الفترة (عهد الجمهورية الرابعة) انه استطاع تفادي اندلاع حرب في افريقيا السوداء عام ١٩٥٠ . وكان

١٢ـ فرنسوا ميتران «سياسة» ـ ١٩٧٧

آنذاك وزيراً لمقاطعات ما وراء البحار. ويقول ب هذه التجربة بالذات:

« دعوتُ هوفويت - بواني[١٣] إلى باريس لمناقشة اجراءات ينبغي اتخاذها بالاتفاق بيننا لتهدئة الخواطر ولتحقيق التقدم (في افريقيا السوداء الفرنسية). وأثارت هذه الدعوة احتجاجاً صاخباً. وعندما وصل هوفويت - بواني إلى فرنسا، أراد البوليس أن يعتقله فكان لا بد من « خطفه » كي يصل سالماً إلى مكتبي (في الوزارة) بدلاً من أن يُرسل إلى السجن. ولولا تأييد رئيس الجمهورية فانسان اوريول ورئيس الوزراء رينيه بليفين لكان المجلس النيابي قد استنكر مبادرتي وتخلّى عني... ولحسن الحظ كانت للجمهورية الرابعة آنذاك مشاغل كثيرة فنسيتني لوهلة، ونسيت افريقيا. فانتهزتُ هذا الاهمال، وأقصيتُ الحكام العصاة أو المترددين، وارسلتُ إلى الاراضي الافريقية بعثات للمصالحة، شارك فيها التجمع الديمقراطي الافريقي. وأصدرتُ الأوامر باجراء تحويل جذري في العلاقات الادارية والسياسية. وشرعت في اصلاح الدارات الاقتصادية. وعاشت هذه التدابير ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً[١٤].

وفي عام ١٩٥٤ كان وزيراً للداخلية، في حكومة منديس فرانس وحاول لفت الانتباه إلى الخطر المتصاعد في الجزائر. ويقول عن تلك المحاولات:

« بذلتُ المساعي العديدة لاقناع المستوطنين المتعنتين. وخُيِّل

١٣- الطبيب المناضل الذي سيصبح ويظل رئيساً لجمهورية شاطىء العاج منذ ١٩٦٠

١٤- « حصتي من الحقيقة ».

اليّ ان بعضهم قد اصغى اليّ بتفهم، سيّما وانهم تمنوا عليّ المثابرة في جهودي. لكن عندما حان الموعد وجاء وقت العمل، تحولوا إلى أعداء. ارادوا الاحتفاظ بكل شيء فوقعت الحرب واستغرقت سبع سنوات ففقدوا كل شيء. ذلك كان المخرج الوحيد لحوار العنف.

« من خلال هذه المأساة، أخذتُ أعيد النظر في الجمهورية الرابعة وفي مؤسساتها وسلوكها وأخلاقها. ولقد اتيح لي بصفتي وزيراً سابقاً فيها، أن أدافع باستمرار عن الجوانب المثمرة في تركتها. ولا يتخلف المؤرخون عن الاشادة بالعمل الذي أدته لإعادة تعمير الاقتصاد في أسوأ الظروف...

« غير ان الجمهورية الرابعة لم تكن تتمتع بمؤسسات سياسية على مستوى تطلعاتها والتزاماتها: فقد أصبح عدم الاستقرار هو القاعدة، واعتادت الجمهورية على استهلاك حكومة لكل مشكلة... ثم جاءت القضية الكبرى، قضية انهاء الاستعمار فكانت أكبر منها وتجاوزت طاقاتها، فسقطت الجمهورية الرابعة مع سقوط ما تبقى من الامبراطورية الفرنسية »[١٤]

هذا الكلام الجميل كُتب في عام ١٩٦٩. وهو صحيح، ولكن في الوقت ذاته، كان ميتران يقول أشياء أخرى. بل كان يفعل أشياء أخرى تستهدف الابقاء على الامبراطورية الفرنسية، مع ادخال اصلاحات جذرية وثورية على أوضاع المستعمَرين.

ميتران وسياسة فرنسا في مستعمراتها

أكّد ميتران مراراً ان التجربة الاساسية التي مر بها خلال

مشاركتـه في مختلـف حكـومـات الجمهـوريـة الرابعـة، تتعلـق بالمستعمرات الفرنسية وسياسة فرنسـا فيهـا ومشـاكـل الاستقلال الوطني ومعاملة المستوطنين الفرنسيين لسكان اراضي ومقاطعات ما وراء البحار، مبيّناً تطور تفكيره في مسألة المستعمرات، اذ طالما اتُهم فيما بعد بأنـه مـن أنصـار المحـافظـة على « الامبراطـوريـة الفرنسية » وبقاء الجزائر مقاطعة فرنسية.

بدأ اهتمامه بهذه القضايا ابان جولة قام بها فيما كان يُعرف آنذاك بـ « أراضي افريقيا السوداء ». واطلع عن كثب على بزوغ الحركات الوطنية وعلى تجاوزات السلطات الاستعمارية المحلية. ويقول عن تلك الجولة:

« تعرضت افريقيا للنهب على مرّ قرون طويلة، واليوم رغم استقلالها تتواصل عملية نهب ثرواتها. رأيتُ (آنذاك) التطبيق العشوائي لأموال صندوق الاستثمار والتنمية الذي كان قد بدد مبالغ هامة في عمليات معزولة محدودة، وفي غياب خطة شاملة ودون التطرق لمسألة البنى الاقتصادية.

تنقلتُ كثيراً في افـريقيـا. وكنـت استخـدم الطـائـرة في تنقلاتي. وفي كل مرة، كنت التقي بمسؤولين ما زالوا يفكرون بذهنية الزمن الذي كان الوصول فيه إلى هذه المواقع يستغرق ٣ أشهـر، والعـودة منهـا إلى فـرنسـا ٣ سنوات... رأيـت رجـالاً أهينـوا وأذِلّـوا، بـل رجـالاً استسلموا للواقع. وبرغم كل ذلك، شعرتُ بأن فرنسا محبوبة في اشخاص معلميها ومبشريها واطبائها ومهندسيها، ومحبوبة أيضاً من أجل ذاتها، ومن أجل هيبتها التي تخاطب العقل والقلب معاً. كنت اعتقد ان الأثر التاريخي الحقيقي لحرب ١٩٤٠ هو في انها دقت ناقوس الامبراطوريات

الاستعمارية، فكنت أشعر بخوف كبير على فرنسا من أن تنهار تحت ركام امبراطوريتها، ان لم تُبدِ قدرتها على مواجهة العصر الجديد. غير انني لم أكن اتصور الاستقلال الا بعد مهلة طويلة. كنت أعتقد ان افريقيا، لو حصلت على استقلالها فوراً، لتشتتت، لافتقارها إلى الهياكل والكوادر السياسية القادرة على الامساك بزمام الدولة، وان حدود هذه الدول التي رُسمت في لندن وباريس بالمسطرة والبيكار، لا ترتكز على واقع بشري أو اثني أو جغرافي. كنت اتخيل اطاراً - اعترف اليوم بضعفه - اساسه مجموعة كبيرة من الدول ذات الاستقلال الذاتي والمتحدة فيديرالياً مع فرنسا... بقيت مخلصاً لهذه الفكرة مدة طويلة وكنت ما زلت أدافع عنها في المرحلة الاولى لحرب الجزائر ووضعتها في لباس مؤسسي في ٤ شباط / فبراير ١٩٥٨ عندما رفعتُ اقتراحاً إلى الجمعية الوطنية يرمي إلى انشاء «مجموعة فرنسية - افريقية» (ولم أكن أتوقع آنذاك ان الجنرال ديغول سيُدرج في أحكام دستور الجمهورية الخامسة بنوداً مشابهة للنص الذي تقدمتُ به). اخطأت في محاولتي التوفيق بين المتضادات. فالتحرر الوطني شأنه شأن الثورة الاجتماعية لا يمكن أن يكون الا شاملاً لا يقبل بأي تنازل»[١٥].

غير ان أفكار ميتران، على اعتدالها، بدت في عصرها «جنونية». وعام ١٩٥٣ منع وزير الداخلية انعقاد ندوة دعا ميتران إلى عقدها في مدينة الجزائر حول موضوع «الاتحاد الفيدرالي الفرنسي - الجزائري». وبعدها بأربع سنوات رفض

١٥- «حصتي من الحقيقة»

رئيس الحكومة فيلكس غايار مشروع « المجموعة الفرنسية - الافريقية » الذي تقدم به ميتران، كما جاء آنفاً. وبعد تسلم الجنرال ديغول الحكم، كثيرون هم الذين اعتقدوا ان الجنرال سيحافظ على « الجزائر فرنسية » وتطلبت القضية سنوات حرب طويلة ومؤلمة قبل ان اقتنع المسؤولون بضرورة منح الجزائر استقلالها.

ويضيف ميتران انه حين تولى وزارة ما وراء البحار كانت السياسة الفرنسية في مستعمراتها تتأرجح بين « **الابوية في أحسن الايام والقمع في اسوئها** » واعمى المسؤولون بصرهم عن ادراك الظروف الجديدة وتناسوا ان بريطانيا منحت الهند استقلالها وانها تُمهّد لاستقلال مستعمراتها الافريقية، وفضلوا ارسال القوات المسلحة للقضاء على الحركات التحررية والاستقلالية، والقوا مسؤولية نشوب حركات مناهضة للاستعمار على عدد من « العملاء المأجورين »، في الوقت الذي كان يُمنَع العرب والافارقة من دخول المطاعم أو الفنادق المخصصة « للأوروبيين »، وفي حين كان محصول المزارع الاسود لا يعود عليه الا بقسم ضئيل من عائد محصول مماثل يُنتجه مزارع أبيض. ومن هنا اهتمام ميتران بهوفويت بواني الذي كان آنذاك طبيباً شاباً ومناضلاً حاول انشاء تعاونيات للمزارعين السود بغية الدفاع عنهم فاتُهم بأنه « عميل للشيوعية ».

« لقد كان تسلمي لوزارة ما وراء البحار فرصة سانحة لاعادة النظر في بعض الأمور، ومنها مفهوم معيّن للوطنية... أو هذا الانحراف في مفهوم الوطنية الذي سمح لبعض المصالح الكبرى بتغذية الحروب الاستعمارية...

« وثمة اعادة نظر ثانية، كنت اعتقد ان في امكان المجتمع

الاستعماري ان يتحول دون عنف. غير ان التجربة علمتني بأن هذا المجتمع هو العنف بذاته، وان العنف يحكمه وان العنف يردّ عليه، وانه للخروج من دائرة العنف لا بد من الخروج من المجتمع الاستعماري اذ ليس هناك أي حل وسط»[١٦].

ويذكر فرنسوا ميتران بأن الجمهورية الرابعة لم تكن لتستطيع حل هذه المشكلة المستعصية، ولا ان تضع سياسة منطقية على صعيد مستعمراتها. إذ كان المفوضون والحكام في هذه الاراضي يتصرفون دون استشارة حكومة غارقة في حرب الاحزاب وفي المناورات السياسية لانقاذ نفسها من الوقوع. فعلى سبيل المثال يروي ميتران انه عندما أُقصِي سلطان المغرب (الملك محمد الخامس فيما بعد) واستُبدل بـ «غلاوي مراكش»، لم يفكر أحد باستشارة حكومة باريس، بل كان موظفو قصر الايليزيه ما زالوا يبحثون بعدها بأيام عن اسم السلطان الجديد. ويعطي مثلاً آخر على اهمال السلطة المركزية انه عندما حدثت بعض الاضطرابات في تونس، وطلب الوزير ميتران أن تتدخل الحكومة لحلها، اجابه رئيس الوزراء والوزراء الآخرون ان **«تونس ليست الا ضيعة كبيرة ولا داعي لتدخل حكومة العاصمة في شؤون المقيم العام الفرنسي»**[١٧].

ومما لا شك فيه ان تطور فرنسوا ميتران في هذا المجال كبير وهام، سيما وانه «يعود من بعيد جداً»، كما يقول هو ذاته. فقد كان وزيراً للداخلية عندما اندلعت ثورة الجزائر، وكان له تصريح شهير قال فيه **«لا مكان للتفاوض الا الحرب، لأن**

١٦- فرنسوا ميتران «سياسة» ١٩٧٧

١٧- «حصتي من الحقيقة»

الجزائر هي فرنسا[١٨]. » ولا يَعذرُه انه لم يكن الوحيد الذي يرى هذه الرؤية. فقد وقف كثيرون من الفرنسيين إلى جانب الثورة، وكان بوسعه ان يكون منهم. انما موقفه لم يكن وليد مصلحة شخصية، ولا خضوعاً لارادة الفرنسيين المقيمين في الجزائر، أصحاب الثروات الضخمة الذين كانوا يستغلون الجزائريين والفرنسيين على حد سواء. ولم يكن فرنسوا ميتران قد انتُخب رئيساً للجمهورية الفرنسية عندما كتب عنه فرحات عباس[١٩] في كتابه « الفجر، تشريح حرب »:

« بعد زيارة المدينة المنكوبة[٢٠]، قام الوزير الفرنسي[٢١] بجولة في طول البلاد وعرضها، وخطب في رؤساء البلديات، وأمام الجمعية الجزائرية، وأمام المجلس العام في القسطنطينية. وأخيراً زار بون ومنها سافر إلى فرنسا.

« ومما قاله الوزير الفرنسي أمام الجمعية الجزائرية، في ١٩ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٥٤، مؤكداً على ضرورة انتصار القوانين الديمقراطية: يجب ان تتوطد الديمقراطية أكثر، يجب أن يجد العدد الأكبر مزيداً من الفرح، مزيداً من السعادة، ومزيداً من الارادة على المساهمة في المجموعة الوطنية، والا فإن ما تقولونه وما أقوله لا يعني شيئاً، لا يكون له أي مغزى.

« وفي الواقع، لم يعد ما يقوله يعني شيئاً، لأن الكلام والأفعال كانت من زمان تتناقض وتتضارب ».

١٨- فرانس اوليفيه جيسبر « فرنسوا ميتران او اغواء التاريخ ».
١٩- رئيس أول حكومة جزائرية في المنفى.
٢٠- المدينة المنكوبة هي اورليان فيل التي ضربها الزلزال عام ١٩٥٤، وهي مدينة الاصنام ذاتها التي ضربها الزلزال مجدداً عام ١٩٨٠
٢١- الوزير الفرنسي هو فرنسوا ميتران الذي كان وزيراً للداخلية.

لقد حاول فرنسوا ميتران مخلصاً أن يقوم بإصلاحات جذرية في الجزائر، على أن تبقى « مقاطعة فرنسية ». الا انه كان دائماً يصطدم بمعارضة أصحاب المصالح في ابقاء الوضع على حاله. كما انه لم يكن يتوفر لديه الوقت لاستكمال عمل يبدأ به، لأن الجمهورية الرابعة كانت تستهلك الحكومات بوتيرة غير معقولة. إلى درجة دفعت برئيس جمهورية الولايات المتحدة الجنرال ايزنهاور إلى القول ذات يوم: **« اتجنب الحديث عن فرنسا، خوفاً من أن أتكلم عن رئيس الوزراء السابق »**. لكن هذا لا يكفي لتفسير بعض المواقف التي اتخذها ميتران وهو في الحكم. فقد كان وزيراً في ٢٢ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٥٦، عندما أرغمت الطائرة التي تُقل الزعماء الجزائريين أحمد بن بللا، ومحمد بوضياف، وحسين آيت احمد ومحمد خيضر، على الهبوط في الجزائر. ولم يستقل احتجاجاً على هذا العمل، في حين ان الاشتراكي آلان سافاري، وزير التربية في الحكومة الاشتراكية الاولى والثانية في عهد ميتران كان هو أيضاً وزيراً، واستقال احتجاجاً على هذا العمل الذي وصفه بأنه « عمل عصابات » معتبراً ان « الجمهورية فقدت كرامتها ». كما شجب هذا العمل بعنف صديق فرنسوا ميتران وزميله بيار منديس فرانس، الذي وصف خطف الطائرة بأنه « عمل لصوصي »، والذي أسف لأنه لم يعد وزيراً كي يستقيل بدوره فتثير استقالته ضجة أكبر[٢٢].

في حين ان فرنسوا ميتران قدم استقالته من حكومة جوزف لانيال، عام ١٩٥٣، عندما كان وزيراً للمستعمرات، بعد شهرين فقط من تسلمه منصبه، وذلك لأنه وجد انه لا يتفق مع السياسة التي تنتهجها الحكومة في المستعمرات. ومما قاله وهو يعلن

٢٢ـ جان لاكوتور، « منديس فرانس » ١٩٨١

استقالته أمام الصحافيين:

« القضايا السياسية أبعد وأهم من المسائل الشخصية. فالمسألة ليست مسألة تعيين فوازار[٢٣]، انما هي مسألة السياسة التي تتبعها فرنسا في جزء واسع من أراضيها. وأفكاري معروفة، ولديّ مواقف واضحة من بعض النقاط. وهذه المواقف لا تُلزم أحداً سواي. ولم أجعل منها قضية سياسية عامة. وانني أتمنى أن تتكلل جهود الحكومة بالنجاح في مختلف الميادين. لكنني لاحظت ان أفكاري لم تؤثر التأثير الكافي على سياسة الحكومة بحيث اتمكن من الاحتفاظ بحقيبتي الوزارية. والحد الأدنى من النزاهة والشرف عند الرجل السياسي هو ان يرحل عندما لا يعود متفقاً مع الحكومة. وانني أعتبر انه، من الآن فصاعداً، يجب تحديد السياسة (التي ستسلكها الحكومة) أولاً، ثم يتم اختيار السياسيين الذين يلتزمون بتنفيذ هذه السياسة. ولقد سلكوا الطريق المعاكس، ولا يبدو لي ذلك سليماً ورشيداً »[٢٤].

وعندما قامت « العملية الهستيرية »، كما يقول جان لاكوتور عن حملة السويس، في ٢٩ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٥٦، كان فرنسوا ميتران وزيراً للدولة وزيراً للعدل. وكان الشخصية الثانية في حكومة غي موليه. وكان على علم بما يُعَد في الخفاء... ولم يستقل. بل انه هو الذي تولى الدفاع عن موقف الحكومة أمام مجلس الشيوخ، حيث القى خطاباً ندّد فيه **« بالأصوات الناشذة »** التي تنتقد الحكومة، **« بينما الجنود الفرنسيون يقاتلون في الخارج »**. وبعد أن تساءل ميتران، أمام الشيوخ، عما إذا كانت

٢٣- « فوازار »، موظف فرنسي كبير، كان تعيينه كحاكم في افريقيا الفرنسية سبباً في تفجير الازمة بين فرنسوا ميتران ورئيس الحكومة جوزيف لانيال.

٢٤- جريدة لوموند في ١٩٥٣/٩/٤

فرنسا هي المشاغبة، أو هي التي أقفلت قنال السويس في وجه اسرائيل، أو هي التي تغذي الثوار الجزائريين بالسلاح والمال، انتقل إلى القول بلهجة التهديد:

«اما إذا لم يكن هذا صحيحاً، اما إذا كان بلدٌ آخر أو حكومة أخرى، اما إذا كان دكتاتور قضى الأسابيع والأشهر الأخيرة التي برهنّا فيها عن كثير من الصبر. وهو لم يُوفر الدم ولا التهديد ولا الكلام وأخيراً ـ وفي الساعة التي نحن فيها الآن ـ لم يوفر الخطر على السلام ذاته، عندئذ اسمحوا لي أن أقول كم هم مجرمون، اولئك الفرنسيين الذين لا يساعدوننا في التغلب على القدر».[٢٥]

ولعله من المفيد أن نُذكّر هنا بموقف بيار منديس فرانس من هذه العملية. فقد سار في الاتجاه المعاكس تماماً لفرنسوا ميتران، بادر إلى مقابلة غي موليه، عندما أدرك أن رئيس الوزراء قرر القيام بالعملية، وحثّه على العودة عن **«مثل هذه الحماقة»**، وأصدر بياناً عبّر فيه بوضوح عن قلقه بشأن السلام، ودعا إلى عقد مؤتمر رباعي لحل المشكلة، وجمع الوزراء الذين ينتمون إلى حزبه الراديكالي ونبّههم إلى خطورة ما هم مقدمون عليه. وباختصار بذل كل ما في وسعه من جهد من أجل وقف الحملة المشؤومة. وقد كتب يقول، بعد انقضاء شهر على العملية:
«اعتقد من صميم القلب انني استخدمت كل السلطة والهيبة التي كنت اتمتع بها كرئيس سابق لمجلس الوزراء، وكعضو في الجمعية الوطنية، وكنائب ورئيس حزب كبير، للحؤول دون أن تنجرف البلاد في مغامرة لانزال نجهل كل مضاعفاتها».[٢٦]

٢٥ـ فرنسوا ميتران «سياسة» ١٩٧٧

٢٦ـ جان لاكوتور، «منديس فرانس» ١٩٨١

٣- فرنسوا ميتران في المعارضة

مرحلة الرفض

سقطت الجمهورية الرابعة وجاءت حركة الثالث عشر من مايو / أيار ١٩٥٨، وعاد الجنرال ديغول بعد فترة طويلة من الانعزال والصمت، وحظي بتأييد شعبي كبير، وعلقت الجماهير آمالها على هذا «المنقذ». الا ان ميتران رفض مجدداً الانسياق في التيار العام، وبدأ مرحلة جديدة من المعارضة والرفض. وانضم إلى جوقة الذين رأوا في عودة الجنرال ديغول على هذا النحو تهديداً للمؤسسات الجمهورية، واعتبروا ان «الانقلاب الديغولي»[٢٧] ليس الطريق الوحيد للخلاص من الصعوبات والمنازعات التي تمزق فرنسا آنذاك. ولم يكن غي موليه، زعيم الشعبة الفرنسية للأممية العمالية، من هذا الرأي، إذ انه بادر إلى الاجتماع بالجنرال ديغول، وأعلن تأييده لعوته وأصبح وزيراً في حكومته الأولى.

«من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٥، قضيتُ سبع سنوات من النضال الصعب ومن الصمود في وجه الضغط الجبار الذي كانت تمارسه السلطة. وقضيتُها أيضاً في التفكير والتأمل. لم

٢٧- يجدر التذكير بان رئيس الجمهورية رينه كوتي استدعى الجنرال ديغول عام ١٩٥٨ لتشكيل الحكومة، بعد حركة تمرد وعصيان من قبل القوات الفرنسية في الجزائر.

اترك الاوهام تستهويني. وعندما نصَّبتِ الجمعية العامة الجنرال ديغول رئيساً، يّذكر أصدقائي انني جمعتُهم لأقول لهم «سيستمر الوضع على هذه الحال لمدة ١٠ سنوات». كنت من الذين يعارضونه معارضة قاطعة وليس من الذين يبكون عهداً ولّى دون رجعة. حاولت جاهداً الا أخلط بين ما كان يحمل علامة الديغولية وما يحمل علامة عصرنا الحاضر. كان كل شيء قد تغير وكان لا بد من مراعاة هذا التغيير»[٢٨].

هل كانت معارضة فرنسوا ميتران تشكل خطراً على النظام؟ هل دُفع بعض المتآمرين إلى محاولة اغتياله في الخامس عشر من أكتوبر / تشرين الاول عام ١٩٥٩؟ وهل عقد المتآمرون النية على قتله فعلاً؟ أم أرادوا الاكتفاء بالقضاء على سمعته، وقتله معنوياً؟ اسئلة عديدة بقيت دون جواب واضح إثر ما سُمي بـ«قضية الاوبسرفاتوار» حين قام مجهولون باطلاق النار على سيارة فرنسوا ميتران، فأصابوا السيارة واخطأوه.

تقول الرواية التي يرويها خصوم ميتران، انه دبّر بنفسه محاولة الاغتيال الفاشلة للفت الانظار اليه. ويستند هؤلاء إلى ما نشرته صحيفة «ريفارول» بعد الحادث بأيام، ومفاده ان ميتران اتصل شخصياً بنائب سابق يدعى «بيسكيه» وطلب منه تنظيم هذه المحاولة (والصحيفة المذكورة عرفت بمعارضتها لكل المقاومين وتأخذ عليهم ما ارتكبوه من تجاوزات في حملات «التطهير» التي عقبت تحرير فرنسا).

وجاءت الصحيفة بتفاصيل عديدة حول عدد اللقاءات التي تمت بين الرجلين لاعداد العملية. وكيف انتظر بيسكيه أن يغادر ميتران

٢٨- «حصتي من الحقيقة».

سيارته، بعد ملاحقة زائفة، قبل أن يطلق عليها نيران رشاشه.

كان فرنسوا ميتران قد أقام دعوى على مجهول، ولم يأتِ على ذكر بيسكيه في افادته عن الحادث. ولكن النيابة العامة تحركت، بعد ظهور أخبار جريدة «ريفارول» وبادرت إلى اعتقال بيسكيه. ولدى استجوابه، أكّدَ الشائعات وقال انه يملك دلائل قاطعة على كل ما صرّح به «لريفارول». رفع عليه فرنسوا ميتران دعوى، واتهمه بمحاولة اغتياله من جهة وبالتشهير والتشنيع من جهة أخرى. وكذّب كل ادعاءات بيسكيه وقال انه وقع ضحية مؤامرة دبرها اعداؤه، وان بيسكيه أخبره فعلاً ان هنالك مجموعة تستعد لقتله، ونصحه بالا يعود لمنزله هذا المساء بل ان يلجأ إلى «حي الاوبسرفاتوار» قرب حديقة اللوكسمبورغ. واعترف ميتران بأنه أخفى هذه الحقائق عن القضاء في البداية، تعبيراً منه عن شكره لبيسكيه لأنه أخبره بالمحاولة. وكان ذلك كافياً لتوجيه تهمة «تحقير القضاء» اليه وهو المحامي ووزير العدل السابق. فطلبت النيابة العامة رفع الحصانة عنه كأحد أعضاء مجلس الشيوخ لاحالته أمام المحاكم. وهذا ما تم بعد كثير من المناقشات في مجلس الشيوخ في ٢٥ نوفمبر / تشرين الثاني. الا ان بيسكيه كان يناقض نفسه كل يوم، ويضلّل التحقيق إلى ان انتهت المحكمة إلى اصدار قرار «بعدم وجود وجه لاقامة دعوى ضد ميتران»، عام ١٩٦٦. وكذلك بعدم وجود وجه لاقامة دعوى بالنسبة لبيسكيه فيما يختص بمحاولة الاغتيال. الا ان بيسكيه حوكم لأسباب أخرى، منها حمل السلاح الحربي ووضع قنبلة في أروقة المجلس النيابي عام ١٩٥٨، وتشكيل شبكة لمنظمة العمل السرية (المنظمة التي كانت تعارض استقلال الجزائر وتستهدف اغتيال الجنرال ديغول). وفضّل بيسكيه الفرار من فرنسا قبل ان يصدر عليه الحكم غيابياً بالسجن عشرين سنة.

اما فرنسوا ميتران فقد ظل مصرًّا على انه ذهب ضحية مؤامرة حاول اصحابها توريطه فيها بأساليب دنيئة.

المعارك الانتخابية

خلال الفترة نفسها، عكف فرنسوا ميتران على الدراسة والتأليف كما قام بزيارة عدد من البلدان أهمها الصين حيث استقبله ماوتسي تونغ. ومن مؤلفاته في هذه الفترة: «الصين أمام التحدي» «الانقلاب الدائم» الذي ضمّنه كل انتقاداته للنظام الديغولي. وكان قد دفع مقعده النيابي ثمناً لمعارضته الجنرال ديغول، إذ فشل في الانتخابات النيابية التي عقبت عودة الجنرال إلى الحكم، ولذلك لجأ إلى مجلس الشيوخ، وكان شيخا عندما تعرض لقضية الاوبسرفاتوار، كما رأينا.

عام ١٩٦٥، طرح الجنرال ديغول ترشيحه لرئاسة الجمهورية لولاية جديدة على رأس الدولة. وكانت تلك المرة الاولى التي تجري فيها انتخابات الرئاسة بطريقة الاستفتاء العام. وكان كل شيء ينبىء بأن الشعب الفرنسي سيجدد الرئاسة لديغول بأغلبية ساحقة. فالمعارضة اليسارية في هذا الوقت هزيلة ومنقسمة على بعضها.

كل شيء... الا فرنسوا ميتران الذي أراد أن يوحد اليسار وأن يبرهن عن قدرته على تشكيل معارضة قوية. فبادر إلى تشكيل ائتلاف يساري دمج فيه حزبه (الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي للمقاومة) اسماه مؤتمر المؤسسات الجمهورية، وحصل على تأييد الحزب الراديكالي والحزب الشيوعي والشعبة الفرنسية للأممية العمالية. وفور ذلك قدم ترشيحه للانتخابات الرئاسية. ولم يُثر هذا الترشيح ضجة كبيرة ولا حماساً، ولم تعطه عمليات استطلاع الرأي الاولى أكثر من ١١ بالمئة من أصوات الناخبين.

غير انه استطاع أن يكسب مزيداً من المؤيدين خلال الحملة الانتخابية، حتى انه حصل في الدورة الاولى على ٣٢ بالمئة من الاصوات و ٤٤ بالمئة في الدورة الثانية حيث التف حول ترشيحه كل المعارضين للجنرال ديغول.

واعتُبرت هذه النتيجة نجاحاً كبيراً في صفوف اليسار، وخير برهان عن ان قوة المعارضة اليسارية تتوقف على تماسكها وتآلفها. وعكف ميتران على تحقيق هذا التماسك ابتداء من عام ١٩٦٦. فحاول طيلة سنتين التوصل إلى اتفاق بين تجمع الاحزاب الذي يمثله (الشعبة الفرنسية للأممية العمالية ومؤتمر المؤسسات الجمهورية والحزب الراديكالي) من جهة والحزب الشيوعي وعلى رأسه الأمين العام فالديك روشيه، من جهة أخرى. وتكللت هذه الجهود بالنجاح اذ أُعلن الاتفاق على برنامج اقتصادي وقاعدة انتخابية مشتركة في ٢٠ ديسمبر / كانون الاول ١٩٦٦. وأثمر جهد فرنسوا ميتران، ونجح اليسار في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٧ نجاحاً لم يكن يتوقعه أحد وكاد يطيح بالأغلبية الديغولية إذ تمكن من انتزاع عدد من المقاعد يساوي تقريباً عدد مقاعد الأغلبية. وكان الفرق نائباً واحداً، إذا ما استثنينا نواب مقاطعات ما وراء البحار. وبدلاً من أن يحفز هذا النجاح همة المعارضة، إذا بأحزاب اليسار تعود إلى نزاعاتها الداخلية وإلى تنافسها على رئاسة المعارضة. وظلت على هذا المنوال، إلى أن هبّت رياح ربيع مايو / أيار عام ١٩٦٨، فكادت تطيح بها وبالنظام بأسره.

أحداث أيار / مايو ١٩٦٨

انطلقت الشرارة من حادثة في جامعة نانتير، بالقرب من باريس، وسرعان ما تحول الاحتجاج على النظام الجامعي إلى مطالبة بتعديل التعليم بأسره، وإلى رفض للمجتمع الاستهلاكي.

واحتل الطلاب الجامعات وحولوا ليل باريس إلى مظاهرات ومناقشات، قبل ان يقيموا الحواجز ويلقوا قنابل المولوتوف على رجال الشرطة. وفي جو الاستقرار والبحبوحة الذي كانت تعيشه فرنسا، وفي غياب الازمة التي لم يكن يلوح لها شبح في أفق أكثر المتشائمين، لم يجد الفرنسيون ضرراً في اقامة مثل هذا «الاحتفال الكبير»، بل وجدوا فيه متنفساً لهم وحافزاً على تحركهم. ونظر الباريسيون بعين العطف إلى حركة الطلاب، خصوصاً وان الاصطدامات مع رجال الشرطة لم تؤد أبداً إلى وقوع ضحايا. وكان بعضهم يذهب «ليتنزه ويسهر ويناقش هؤلاء الشباب الذين يزخرون بالخيال». ولم يلبث أن اقتدى العمال «باخوانهم» الطلاب، فاحتلوا المصانع وأعلنوا الاضراب، وتوقفت الالة الاقتصادية في مختلف انحاء فرنسا عن العمل.

حاول السياسيون والاحزاب اليسارية بنوع خاص احتواء هذه الحركة العفوية وغير المنظمة، وتسييرها في قنوات تصب لمصلحتها. لكن ذلك لم يكن سهلاً. وحاولت السلطة التصدي لها بكل الوسائل الا بالقوة، فلم تفلح، مما حمل ميتران على قول كلمته الشهيرة في مؤتمر صحافي عقده ليعلن استعداده واستعداد اليسار لتولي الحكم أمام فشل المسؤولين في الرد على التساؤلات الكبرى التي أثارها الطلاب. قال ميتران «السلطة على الارض ولم يبق الا ان نلمها». لكنه كان قد تسرّع في حكمه، ولم يدرك ان الجنرال العجوز لم يقل كلمته الاخيرة. وفي مناورة بارعة، تمكن ديغول من استعادة زمام الموقف، عندما اختفى دون أن يُعلم أحداً، حتى ولا رئيس وزرائه جورج بومبيدو، عن الانظار، وظل «ضائعاً» يومين، احتار فيها الفرنسيون بأمره، وخافوا من «المجهول» الذي ينتظرهم، وبدأوا يدركون أن حالة الفوضى هذه لا يمكن أن تستمر وان الطلاب والعمال ذهبوا بعيداً

جداً. وعندما عاد ديغول ـ وكان قد ذهب سراً إلى بادن بادن في المانيا الغربية ـ وظهر على شاشة التلفزيون، وقال انه مستمر في الحكم وانه يعلن حل الجمعية الوطنية ويدعو إلى اجراء انتخابات نيابية، قلب الموقف لمصلحته، خصوصاً وانه وعد بإجراء الاصلاحات اللازمة وبتحقيق المطالب المحقة. وعبثاً حاول فرنسوا ميتران الوقوف في وجه التيار، وجرت الانتخابات النيابية، وأرسل الفرنسيون إلى الجمعية الوطنية أكثرية ساحقة من النواب الديغوليين.

لكن الجنرال ديغول كان قد تقدم في السن وشعر انه لن يتمكن من تحقيق الاصلاحات التي يصبوا اليها والتي وعد الفرنسيين بها. ولم تمض سنة تقريباً على احداث مايو / ايار ١٩٦٨، حتى تقدم بمشروع اصلاحي ضخم حول المشاركة واللامركزية، وطرح هذا المشروع للاستفتاء العام. وعلّق استمراره في الحكم بنجاح هذا الاستفتاء. وتنادت قوى المعارضة لمحاربة المشروع، لا كرهاً به انما تخلصاً من الجنرال ديغول. الا ان الضربة القاضية جاءت من حليف الامس، من فاليري جيسكار ديستان الذي كان ديغول قد جعل منه أصغر وزير مالية عرفته فرنسا. فقد أعلن جيسكار ديستان مناوأته للمشروع ودعا حزبه ومؤيديه للاقتراع ضده. ولم يحصل مشروع ديغول على الاكثرية اللازمة، فلم يعد الجنرال إلى قصر الاليزيه الذي كان قد غادره ظهر السبت إلى منزله في كولومبي ليه دوزيغليس في نهاية ابريل / نيسان ١٩٦٩.

احداث مايو / أيار ١٩٦٨، أو ربيع باريس، احداث مهمة دمغت تاريخ فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين. ماذا يقول عنها فرنسوا ميتران؟

« في جميع البلدان الصناعية، في الشرق أو في الغرب، زعزع الشباب الهياكل البالية وهزّ الانظمة القائمة واتخذت ثورته شكلاً عشوائياً وفوضوياً. فقُمعت بقسوة. غير انها ايقظت ضمير الطبقات الحاكمة وتطلعات الجماهير النائمة... اتردد في الكتابة ان حضارة السيارة والبراد والتلفزيون تشعر بضيق وارتباك. غير اني أكتب ذلك لأنني أيضاً أشعر بالحاجة إلى جواب غير الجواب الذي تقترحه هذه الحضارة. لكنني أعرف انني لن أحصل على هذا الجواب من المجتمع الجديد الذي أنادي به اذا ما تحول هذا المجتمع بدوره إلى مجتمع جامد، مقتنع بارتياحه الفكري والاخلاقي والمادي. تكون الثورة من أجل العدالة الدائمة والا فانها تكذب على نفسها. والاشتراكية التي تتوقف لتستريح ستنضم لا محالة إلى قافلة الالهة الميتة »[٢٩].

بعد ذهاب الجنرال، شعر فرنسوا ميتران أنه غير مهيأ لخوض المعركة الرئاسية، سيما وان الكلمة لم تجمع عليه لأن اصدقاءه اليساريين حمّلوه قسماً من مسؤولية الهزيمة الانتخابية التي عقبت احداث مايو / أيار ١٩٦٨. وقررت أحزاب اليسار أن يكون لكل منها مرشحها، لمواجهة المرشح الديغولي جورج بومبيدو. وترشح غاستون ديفير عن الاشتراكيين، ودعمه ميتران، لكنه جمع ٥،٠٧ بالمئة فقط من الأصوات، وهي أدنى نسبة يحصل عليها الحزب الاشتراكي في تاريخه. وانتخب جورج بومبيدو رئيساً للجمهورية. ودخل ميتران مرحلة جديدة من حياته السياسية، تميزت بالصعوبة وبالانتقادات العنيفة، كما تميزت بعمله الدؤوب من أجل جمع شمل اليسار. ويقول ميتران عن هذه المرحلة:

٢٩- « حصتي من الحقيقة ».

« كنت بنظرهم ذلك الذي اراد ان يقتل الاب، رب العائلة، الوصي الاكبر... نسوا انني حاربتُ النظام ورئيسه طيلة ١٠ سنوات دون توقف، وكانوا، طالما هم معتقدون انني لن أنجح في ذلك، يُعربون لي عن شيء من التقدير بل والتشجيع. ولكن حين لاحت النهاية، تراجع الجميع بهلع. ولم تكن اغلبية الفرنسيين مستعدة للتضحية بعد »[٣٠].

خلال هذه المرحلة، لم يبقَ لميتران إلا اصدقاؤه الأوفياء والمطالعة والتفكير. وابتعد قليلاً ولفترة قصيرة عن مسرح السياسة ليعكف على التأمل والتخطيط للمستقبل.

« اضع السياسة في مرتبتها الحقيقية وهي ليست المرتبة الاولى. فالسياسة خادمة العلم والناطقة المتواضعة باسم الفلسفة. كما انها لا تملك الطاقة الابداعية التي يمتلكها الفن. ولو ضلّت عن معرفة الطبيعة وأعمال الانسان اليومية، لجفّ عودها بسرعة. عملتُ، وحلمتُ، وتمشيتُ، وتعلمتُ من جديد حب الاشياء والمخلوقات... وسافرت أيضاً كثيراً ».

٣٠- « سياسة ».

٤ ـ فرنسوا ميتران الاشتراكي

توحيد الحزب

كانت هذه الفترة في الواقع، فترة النضوج السياسي، وخلالها تمكن ميتران أخيراً من تحقيق هدف رئيسي من أهداف عمله السياسي، عندما نجح في توحيد كل الحركات اليسارية غير الشيوعية، تحت راية الحزب الاشتراكي، واختاره الحزب اميناً اولاً له، وهو الذي لم ينتمِ يوماً من الأيام إلى الشعبة الفرنسية للأممية العمالية. ولم تمضِ سنة على توحيد الحزب الاشتراكي، حتى كان يحقق هدفاً رئيسياً ثانياً، الا وهو توقيع برنامج حكم مشترك مع الحزب الشيوعي وذلك في حزيران / يونيو ١٩٧٢.

وبدتِ المعارضة جبهة واحدة قوية ومتراصة، باستثناء فلول بعض اليساريين المتطرفين، وعاد الأمل بالفوز وبالتغيير بالطرق الديمقراطية يدغدغ أحلام اليسار. ومن ٥،٠٧ بالمئة من الأصوات التي جمعها مرشح الحزب الاشتراكي غاستون ديفير عام ١٩٦٩، ارتفعت نسبة الأصوات التي حصل عليها الاشتراكيون في الانتخابات النيابية عام ١٩٧٣ إلى ١٩،٤ بالمئة. ولم تفز المعارضة في تلك المعركة، لكنها حققت قفزة كبيرة إلى الامام، حتى باتت الاكثرية ذاتها تخشى على نفسها من الخسارة. وبرز فرنسوا ميتران كزعيم للمعارضة، وكموحد لليسار، وبدا انه المسؤول الأكبر عن اعادة احياء شعلة الاشتراكية في فرنسا بعد أن

كاد يقضي عليها غي موليه، واقتنع الفرنسيون بانه خليفة جان جوريس وليون بلوم، وانه من طينتهم.

حدد التاريخ موعداً جديداً لليسار في الثاني من ابريل / نيسان ١٩٧٤ اثر وفاة جورج بومبيدو بعد مرض اليم ومزمن. فعلق اليسار املاً كبيراً على الانتخابات الرئاسية المقبلة. واتفق اليسار بما فيه الحزب الشيوعي على تقديم مرشح واحد هو فرنسوا ميتران (باستثناء بعض المجموعات المتطرفة الصغيرة كالتروتسكيين وحركة الكفاح العمالي). اما اليمين فقد كان منقسماً بين مرشحين اثنين هما جاك شابان دلماس وريث الديغولية، وفاليري جيسكار ديستان الاقتصادي البارع والممثل لليمين الليبرالي وارباب العمل. وجاءت نتائج الدورة الاولى في الخامس من مايو / ايار ١٩٧٤ كما يلي:

فرنسوا ميتران	**٤٣،٣ بالمئة**
فاليري جيسكار ديستان	**٣٢،٩ بالمئة**
جاك شابان دلماس	**١٤،٥ بالمئة**

وظن اليسار أن النصر بات قريباً. غير أن التخوف من الشيوعية اثّر على تصويت العديد من الفرنسيين خلال الدورة الثانية. كما ان مقابلة متلفزة نُظمت بين المرشحيْن خلال الدورتين سمحت لفاليري جيسكار ديستان بتسجيل نقاط على منافسه الاشتراكي وذلك بمعالجة المواضيع الاقتصادية والمالية بصورة بارعة. وساد الاعتقاد ان فرنسوا ميتران ليس «ضليعاً» في الاقتصاد، ولا يحفظ في ذاكرته الارقام والاحصائيات ويجهل تفاصيل الادارة المالية. وقيل بعد ذلك ان الخبراء الاقتصاديين في الحزب الاشتراكي، وعلى رأسهم جاك اتالي، قد عكفوا على «تعليمه» هذه المواد.

وايا كان الأمر، فقد رجحت كفة جيسكار ديستان في الدورة الثانية، في ١٩ مايو / ايار، فانتصر على ميتران وانتُخب رئيساً للجمهورية الفرنسية لمدة سبع سنوات وكان الفارق بين المرشحين لا يتجاوز ٣٠٠ ٢١٢ صوت من أصل ٨٠٠ ٨١٤ ٢٥ صوت.

على طريق الانتصار

من ١٩٧٤ إلى ١٩٨١ بقيت فرنسا منقسمة إلى قسمين رغم الجهود التي بذلها جيسكار ديستان في بداية ولايته بغية التقرب من أحزاب الوسط واليسار المعتدل. ولاحت بوادر الازمة الاقتصادية وبدأت الاوضاع تتدهور داخلياً بالتدريج وارتفعت ارقام البطالة.

أراد ميتران للحزب الاشتراكي خلال هذه السنوات السبع أن يصبح محور المعارضة الاساسي وأن يجمع حوله كل الباحثين عن العدل والتقدم من الوسط المعتدل إلى اليسار، وحاول أن يبتعد في آن واحدٍ عن الميول اليمينية الموجودة لدى بعض الراديكاليين (أمثال جان جاك سرفان شرايبر) والديماغوجية الشيوعية التي سرعان ما تنقلب إلى عمليات انتحارية في فترة الانتخابات.

عام ١٩٧٤، عُقد في باريس مؤتمر اشتراكي كبير انضم خلاله إلى حزب ميتران عدد من أعضاء «الحزب الاشتراكي الموحد» (الذي كان على يسار حزب ميتران) وعلى رأسهم ميشال روكار. ثم عُقد مؤتمر آخر في مدينة «بو» ظهر خلاله عدد من التيارات داخل الحزب الاشتراكي: تيار روكار وتيار جان بيار شوفينمان زعيم «السيريس»[٣١] الذي ينادي باتجاه أكثر ثورية

٣١- «سيريس» هي الأحرف اللاتينية الاولى لاسم مركز في الحزب الاشتراكي هو «مركز الدراسات والابحاث والتربية الاشتراكية».

للحزب. الا ان نجاح اليسار الموحد في الانتخابات البلدية لعام ١٩٧٧ شجع الجميع على مزيد من التماسك والتضامن، إذ كان متوقعاً أن يحصل اليسار على الاغلبية المطلقة في الانتخابات النيابية لعام ١٩٧٨، وذهب المعلقون إلى تصور الرئيس فاليري جيسكار ديستان مكرهاً على تعيين فرنسوا ميتران رئيساً للوزراء (بصفته رئيس الاغلبية النيابية التي ستخرج من صناديق الاقتراع) وإلى تخيل عدم الاستقرار السياسي الذي سينجم حتماً عن مثل هذا الوضع، إذ ستكون الحكومة يسارية والرئيس يميني معارض لها[٣٢].

فشل برنامج الحكم المشترك

غير ان اليسار عرف نكسة جديدة قضت على آماله. فقد تبين للحزب الشيوعي، بنتيجة الحملات الانتخابية، ان عدد مؤيديه يقلّ لمصلحة الحزب الاشتراكي، وان الاتحاد يخدم الاشتراكيين أكثر مما يخدم الشيوعيين. وكان الحزب الشيوعي دائماً، منذ نهاية الحرب، في طليعة احزاب اليسار في كل مناسبة انتخابية. ثم دخل الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي والحزب الراديكالي في مفاوضات عُرفت باسم «مفاوضات تحديث البرنامج المشترك» (الذي كان قد وضع عام ١٩٧٢ ولا بد بالتالي من تعديله، عام ١٩٧٧، كي يتلاءم والأوضاع الجديدة). وكان الجو مشحوناً والاختلاف كبيراً حول ثلاث نقاط أساسية: التأميمات، والتوسع في القوة النووية، والسياسة الخارجية. وتتالت الاجتماعات والمباحثات. وكان اليمين في الوقت ذاته يردد ان الحزب الشيوعي يود أن يستخدم الحزب الاشتراكي «كحصان طروادة» للوصول

٣٢- صدر كتاب يحلل مثل هذا السيناريو ويعطي «١٠٠ يوم لميتران» كي ينجح أو يفشل.

إلى الحكم، كي يفرض بعد ذلك عليه سياسة اقتصادية ديماغوجية تعتمد على تأميمات واسعة النطاق وضرائب مرتفعة على الصعيد الداخلي، وتبعية لموسكو على الصعيد الخارجي. ولجأ اليمين إلى كل الوسائل من اجل تخويف الناخبين.. ومن الشعارات التي رفعها ان الشيوعيين اذا وصلوا إلى الحكم، فلن يتخلوا عنه ابداً وساعدهم الشيوعيون في ترسيخ هذا الاعتقاد، اذ انهم كانوا يزايدون على الاشتراكيين مزايدة لا يمكن أن يتحملها الناخب الفرنسي. وأمام تصلب الشيوعيين ومزايداتهم، وصلت المباحثات حول التأميمات إلى طريق مسدود. وفي الرابع عشر من سبتمبر / ايلول ١٩٧٧، وبعد ساعات مضنية من المفاوضات الفارغة، خرج روبير فابر، رئيس الحزب الراديكالي ووقف أمام الصحافيين ليعلن سخطه على موقف الحزب الشيوعي خلال المباحثات، بحضور امينه العام جورج مارشيه. قال روبير فابر:

«ان الراديكاليين قد شاركوا في هذا الاجتماع انطلاقاً من عزم صادق على التوصل إلى اتفاق يدعم وحدة اليسار، بفضل برنامج مشترك يستجيب لتطلعات الفرنسيين ولحقائق عصرنا. غير انهم يعربون عن اسفهم لكون الحزب الشيوعي قد تمسك باقتراحاته الجديدة التي تمس بطبيعة المبادىء التي ارتكز عليها البرنامج المشترك منذ البداية»[٣٣]

وكان حجر العثرة الأساسي في هذه المفاوضات التأميمات التي كان يرفضها الحزب الراديكالي ولا يقبل منها الحزب الاشتراكي الا عدداً قليلاً. غير ان نقاطاً عديدة أخرى كانت تثير الخلاف. فتوقفت المفاوضات وأعلنت نهاية البرنامج المشترك من جانب واحد. وانهالت الانتقادات من كل الجوانب على فرنسوا ميتران.

٣٣- جريدة «لوموند» ٥ سبتمبر / ايلول ١٩٧٧

الحزب الشيوعي يعتبره المسؤول عن توقف المحادثات ويشكك بنواياه الاشتراكية بل يتهمه بالتملّق لليمين والسير في ركابه. واليمين يسخر من تمزق الجبهة اليسارية ويؤكد ان في ذلك خير برهان عن ان ميتران لن يستطيع التخلص من ضغط الشيوعيين، وانه واقع تحت سيطرتهم. وادى كل ذلك إلى انتصار كبير لليمين في الانتخابات النيابية عام ١٩٧٨، مع تسجيل تقدم بطيء للحزب الاشتراكي، وتراجع للحزب الشيوعي. وتأكد اليمين من قوته وثباته وتنبأ بانتصار فاليري جيسكار ديستان في الانتخابات الرئاسية المقبلة وتجديد ولايته لسبع سنوات أخرى. وفي غمرة هذا الانتصار، لم ينتبه اليمين إلى ان تراجع الحزب الشيوعي يخدم، في النهاية فرنسوا ميتران. لأن هذا التراجع يتم لمصلحة ميتران وحزبه من جهة، ولأنه، بنظر الفرنسيين، يحرر ميتران والحزب الاشتراكي من سيطرة الحزب الشيوعي.

ميشال روكار المنافس الأكبر

عمد الشيوعيون بعد هذا الفشل إلى معاملة فرنسوا ميتران على انه «رجل الماضي» تماماً كما كان قد نعته فاليري جيسكار ديستان خلال المقابلة المتلفزة الشهيرة، معتبرين انه لا يمكن الاعتماد عليه من الآن فصاعداً. ولا كان في نيتهم الاعتماد على أي اشتراكي آخر. كما ابتعد عنه روبير فابر رئيس الراديكاليين اليساريين. وفي أول مؤتمر للحزب الاشتراكي عقد بعد الهزيمة، ساد جو من التوتر وخيبة الامل، وأعاد كثير من المسؤولين لاشتراكيين النظر في زعامة ميتران، وشكّكوا في قدرته على لترشيح للمرة الثالثة للانتخابات الرئاسية. وتحولت الانظار إلى يشال روكار الذي أصبح محط أنظار الحركة الاشتراكية الجديدة شابة والطموحة، فزادت الانقسامات داخل الحزب، بينما كان

بيار مورروا يحاول جمع التيارات المختلفة، ويعمل جاهداً على تجنيب الحزب التجربة المرة التي عاشها في الستينات. وعرف فرنسوا ميتران مرحلة صعبة، صوره خلالها اعداؤه الدائمون وحلفاء الأمس على انه «المرشح الدائم للترشيح الرئاسي» الذي يفضل طموحه الشخصي على مصلحة اليسار.

مع ذلك، استمر فرنسوا ميتران يُمسك بحزم بزمام الحزب الاشتراكي، محاطاً بجيل جديد من المسؤولين الاشتراكيين أمثال: ليونيل جوسبن ولوران فابيوس وجاك لانغ وبيار بيريغوفوا وجاك اتالي وروبير بادنتير...

وكان فرنسوا ميتران كثيراً ما يلجأ، خلال هذه الفترة، إلى منزله في مقاطعة النييفر ويطالع ويفكر ويرتاح للحياة مع أفراد اسرته وأعز اصدقائه. وكثيراً ما التقط الصحافيون صوراً له في منزله مع ابنيه وحفيدته، وكذلك وهو يمشي في البساتين أو يطعم حماريه «بندق» و«كستناء» أو يلعب مع كلابه. وكم مرة طُرح عليه السؤال خلال هذه السنوات الثلاث الأخيرة:

- هل تتقدم للانتخابات الرئاسية عام ١٩٨١؟

ويبقى السؤال دون جواب. فرنسوا ميتران يلتزم الصمت والتحفظ، ويُصغي لضوضاء العاصمة وللمشاكل التي يصطدم بها جيسكار ديستان، ويدرس مفعول الازمة الاقتصادية على التقدم الاقتصادي والاجتماعي في فرنسا.

خلال الفترة ذاتها، أبدى فرنسوا ميتران نشاطاً كبيراً في اطار الاممية الاشتراكية، إذ حضر جميع اجتماعاتها ووطّد صداقات عميقة مع العديد من زعمائها: الالماني فيلي برانت والكوبي فيديل كاسترو واليوناني ميكيس تيودوراكيس والاسباني فليبه غونزاليس

والبورتغالي ماريو سواريز، وعدد من القادة الأفارقة والاسيويين، وبينهم ليوبولد سنغور رئيس السنغال، ومن الشرق الاوسط الاسرائيلي شيمون بيريز، بعد صداقة «يعتز بها» مع غولدا مائير. أما العرب فقد ربطته علاقةٌ بمحمد حسنين هيكل، أدت به للقيام بزيارة إلى القاهرة قبل أبعاد هيكل عن الاهرام بأيام. كما أعاد العلاقة مع الجزائريين واستقبله الرئيس الشاذلي بن جديد. وعندما زار كمال جنبلاط باريس في نهاية الحرب اللبنانية، دعاه ميتران إلى منزله واجتمع به أكثر من مرة.

الترشيح الثالث...

إلى أن جاء السابع والعشرون من سبتمبر / ايلول ١٩٨٠، وأعلن في مارسيليا أمام جمع غفير من المؤيدين، انه لن يرفض الترشيح إذا دعاه الحزب لتحمل هذه المسؤولية، وإن الحزب الاشتراكي هو سيد مطلق في اختيار مرشحه. وكان الرفيق والمنافس ميشال روكار قد أعلن ترشيحه قبل ذلك بأيام في محاولة لقطع الطريق على ميتران، ووضعه أمام الأمر الواقع. ولكن ما ان طرح ميتران ترشيحه، حتى سارع روكار إلى اعلان سحب ترشيحه، معطياً بذلك امثولة في الالتزام بالعهد المقطوع وبالالتزام بنظام الحزب، وقاطعاً على نفسه عهداً بالاشتراك في حملة ميتران والمساهمة قدر المستطاع في تحقيق الفوز **«لأن الهدف، في النهاية، هو اسقاط جيسكار ديستان واحداث التغيير الذي تصبو اليه فرنسا»**.[٣٤]

ومنذ بداية الحملة الانتخابية، بدت المعركة صعبة وطويلة. فالمرشح الشيوعي جورج مارشيه يتهمه باليمينية تارة، ويزايد حتى التخويف بمطالبته بوجود وزراء شيوعيين في حكومة ميتران في

٣٤- مشال روكار في اعلان سحب ترشيحه.

حال انتصاره، تارة أخرى. واليمين (أو الاغلبية الحاكمة) منقسم على نفسه وموزع حائر بين جاك شيراك وفاليري جيسكار ديستان، غير انه متفق على معارضة اليسار بكل قواه. وعمليات الاستطلاع الاولى تنبيء بفوز جيسكار ديستان رغم التضخم السائد بمعدل سنوي يفوق ١٢ بالمئة، ورغم وجود ما يقارب من مليوني عاطل عن العمل.

ركّز فرنسوا ميتران حملته على ضرورة القبول بمبدأ «التناوب» في الحكم بين التيارين الكبيرين داخل فرنسا، وعلى ضرورة اجراء الاصلاحات الاشتراكية، والحد من التجاوزات والابتعاد عن كل تطرف مع التقليل من سلطة الثروات الكبيرة. وبدا طوال المعركة الانتخابية في صورة رجل «القوة الهادئة» الذي قَدِم من اعماق فرنسا وجمع على مرّ السنين خبرة طويلة في الأمور السياسية والانسانية.

لم يكن الأمر مفروغاً منه في البداية. بل لم يتوقع أحد أن يكون الفوز حليف ميتران، وبهذه النسبة المرتفعة، بالمقارنة مع نسبة ١٩٧٤. وقال اشتراكيون مطلعون ان خوض ميتران المعركة لا يستهدف الفوز بقدر ما يرمي إلى ابعاد زعامة الحزب عن روكار وجماعته. لأن روكار اذا ترشح فسيضع يده على الحزب. غير ان الحملة الجيدة والذكية التي خاضها رجل «القوة الهادئة» بتوجيه من الخبير في الدعاية وفي التسويق السياسي، سيغالا، اعطت ثمارها، وفضحت الحملة الاستفزازية التي قام بها الشيوعيون، الذين ركزوا على تهشيم ميتران أكثر من تركيزهم على اضعاف جيسكار، حتى كاد يسود اعتقاد بأن جيسكار هو مرشح الحزب الشيوعي. ومن مفارقات الانظمة الديمقراطية، حيث الاقتناع هو الذي يقرر الاقتراع، ان هذا التجني الشيوعي بدلاً

من أن يسيء إلى ميتران، قدّم له أكبر خدمة يمكن أن ينتظرها من حليف الماضي والمستقبل، وعدو ذلك الحاضر، اذ ان « الناخبين الشيوعيين » أنفسهم صوّتوا له نكاية بحزبهم. بالاضافة إلى انقسام اليمين بين جيسكارديين وشيراكيين، بالاضافة إلى البطالة ثم البطالة ثم « الشوماج ». بالاضافة إلى التضخم وارتفاع الاسعار، والقلق والملل « والبروتوكولات الملكية » وروايات الصيد وقصص الالماس، واليهود والبترول وافغانستان وفرصوفيا. بالاضافة إلى الحظ الكبير وإلى « انها كانت المرة الثالثة »، والثالثة دائماً ثابتة مع ميتران...

.. والفوز الكبير

وعندما أعلنت نتائج الدورة الاولى في ٢٦ ابريل / نيسان ١٩٨١، عرف الجميع ان انتصار اليسار لم يعد بعيد المنال. وقد جاءت النتائج على الوجه التالي:

جيسكار ديستان	٢٨ بالمئة
فرنسوا ميتران	٢٦ بالمئة
جاك شيراك	١٨ بالمئة
جورج مارشيه	١٥ بالمئة

وجاءت نتائج الدورة الثانية مستجيبة لامال اليسار:

فرنسوا ميتران	١٥ ٧٠٠ ٠٠٠ صوت (٥١،٧ بالمئة)
جيسكار ديستان	١٤ ٦٠٠ ٠٠٠ صوت

وأصبح فرنسوا ميتران رئيساً للجمهورية الخامسة، التي حاربها منذ اللحظة الاولى التي ابصرت فيها النور، فبات اليوم حامي

حماها والمدافع الاول عن دستورها وعن الانجازات التي حققتها.

وكان نجاحه عظيماً. ليس بعدد الأصوات وحسب. انما أيضاً بالاستقبال الشعبي والعفوي الرائع الذي رافق اعلان النتائج. فما ان تأكد ان الرئيس الرابع للجمهورية الخامسة سيكون فرنسوا ميتران حتى نزل الفرنسيون إلى الشارع يعبرون عن فرحتهم، ويحتفلون بهذا الحدث الضخم. وفي أقل من ساعتين، كان عدد الباريسيين المحتشدين في ساحة الباستيل، برغم المطر المنهمر مساء ذلك الاحد في العاشر من ايار / مايو ١٩٨١، يفوق ٢٠٠ الف شخص. وتجاوبت اصداء الفرح والأغاني في كل ارجاء فرنسا، باعتبار ان الانتصار الثاني، في الانتخابات النيابية التي جرت بعد ذلك بشهر، تقريباً، أعطى الحزب الاشتراكي الأكثرية المطلقة في مجلس النواب، بحيث لم يعد أمام الرئيس المنتخب أي عذر في عدم تحقيق برنامجه، والوفاء بكل التزاماته التي تعهد بها اثناء المعركة. ويبقى عليه ان ينجح. وان يتجنب الفخاخ التي وقع فيها جيسكار. وليس أقلها الرغبة بالتجديد.

الفصل الثاني

فرنسوا ميتران والقضايا العربية

١ ـ مدخل

ذكرنا في المقدمة ان الغرض من هذا الكتاب هو تقديم فرنسوا ميتران وتعريف القاريء على مواقفه، من خلال اقواله وكتاباته هو، لا من خلال تحليل الصحافيين وتعليق المراقبين واجتهادات الاصدقاء والخصوم. ولذلك عمدنا إلى جمع العدد الأكبر من تصاريحه ومقالاته حول العالم العربي والقضايا المرتبطة به، وادرجناها بحسب تسلسلها الزمني ـ مع بعض الاستثناءات التي سنشير اليها في اماكنها ـ على أمل أن يساعد هذا الترتيب القاريء على ملاحظة التطور في مواقف ميتران، دون أن نتدخل بالشرح والتفسير الا بالقدر الذي يساهم في وضع كل تصريح أو مقال في السياق الذي جاء فيه. وسيجد القاريء ان بعض المواقف التي كان يعلنها ميتران في الستينات مثلاً، بالقوة والاقتناع المعروفين عنه، بات يعلن نقيضها في السبعينات، وبنفس القوة والاقتناع. والامثلة على ذلك كثيرة. والقراءة فيها متعة وفائدة. وفيها ايضاً دعوة إلى التفكير والتساءل: **والمواقف التي يقول عنها اليوم انها نهائية ولا عودة عنها، هل تظل كذلك بعد ١٠ سنوات؟**

بعض الكتاب يجترون او يتناقضون. عفو القاريء على الاجترار. ولكن صدق تشرشل عندما قال: «لا صداقة دائمة،

ولا عداوة دائمة. هنالك مصالح دائمة». وكان ديغول يقول: «الدول الجديرة بهذا الاسم ليست لها صداقات» واذا صح ان فرنسوا ميتران لم يكن صديقاً، فالتجربة تُثبت انه يمكن أن يتحوَّل، «**دون ان يبيع صداقة بأخرى**»[1]. وماذا نخسر اذا اعطيناه الفرصة «ليشتري نفسه» كما يقولون بلغة موليير؟

* * * *

سيفاجأ القارىء ويتساءل: لماذا نستهل الفصل المخصص لفرنسوا ميتران والقضايا العربية بحوار طويل عن... ايران؟

قد لا يكون التبرير مقنعاً، ولكن الحوار سرعان ما ينتقل إلى العرب. بل انه متداخل باستمرار بين الاثنين. ويبدأ فرنسوا ميتران الحديث عن ايران، فيحلل الوضع فيها ويعطي رأيه بثورتها وبالحرب الدائرة بينها وبين العراق، انطلاقاً من ارتباطها الوثيق بدول هذه المنطقة الجغرافية الشديدة الحساسية التي تنتمي اليها الدول العربية ـ الشرق الاوسط ـ وانطلاقاً من الانعكاسات التي تركتها وستتركها على الدول المتاخمة لها، وفي طليعتها الدول العربية الخليجية. ويتخذ التحليل أهمية خاصة لأنه يدخل في اطار تحليل السياسة الدولية والنظرة الشمولية التي تزن القضايا المحلية ـ مهما كانت أهميتها بالنسبة لأصحابها ـ بنسبة تأثيرها أو عدم تأثيرها على مجرى الأحداث العالمية، وعلى ميزان القوى الدولية. ولعلنا نلمس ذلك ـ بكثير من المرارة والأسى ـ عندما يختم ميتران الحوار بهذه العبارة «**عن لبنان، هذا الوطن الممزق**

١ـ هذه العبارة، قالها فرنسوا ميتران في أول مؤتمر صحافي له عقده كرئيس للجمهورية وهو يتحدث عن صداقته لإسرائيل، وكررها في المؤتمر الصحافي الذي عقده في نهاية زيارته للمملكة العربية السعودية، في الطائف.

الذي تخلّوا عنه للموت لأنه، لصغره، لا يُزعج سير الزمن المجرد من الاحساس». لهذا السبب رأينا الا نبتر الحوار، وان ننقله للقارىء بحسب التسلسل الذي جاء فيه، وبحسب الترابط المنطقي الذي ساقه فيه صاحبه.

والحوار مأخوذ من كتاب «هنا والآن» وهو آخر كتاب صدر لفرنسوا ميتران قبل أن تحمله الانتخابات العامة إلى سدة الرئاسة. وبالتالي، فإنه يعبر بدقة عن رأيه وموقفه من القضايا المعالجة فيه. وبالمقارنة مع المواقف المعلنة هنا، يستطيع القارىء أن يحكم ما اذا كان فرنسوا ميتران الرئيس ينسجم أو يختلف أو يناقض فرنسوا ميتران المعارض.

٢ـ مواقف وآراء

١٩٨٠: الشرق الأوسط بما في ذلك ايران

سؤال: لقد أدنْتَ نظام الشاه وهو في ذروة عظمته، واعترضْتَ على ما كنتَ تسميه «تواطؤ فرنسا» في زمن «العقود الخرافية» والاحتفالات الاسطورية في بيرسيبوليس لمناسبة الذكرى الالفين... اما وقد بتنا نعرف التتمة الآن، فهل تعتقد انك كنتَ على صواب؟

فرنسوا ميتران: لا شيء يوقف الثورة عندما تأتي ساعة ضرورتها. والجهد الذي بذله الشاه من أجل التحديث، وهو جهد لا مجال للتشكيك فيه، وقد استمر بفضل البترول، ودفع ثمنه من عرقه ودمه الشعبُ المقهور والمظلوم بشكل لا يصدق، هذا الجهد استفادت منه بشكل خاص البورجوازية الجديدة التي سرعان ما تعبت وملّت من الدكتاتورية، لأنها كانت تطمح لأن تلعب دور الطبقة الحاكمة. لقد رويت في مكان آخر حادثتين عشتها في طهران في الستينات. كنا نتحدث عن الدين، على مائدة رئيس الوزراء. سألني مستضيفي: - «**هل زرتم الجوامع؟ - نعم. - هل كانت تغص بالناس؟ - كثيراً**» وعندئذ، التفت نحو المدعوين الآخرين وكانوا من كبار أعيان النظام، وقال ببرود «**تمام. سنظل مطمئنين طالما انها مليئة**». واثناء تناولنا القهوة روى لنا وزير سابق انه كان مسافراً في احدى المناطق الجبلية،

خلال الشتاء الماضي، عندما تعرضت سيارته لعاصفة ثلجية واضطر أن يلجأ إلى قرية كبيرة، حيث قضى الليل. وأضاف ضاحكاً: «لم أكن أعرف أين أنا. ولذلك قررتُ أن أطرح السؤال على القرويين قبل أن أغادرهم. ولا أستطيع أن أصف لكم دهشتهم: فقد اعلموني انني كنتُ في ارزاقي واملاكي». لستُ أدري ماذا حل بذلك الوزير، وما اذا كان لا يزال على قيد الحياة. ولكن لم يكن يُميّزه شيء عن أي طبقة حاكمة وصاحبة امتيازات لا تريد التخلي عن جزء صغير منها. ففي موسكو أيضاً، كانوا يرقصون في القصور المشعة بالاضواء ذلك المساء الذي قلب فيه لينين العالم. اما رئيس الوزراء، فلم يرتكب الا خطأً واحداً: لقد كانت الجوامع مليئة بالناس، وكان زمان الاطمئنان قد انتهى. لا الشاه ولا جماعته انتبهوا ليأس الشعب ولطموح البورجوازية وليقظة الاسلام.

فيما بعد، التقيتُ بمعارضين، وساعدتُ، على قدر امكانيات حزبنا، التنظيمات الثورية، وساهمتُ في توعية واعلام الرأي العام بطبيعة ذلك النظام الذي لم يبقَ لديه الا أن يُطلق النار على المزعجين والمضايقين.

سؤال: هل كنتَ منحتَ الخميني حق اللجوء، كما فعل جيسكار ديستان؟

فرنسوا ميتران: نعم

سؤال: هل ذهبْتَ لمقابلته في نوفل لوشاتو؟

فرنسوا ميتران: لا. كانت لنا علاقات جيدة من الصداقة والعمل

مع كريم سنجابي والجبهة القومية التي كنا نرى أن أفكارها الجمهورية العلمانية تلائم أكثر من سواها مصالح المقاومة الايرانية. ولقد ودّعتُ سنجابي قبل ساعتين من ان يستقل الطائرة إلى طهران، في نهاية مرحلة طويلة تخللها السجن والنفي. وكنا نخشى عليه من أن يلقى سوء المصير، لأن الشاه كان لا يزال في الحكم. ولقد أُوقِف سنجابي واقتيد إلى السجن من جديد، قبل أن تنتزعه الاحداث من أعماق زنزانته وترسله ليجلس إلى طاولة حكومة بازركان كوزير للخارجية. ثم لم يلبث أن ترك الحكومة، وفاءً منه لثورة وجد انها لم تعد وفيةً معه.

سؤال: هل تعرفْتَ على بني صدر؟

فرنسوا ميتران: كلا. لم أعرفْه معرفة شخصية.

سؤال: هل عندك اتصالات اليوم بالقادة الايرانيين الجدد؟

فرنسوا ميتران: نعم. في حزيران / يونيو الماضي، قاد ليونيل جوسبين وفداً إلى المؤتمر الدولي الذي نظمه قطب زاده وبني صدر.

سؤال: هل تعتقد ان الثورة الاسلامية قد غيّرتْ من ميزان القوى في العالم؟

فرنسوا ميتران: أقل مما يسود الاعتقاد.

سؤال: لماذا؟

فرنسوا ميتران: لأنها عادتْ فانطوتْ على نفسها، بعد أن استهلتْ حركتها بالتبشير وتصدير الثورة.

سؤال: ولكن الاميركيين خسروا حصناً من حصونهم المنيعة...

فرنسوا ميتران: ولم يربحه الروس.

سؤال: الروس يتقدمون نحو الخليج الفارسي. ولم يبقَ بينهم وبين المحيط الهندي الا بلوشيستان، والفوضى الايرانية، مقرونةً بدعاية ذكية قد يحثان هذا الاقليم على الانسلاخ. وبعد ذلك «سيمنحونه حمايتهم». فهمتَ المقصود.

فرنسوا ميتران: ممكن، ولكن مستبعد. افغانستان من الشرق، واثيوبيا واليمن من الغرب: شيئاً فشيئاً، يُقفل الاتحاد السوفياتي طرفي الكماشة، واسطوله في الوسط. من زمان طويل، يعلنون سيره نحو البحار الدافئة. ولكنه موجود في البحار الدافئة. الا انني أصر على الاعتقاد بأن الاتحاد السوفياتي لن يتوجه إلى الخليج الفارسي. على الأقل ليس بالسبل المعروفة. بل انني اعتقد انه لن يذهب أبداً إلى هناك.

سؤال: ارى انك مطمئن البال كثيراً.

فرنسوا ميتران: لا. لست مطمئناً. أحاول أن أفسر وأشرح قدر امكانياتي للبادرات والاشارات التي أجهل. ولكن المساس بالبترول يعني الحرب.

سؤال: لقد صادرتْ ايران نفطها ولم تهتز اميركا.

فرنسوا ميتران: هذه الايران الوطنية والمجنونة والتي تتحدى موسكو وواشنطن في آن واحد. اعترف انها جميلة جداً. وليست غبية على الاطلاق.

سؤال: وطنية أم دين؟ لقد رأيتُ فيها خصوصاً يقظة الاسلام.

فرنسوا ميتران: يقظة خاصة، يقظة شيعية. وهي طائفة مهمة ولكن ليست الغالبة، في العالم الاسلامي. وهذه الطائفة هي من اتباع علي، صهر النبي، ضد السنة. وهي ككل الاقليات، تريد أن تظل جامدة متصلبة وتحب التسلط. والشيعة كثيرون في العراق، ومنتشرون في الجمهوريات السوفياتية، وفي آسيا الوسطى وفي افغانستان. أحد اصدقائي يجزم بشكل قاطع ان التدخل السوفياتي في كابول تفسره أولاً ارادة السوفيات وقف العدوى. كما فعل سكان البروفانس والكونتا[٢]، في القرون الوسطى، عندما شيدوا جداراً في وجه الطاعون. لا أشارك صديقي الاعتقاد، لكن البرهان يستحق أن نفكر فيه. على كل حال، الاتحاد السوفياتي يكشف عن حذر يفوق حذر الهنود الحمر. وهو يسهر على سفارته ويحرسها.

سؤال: كيف لم يفهم الخميني ان الرهائن الاميركيين يُخفضون من قدر ثورته؟

فرنسوا ميتران: انه يُعاقب ويُكافيء، على غرار ربّه.

سؤال: رمز غريب عجيب.

فرنسوا ميتران: تعرف رأيي بمسألة الرهائن. ولكن ايران عانت من العذاب الشيء الكثير بحيث انه لا يجوز أن نُحجّم الحركة الكبرى التي تعصف بها بهذا الخطأ الحزين. اما النقد الذي اتصدى به لتجربة الخميني فهو انها لا تؤدي إلى شيء. اذ لا يمكن ارجاع

٢ـ البروفانس والكونتا مقاطعتان فرنسيتان، الأولى لا تزال تحافظ على اسمها. اما الثانية فقد أصبح اسمها اليوم فوكلوز.

شعب شغوف بالمستقبل ١٤ قرناً إلى الوراء. حتى وإن كان هذا الماضي يبرر المستقبل. ان الخميني ورجال الدين اخطأوا ثورتهم.

سؤال: ان تأييدك لمحاولة كارتر الافراج عن الرهائن الاميركيين قد فاجأ الرأي العام كما فاجأ اصدقاءك ايضاً.

فرنسوا ميتران: لقد أيّدتُ المحاولة وأسفتُ على الفشل. ولو نجحت المحاولة، لكانت طهّرتْ اميركا من قلقها، والاتحاد السوفياتي من شكوكه وايران من حقدها. لقد استمعتُ إلى خبر المحاولة الفاشلة وأنا أنهض صباحاً من فراشي. كانت ردةُ فعلي الاولى شبيهة بردة فعل كل الناس: غباء، لكن ردة فعلي الثانية جاءت أقرب إلى التفكير: خسارة. وشعرت انني متضامن مع هذا الرجل الذي اختار الشرف بدلاً من لياقات المهنة. وأخيراً طرحتُ السؤال على نفسي: ماذا كنتُ فعلتُ؟ وجاءني الجواب ببساطة: كل شيء لأنقذ جماعتي.

سؤال: فاليري جيسكار ديستان أظهر مزيداً من التكتم والحذر.

فرنسوا ميتران: كابول، الرهائن. عندما يتعلق الامر بالحق، فرئيسنا يأخذ وقته، ويأخذ نفساً طويلاً.

سؤال: ان رئيس الجمهورية ـ وهنا أقوم بدور محامي الشيطان ـ يسعى قبل كل شيء إلى الدفاع عن المصالح الفرنسية. وفرنسا كانت ولا تزال لديها مصالح في ايران. ربما قال بينه وبين نفسه: النزاع هو نزاع بين الايرانيين والاميركيين. فلماذا لا نبقى خارجه؟

فرنسوا ميتران: اذا سمعتَ ناقوس الموت يدق فانه يدق لك.

سؤال: في الرابع من تموز / يوليو ١٩٧٨، كتبتَ تقول: «اذا كنتُ مسؤولاً عن بلدي، فانني سأوجه أنظاري إلى تيتو وبحره الادرياتيكي أو إلى بحر ايجه والأطماع التركية. وكذلك الأمر بالنسبة للشرق الاوسط وما يسمى بالقرن الافريقي. فالعسكر الروسي في أثيوبيا، والحرب في اريتيريا، والانقلاب في اليمنيْن، وتغيير النظام في كابول، كلها أمور تنبئني بأن الساعة تقترب. واذا رأيتُ، مثلي مثل كل الناس، ان جيوش بريجنيف تعسكر على حدود المانيا والصين، فسأفكر أولاً بايران». في ذلك التاريخ، لم يكن يجرؤ أحد على التكهن، على الأقل على المدى المتوسط، بالثورة الايرانية. كما لم يُعلق أحدٌ أهميةً كبرى على النزاعات القبلية في افغانستان. لن أطري عليك واثني على استباقك للأمور. ولكن رأيك يهمني كثيراً. بمن تفكر اليوم؟

فرنسوا ميتران: بايران

سؤال: أفهم ذلك، فحجارة الزهر لا تزال تتدحرج على الطاولة، وبعد ايران؟

فرنسوا ميتران: بالسعودية

سؤال: لماذا؟

فرنسوا ميتران: فيها يوجد آخر مفتاح للنظام القديم. ومن يرمِ به في البحر يقتحمْ باب القدر.

سؤال: لماذا لم تذكر تركيا؟

فرانسوا ميتران: سأصل اليها. ففي تركيا تدور الآن جولة لن يُكشف عن رهانها ونتائجها الا بعد فوات الأوان. الانقلاب لن يُسوي شيئاً. انه مجرد استراحة قصيرة، فترة من الصمت في مناخة

وشكوى هذا الشعب الذي سنستمع اليه عما قريب هادراً من بعيد. تركيا في حرب أهلية. وأنا أؤمن بالثورة أكثر من ايماني بالجنرالات.

سؤال: الحلف الاطلسي لا يمكن أن يتعرض لفقدان هذا الحصن المنيع.

فرنسوا ميتران: لن يطلب أحدٌ رأيه بالموضوع. صدقني.

سؤال: يجب أن نعترف بأن الانقلاب قوبل بالترحيب والارتياح في تركيا وفي الخارج. كان معدل الاغتيالات حوالي ٤٠ شخصاً في اليوم.

فرنسوا ميتران: ليست الحكومة العسكرية بميولها المحافظة هي التي ستمنع الانفجار. ثم انتبه إلى عدوى الدكتاتوريات حواليك. صدقني، ستعطي أفكاراً للبرتغال واليونان.. لا. ان اللامبالاة، عن ارتياح كما تقول، التي تظهرها اوروبا الغربية تهيء لنا اياماً سيئة.

سؤال: كيف تفسر النزاع بين العراق وايران؟

فرنسوا ميتران: كمحاولة من العراق لتصفية صراع دهري مزمن بين العرب والفرس لمصلحة العراق. فالمعاهدة الموقعة عام ١٩٧٥، منحت الشاه حدوداً تمر في وسط شط العرب، وأتاحت لايران السيطرة على جزر الطمب الكبرى والطمب الصغرى وأبو موسى، وهي الجزر التي تهيمن على مداخل مضيق هرمز. وكانت هذه المعاهدة تعكس معادلة في ميزان القوى يعتبر العراقيون الآن انها انتهت. ثم ان نداءات الخميني للشيعة في العراق وحثهم على الثورة، وهي ثورة لا يمكن أن تتم الا بالقضاء على حكومة صدام حسين وباثارة الفوضى في الاقتصاد وبالتأكيد في داخل الجيش

العراقي، كل هذا حث العراق على استباق الأمور، وعلى محاولة استرجاع الحقوق المهدورة سابقا. وصدام حسين، في محاولته تحقيق هدف قومي، يطرح نفسه كمرشح لتزعم العرب، وهي الزعامة التي تخلى عنها السادات والتي لا يستطيع أن يطمع اليها الآن العاهل السعودي. وقد رأينا ان العرب جميعاً، باستثناء سوريا وليبيا، قد تضامنوا معه (صدام حسين). وغالباً ما ننسى، هنا في الغرب، ان ما نسميه نحن الخليج الفارسي، يسمونه هم الخليج العربي.

سؤال: والدول العظمى؟

فرنسوا ميتران: كل واحدة متضايقة أكثر من الاخرى. فقد يغتبط الاميركيون، بل ربما اغتبطوا في البداية بسبب خلافهم مع ايران. لكن ايران الخميني، وليس هذا هو التناقض الوحيد، ضرورية ضرورة ايران الشاه من أجل التوازن في الشرق الاوسط. فالجغرافية لم تتحرك. والمحيط الهندي لا يزال هناك. والبترول ايضاً. والروس الذين سلحوا العراق ـ الفرنسيون أيضاً لم يحرموا أنفسهم من ذلك ـ كانوا متريثين بالتشجيع بسبب المسلمة التي ذكرتُها آنفاً: المساس بالبترول يعني الحرب. واعتقد ان الروس لا يرغبون قيام قضية جديدة في المنطقة، بعد قضية افغانستان. لهذه الاسباب قلت للتلفزيون الذي جاء يسألني منذ اليوم الاول لاندلاع الحرب، ان الروس والاميركيين سيتفاهمون من أجل احتواء الحرب.

سؤال: وهل يقدرون على ذلك؟

فرنسوا ميتران: ومن يدري؟

سؤال: لكن في هذه الاثناء، تجد بواخر شحن النفط نفسها مجمدة، و بدأ القلق ينتاب الغرب.

فرنسوا ميتران: «بعد بكير». في الغرب كثير من النفط المخزن والاحتياطي. فقد لجأت الاوبيك إلى خفض الانتاج من أجل الحفاظ على الاسعار. وربما اغتاظ السيد ريمون بار (رئيس وزراء فرنسا آنذاك) لأنه كان سيجد نفسه مضطراً لتخفيض سعر البنزين. والحرب، بتقييدها من كمية شحنات النفط المرتقبة، تخدم مصالح عدد كبير من الناس، وفي طليعتهم الشركات البترولية. بطبيعة الحال، لا يجب أن يستمر ذلك مدة طويلة.

سؤال: هل تعتقد بإمكان قيام وساطة ناجحة بينهما؟

فرنسوا ميتران: ليس سهلاً تشغيل العقل بالامور اللاعقلانية. فالعراق يستطيع أن يكسب الجولة الاولى، ولكنه لا يملك القدرة على التوغل بعيداً داخل ايران. وايران بوسعها الانتظار. وقيام انقلاب عسكري يطيح بالخميني الذي اضعفته الحرب، لا يكون له مبرر الا اذا انقذ الشرف على شط العرب. ونظراً إلى ان امكانيات العراق محدودة، فانني اعتقد انه سيكون ميالاً للاتفاق.

سؤال: ما رأيك بزيارة السادات لاسرائيل؟

فرنسوا ميتران: كلمتان متجاورتان في القاموس (طبعاً بحسب الترتيب الابجدي الفرنسي) تصفان (هذه البادرة) أفضل مني. عبقرية: استعداد طبيعي لخلق شيء فذ وعظيم، وسخاء: من أصلٍ كريم. سادات الاصيل أظهر عبقرية.

سؤال: وكامب ديفيد؟

فرنسوا ميتران: معاهدة جيدة.

سؤال: اذا استثنينا كارتر والسادات وبيغين، نجد ان عدد الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ليس كبيراً.

فرنسوا ميتران: البحث عن اتفاق شامل للشرق الادنى هو أمر

مستحسن ومرغوب. ولكن البحث عن حلٍ يشمل الجميع، في نفس الوقت هو أمر مستحيل. فاذا انتظرتْ مصرُ الاردن، الذي سينتظر السعودية التي ستنتظر العراق، الذي سينتظر سوريا، التي ستنتظر الفلسطينيين الذين لا ينتظرونْ أحداً من أجل عرقلة أية تسوية، فإن شيئاً ما لن يتحقق، لقد كان للسادات الجرأة على كسر هذه الدائرة المفرغة.

سؤال: البعض يسمي هذه الجرأة ضعفاً. فاضطرار مصر للاعتماد على العون الاميركي كي تتمكن من تجنب الغوص في أزمة رهيبة، قد يكون لعب دوراً أكبر بكثير من الاستشرافات والرؤيا الواسعة التي تنسبها اليه.

فرنسوا ميتران: ان لمصر من القيمة (والاهمية) ما يغنيها عن الانحطاط.

سؤال: ولكن عدوى السلام لم تنتقل، وبقيتْ معاهدة كامب ديفيد حبراً على ورق بالنسبة للضفة الغربية؟

فرنسوا ميتران: الواقع انه كان من الأنسب ومن الحكمة بمكان، فيما لو ان السادات وبيغين وقعا اتفاقاً عسكرياً، أو هدنة بين جنديين، على أن يسمياها معاهدة السلام. فالمدنة كانت أدت إلى التنازلات المتبادلة ذاتها، أما السلام، مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج وذيول سياسية، فإن اثاره لا تقتصر عليهما وحدهما فقط. ولقد سمحتُ لنفسي، ذات يوم، وأعطيتُ هذه النصيحة لغولدا مائير، قبل أن أسافر إلى القاهرة حيث اجتمعت بالسادات عام ١٩٧٥.

سؤال: وقابلت عرفات في القاهرة أيضاً.

فرنسوا ميتران: نعم

فرنسوا ميتران: ما أقوله دائماً لكل من يريد أن يستمع اليّ: ان الاشتراكيين الفرنسيين لن يساعدوا أبداً في القضاء على دولة اسرائيل التي اعترفت الأمم المتحدة بحقها في البقاء وضمن حدود آمنة ومعترف بها. وإن هذا الحق بالبقاء لا يمكن أن يستغني عن وسائل البقاء. وانا نؤيد مقررات الأمم المتحدة بشأن انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها خلال حرب الستة أيام، وإن الشعب الفلسطيني له الحق بوطن وبانشاء دولته على أرض هذا الوطن.

هذا الكلام قلته لبومدين ورابين والسادات وسوسلوف وبيريز وكارتر. وكرّرته أمام الصحافة الاسرائيلية وعلى شاشة التلفزيون في الجزائر، وأمام أكثر من ٢٥ الف يهودي كانوا مجتمعين في باريس لمناسبة مهرجان «١٢ ساعة من أجل اسرائيل».

سؤال: هنا يبدأ الغموض والالتباس. كيف تفسر قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢؟

فرنسوا ميتران: سؤال سليم. الترجمة الفرنسية تطالب بالانسحاب من الاراضي المحتلة. الأمر الذي يلغي كل (شرط) مسبق، والترجمة الانكليزية تشير إلى انسحاب من اراضٍ محتلة، الأمر الذي يترك المجال للمفاوضة.

سؤال: أيها تختار؟

فرنسوا ميتران: وهل يمكن تصفية القضية دون التفاوض أولاً؟ ومن يمكن أن يفكر بهذا؟

سؤال: المتطرفون في المعسكرين.

فرنسوا ميتران: شعبان لأرضٍ واحدة. شعبان وقرون تشهد

لكل منهما. هل هو متطرف ذاك الذي يريد وطناً؟

سؤال: المشاكل التي ليست لها حلول موجودة.

فرنسوا ميتران: ذاتَ يوم، كنت استقبل في مقر الحزب الاشتراكي وفداً من مخاتير ورؤساء بلديات الضفة الغربية. واستمعتُ اليهم يتذمرون من الموقف الاسرائيلي، ومن الاغتيالات والطرد، ومن المستوطنات اليهودية والاحتلال العسكري. فالضفة الغربية أرضهم، ويريدون العودة إلى ديارهم. وليس لاسرائيل أن تحول دون ذلك. فكيف نستطيع مساعدتهم؟ فجأة، قال أحدهم بنبرة هادئة: «**لا نريد أن نخدعك. لا تظن اننا نُقصر مطاليبنا على الوجود الاسرائيلي في الضفة الغربية. فاسرائيل يجب أن تزول من فلسطين كلها. ولن نعترف ابداً بالتقسيم**». ذكّرتُهم بأن الاشتراكيين ايّدوا قرار ١٩٤٩، وانهم لم يُغيروا رأيَهم. واذا بمحدثي يُحدق في عينيّ مباشرةً ويقول: «**عندما احتل هتلر فرنسا، هل قبلتم بهذا الاحتلال؟ وهل كنتم اعتبرتم انه كسب حق البقاء في ارضكم فيما لو ربح الحرب؟**» اعترضتُ على محدثي ولفتُ نظره إلى ان مقارنة هتلر بالشعب اليهودي هي مقارنة تعيسة، لأسباب يسهل فهمها. وبعد قليل افترقنا.

سؤال: على فكرة، ان بيغين على طريقته، يفكر نفس التفكير، برأيه، ان اسرئيل لم تحتل الاراضي، انما حرّرتْها.

فرنسوا ميتران: خذ هذه التوراة وافتحها حيث وَضعتُ العلامتين. ففي سفر التكوين تجد هذه الآية:

«في ذلك اليوم، بتّ الرب مع ابرام عهداً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الارض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». كما تجد هذه الآيات في سفر يشوع: «وكان بعد وفاة موسى (عبد الرب) ان الرب كلّم يشوع بن نون (خادم موسى) قائلاً:

ان موسى عبدي قد مات، والآن قم فاعبر هذا الاردن أنت وجميع هؤلاء الشعب إلى الارض التي أنا معطيها لبني اسرائيل. كل مكان تطأه اخامص ارجلكم لكم اعطيتُه (كما قلتُ لموسى). من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات (جميع ارض الحثيين) وإلى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس تكون تخومكم»[٣].

وبيغين رجل مؤمن. واسرائيل قيّمة على ارض الله، ولا تستطيع التصرف بها. هو الله الذي اعطى هذه الارض، ليس لجمال عيون الشعب. انما من أجل أن يقوم الشعب بخدمته فيها.

سؤال: واذا خسر الله نصف أرضه، فالقصة طويلة؟

فرنسوا ميتران: نعم. شعبان لأرض واحدة، واله من كل جهة. ان في القضية ما يفقد الدبلوماسية أنفاسها.

سؤال: المشاكل التي ليست لها حلول، لها حل واحد: العنف.

فرنسوا ميتران: بدأ التعقيد قبل الأمم المتحدة بكثير، وسيظل طالما تقول اسرائيل «لا ابداً» لوجود دولة فلسطينية، وطالما تقول منظمة التحرير الفلسطينية «لا ابداً» لوجود اسرائيل. اعتقد انه يجب أن نصمَّ آذاننا أمام هذا الالحاح على التذكير بالمواقف المبدئية، وأن ننصرف لمعالجة الواقع على طريقة الاطباء في الريف.

سؤال: وما هي «الوصفة» التي تقدمها؟

فرنسوا ميتران: كلمة «وصفة» قوية جداً. سأحاول أن أحكي بوضوح، وهذه أفضل خدمة يمكن أن تقدمها للأصدقاء. سأنصح

٣- سفر التكوين، الفصل الخامس عشر الآية ١٨، وسفر يشوع، الفصل الاول، الايات الاربع الاولى.

اسرائيل بأن توافق على قيام دولة فلسطينية. وفي كل مرة كنتُ اورد هذه الحجة أمام شيمون بيريز والمسؤولين في حزب العمل الاسرائيلي، كانوا يقولون لي ان هذه الدولة الفلسطينية موجودة، وانها تحمل اسم الاردن، وانها كانت تضم الضفة اليمنى لنهر الاردن قبل حرب الايام الستة، وان إلحاح اوروبا على المطالبة بقيام دولة جديدة لا جذور ولا سابقة تاريخية لها، هو إلحاح غير جدي. وعبثاً كنت أجيبهم انني لا أرى كيف ان وجود دولتين فلسطينيتين بدلاً من دولة واحدة، على حدود اسرائيل، يمكن أن يشكل خطراً أكبر. فما كانوا يُصغون اليّ. انظر إلى خريطة اسرائيل: من الصعب الا نتفهّم حذرهم. ولكن هذا الاستنفار الدائم الذي يعيشون فيه، أليس هو في الواقع الخطر الأكبر؟

سؤال: لقد صرحتَ أنك تفضل المفاوضات المباشرة على التحكيم الخارجي.

فرنسوا ميتران: نعم، اني أفضل المفاوضات المباشرة، في المرحلة الابتدائية، على المساعدة المفروضة التي يقدمها مُحَكّمون ليسوا هم في الواقع بمُحَكّمين... في هذه المرحلة، اعتمدُ أكثر على توسّط رجال أو دول عرفوا كيف يحتفظون بصوابهم وبرشدهم، من امثال تشاوشيسكو أو فيلي براندت، أو كحركات تمثل الرأي العام كالأممية الاشتراكية.

سؤال: وفرنسا؟

فرنسوا ميتران: لقد اساءت إلى فُرصِها. بل ربما أضاعت الفرص خلال الجولة الأخيرة التي قام بها فاليري جيسكار ديستان في الامارات. وكأني به، بصمته حول اسرائيل، قد باع روحنا من أجل البترول. ثم تلك الفكرة الغريبة العجيبة بأن يلقي نظرة على أرض الجليل بالمنظار ومن فوق تحصينات اردنية. والآن،

وهو يبيع تقنياتنا النووية للعراق، فإن الغضب يتصاعد.

سؤال: ولكن تصلب بيغين الذي يُجمد المفاوضات حول الضفة، ويشجع قيام المستوطنات اليهودية في الاراضي المحتلة، والذي ينتزع من الكنيست أن يُعلن القدس عاصمة ابدية لاسرائيل، كل هذا من شأنه أن يُتعب ويُملّل أوفى الاصدقاء. حتى اميركا ذاتها.

فرنسوا ميتران: السادات يعرف الكثير مما تقول. ولكن بيغين ذاهب. بل ربما يكون قد ذهب.

سؤال: هل ترفض اعتبار القدس «عاصمة ابدية لاسرائيل؟»

فرنسوا ميتران: إن في تصرف الكنيست شيئاً من الاستفزاز. والاستفزاز غير مفيد. ولكنْ في تعلق اسرائيل بهذه المدينة بعدٌ ومدلولٌ اتفهمها جيداً. الا انني اندهش أكثر لأن الكنيست لم يقترح، في هذه المناسبة، وضعاً دينياً وسياسياً خاصاً بالأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية.

سؤال: وماذا تقول لمنظمة التحرير الفلسطينية؟

فرنسوا ميتران: طالما تتخذ من دمار دولة اسرائيل مبدءاً لها فانها لن تحصل على حقها بالتفاوض.

سؤال: وهكذا نعود إلى نقطة البداية.

فرنسوا ميتران: بكل أسف، ولكنني لم أفقد الأمل. فليأتوا من كل جهة، ليأتوا، فلسطينيين واسرائيليين، دون أية هوية الا وطنيتهم، وليجلسوا حول طاولة واحدة. وسيندهش الجميع مما سينتج.

سؤال: هل ترفض أن تمنح عرفات تأشيرة دخول إلى فرنسا، كما

تطالب بذلك حملة اعلامية قائمة حالياً؟

فرنسوا ميتران: كلا

سؤال: وهل تستقبله؟

فرنسوا ميتران: هذا القرار يتخذه الحزب.

سؤال: وأنت شخصياً، ما رأيك؟

فرنسوا ميتران: احرص على الا يكون هذا اللقاء، اذا تم، مصدراً لأي التباس أو غموض.

سؤال: أليس لديك شيء آخر تقوله عن الشرق الادنى؟

فرنسوا ميتران: أشياء كثيرة، ولكننا لسنا هنا في معرض كتابة انسيكلوبيديا. ولن أقفل هذا الحوار دون أن أوجه نداءً إلى الأمم المتحدة وإلى الضمير الانساني، من أجل احقاق العدل في لبنان، هذا الوطن الممزق الذي تخلّوا عنه للموت لأنه، لصغره، لا يُزعج سيرّ الزمن المجرّد من الاحساس.

في اطار معركة الانتخابات الرئاسية التي خاضها لأول مرة ضد الجنرال ديغول عام ١٩٦٥ ، دعي فرنسوا ميتران لالقاء خطاب في مهرجان انتخابي في نيس في ١٨ ديسمبر / كانون الاول ١٩٦٥ . وكان موقفه من الحزب الشيوعي الفرنسي موضوعاً رئيسياً في الخطاب، ومما قاله:

« يقولون أن فرنسوا ميتران هو مرشح الأحزاب، وإنه لا يملك حرية التصرف والعمل. سترون اذا كنت محروماً من حرية الكلام. أقول لكم انني مدين للحزب الشيوعي بقبوله موقفي من اوروبا، وبتفضيله ما يوحّد على ما يفرق بيننا. يقولون انني اسير الحزب الشيوعي. يقولون: هذا كيرنسكي، وكأنه يجب دائماً أن يصوروا الشيوعيين وبين أسنانهم سكين حاد. أنا لست شيوعياً. ولكنني أفضل أن أجد الى جانبي عاملاً زراعياً ينتخب شيوعياً على أن أجد روتشليد. لم يفرض عليّ أحد شروطاً. لقد تبادلنا الثقة. سأكون صادقاً ومخلصاً، ولن أقبل أن يضعوا أربعة ملايين فرنسي في « غيتو»، في عزلة »[٤].

وفي اليوم التالي أي في ١٩ ديسمبر / كانون الاول، قال ميتران في كلمة له من التلفزيون، متسائلاً بسخرية أين يجب

٤- جريدة لوموند - ١٩٦٥/١٢/١٨

العثور على رئيس الجمهورية:

« يقول الجنرال ديغول يجب الا نختار الرئيس لا من اليمين ولا من اليسار ولا من الوسط. ويجب الا يكون رئيس الجمهورية منبثقاً عن أية فئة من فئات المواطنين. ولذلك فأنا عبثاً أفتش. فهل يجب أن نأخذه من بين أفراد الأسرة الملكية، أو من آل روتشيلد أو من نادي الجوكي كلوب؟ ».[٥]

ولأن ميتران تجرأ وتلفظ باسم روتشيلد بشكل « لا يليق » بهذه العائلة اليهودية، فقد استحق موقفاً عدائياً من اسرائيل. ونشرت جريدة « لوموند » بعددها الصادر بتاريخ ٢٣ ديسمبر / كانون الاول ١٩٦٥، رسالة لمراسلها الدائم في القدس، اندريه سياما، يقول فيها:

« لقد لعب رد الفعل اليهودي بشكل قوي جداً ضد ميتران، لأن قول مرشح اليسار في خطابه في نيس انه « يفضل أن يجد إلى جانبه عاملاً زراعياً ينتخب شيوعياً على أن يجد روتشيلد »، كان له أسوأ الوقع هنا، وأثار تعليقات مريرة. وأشارت جريدة « هاتسوفيه » الناطقة بلسان الحزب الديني: « ان ميتران استخدم في معركته ضد الجنرال ديغول كل الحجج والذرائع، بما فيها اللاسامية ».

٥- جريدة لوموند - ١٩٦٥/١٢/٢٠

في السادس والعشرين من مايو / ايار ١٩٦٧ ، أي قبل ١٢ يوماً من اندلاع حرب الأيام الستة، عقد فرنسوا ميتران مؤتمراً صحافياً في باريس تحدث فيه عن الوضع المتفجر في الشرق الاوسط، فقال:

« اذا اندلعت الحرب هناك ، فمن يستطيع الادعاء بأنه يقدر على احتوائها؟ السلام خير من الحرب لحل المشاكل المستأصلة هناك ، من مشكلة اللاجئين الفلسطينيين إلى خليج العقبة إلى الحدود. وأي نزاع ينشب في المنطقة ، مهما كان محدوداً ، سيكون ذريعة لتغذية حرب باردة جديدة ».

وبعد أن ذكّر ميتران بأن قيام دولة اسرائيل جاء نتيجةً لمعاهدات واتفاقات دولية، قال:

« من المستحيل التسليم باحتمال زوال دولة اسرائيل ، بل يجب أن نعطي هذه الدولة الوسائل التي تضمن لها البقاء. ونحن لا نعطيها الحق بكل النقاط ، ولا سيما عندما ترفض مجرد دراسة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ولكننا نقول انه لا توجد حجة ولا ذريعة مقبولة تبرر القضاء على هذه الدولة ».

وأضاف ميتران : « المسألة مسألة السلام. واغلاق خليج العقبة يعني خنق اسرائيل. وكان يجدر بمصر الا تُقدم على ضرب

الحصار على اسرائيل. واسرائيل يجب أن تعيش. لكنها يجب الا تكون سبباً لنزاع مزمن»[٦].

٦- جريدة لوموند - ١٩٦٧/٥/٢٨

في التاسع والعشرين من مايو / ايار ١٩٦٧ ، القى فرنسوا ميتران خطاباً في مدينة رين، تطرق فيه إلى الوضع في الشرق الاوسط، فقال:

« لاسرائيل الحق في الحياة. وهذا الحق أقرّته الاسرة الدولية، ودعتها إلى الاشتراك في هيئاتها. وقد كان الاتحاد السوفياتي الدولة الاولى التي سارعت إلى الاعتراف بالدولة الجديدة.

« وانطلاقاً من هذا، لا يحق لأحد بأن يجرد اسرائيل من الوسيلة التي تخولها ممارسة حقها في الحياة. واسرائيل تتصل بالبحر الاحمر وبالمحيط الهندي وبالخليج الفارسي عن طريق خليج العقبة، كما تؤمن من خلاله، تزويدها بالعتاد والتجهيزات الضرورية لاقتصادها، لاسيما البترول. واغلاق هذا الخليج يعني خنق اسرائيل.

« يجب أن نعمل كل شيء من أجل السلام، باستثناء الموافقة على تعديل الواقع الذي كان سائداً حتى الآن، لأن هذا التعديل يعني النيل من حق اسرائيل بالحياة.

« ويجدر بنا، في هذا المقام، أن نعرب عن أسفنا للقرار المتسرع الذي اتخذه يو ثانت والذي قضى بسحب « القبعات

الزرق» من الحدود ومن المضيق. فهذه المبادرة تخضع للنقاش قانونياً، ويجب شجبها سياسياً »[٧]

٧- جريدة لوموند ١٩٦٧/٥/٣٠

في محاولة منه لتجميع شمل اليسار، بما في ذلك الحزب الشيوعي الفرنسي، أسس فرنسوا ميتران التنظيم الذي عُرف باسم « اتحاد اليسار الديمقراطي والاشتراكي » . لكن المحاولة لم تنجح، ولم يتمكن اليسار، بكل أجنحته من الاتفاق على برنامج حد أدنى. واظهاراً للمواقف على حقيقتها، دعا فرنسوا ميتران الحزب الشيوعي إلى أن يُصدرا معاً بياناً مشتركاً يسجلان فيه نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق. وفي فبراير / شباط ١٩٦٨ ، صدر هذا البيان، وكان الشرق الاوسط بين نقاط الاختلاف. وفيما يلي موقف الطرفين، لأن اعطاء موقف الحزب الشيوعي يبرز الموقف الذي كان فيه ميتران .

موقف اتحاد اليسار الديمقراطي والاشتراكي - فرنسوا ميتران الامين العام

« يؤكد اتحاد اليسار الديمقراطي والاشتراكي ان انسحاب القوات الاسرائيلية من المواقع التي احتلتها بعد النزاع لا يمكن أن يكون الا نتيجة للمفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية، وليس كشرط مسبق (للمفاوضات). ويعتبر الاتحاد ان السلام الدائم يفرض الاعتراف بدولة اسرائيل وكذلك الأمر تثبيت حدودها النهائية، باعتبار أن خط هدنة ١٩٤٨ لا يشكل حدود

سلام، ويستوجب بالتالي ادخال تعديلات عليه عن طريق المفاوضات. ويطالب بحماية حقوق الفلسطينيين، ويعتبر أن واجب الدول العظمى يحتم عليها أن تتبنى سياسة مشتركة ضد المزايدة في التسليح».

موقف الحزب الشيوعي الفرنسي - امينه العام فالديك روشيه

«يؤكد الحزب الشيوعي الفرنسي ضرورة الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد العدوان الذي قامت به. ويعلن الحزب الشيوعي ان السلام الدائم والحل النهائي للنزاع يمكن التوصل اليهما في اطار شرعة الأمم المتحدة، وبنوع خاص، باحترام سيادة وسلامة اراضي كل دولة. ويشير الى ضرورة ضمان الحقوق القومية للشعب العربي في فلسطين».[٨]

٨- كريستيان هورتيغ: «من الشعبة الى الحزب الاشتراكي الجديد» - ١٩٧٠

استغرق فرنسوا ميتران وقتاً طويلاً لينظر إلى القضية الفلسطينية من زاوية أخرى غير الزاوية الاسرائيلية، وانتظر عام ١٩٧٢، ليبدأ بالكلام عن الشعب الفلسطيني «كأمة عربية في فلسطين»، وهي عبارة سترد أكثر من مرة على لسانه وفي بيانات الحزب الاشتراكي، ثم عن «حق الفلسطينيين في اختيار الممثلين الذين يريدون واختيار شكل الدولة الذي يعتبرون انه يلائمهم».

ووصول فرنسوا ميتران إلى الحقوق القومية للشعب الفلسطيني، في عام ١٩٧٢ بالذات، لم يكن مجرد صدفة. فهو الامين الاول للحزب الاشتراكي منذ اقل من عام، وفي هذا الحزب شخصيات وتيارات «مناصرة» للقضية الفلسطينية. والأهم من ذلك انه يسعى، منذ بسط سيطرته على الحزب الاشتراكي، للتحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي. وموقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية واضح وصريح ومبدئي، وهو موقف يمكن اختصاره بأنه يـ رف لاسرائيل بالبقاء وبحقها بالأمن والسلامة، ولكنه يشترط أولاً اعادة الاراضي المحتلة والاعتراف للفلسطينيين بحقهم بوطن وبكيان. وكان لا بد لفرنسوا ميتران من أن يقوم بالخطوات اللازمة بهذا الاتجاه إذا شاء لمشروع التحالف مع الشيوعيين أن يتكلل بالنجاح. وسار ميتران على هذا الدرب...

ولا يزال يتقدم.

لكن الاسرائيليين تنبهوا بسرعة إلى الانعطاف الذي سلكه الامين الاول للحزب الاشتراكي. وما ان استمعوا من فمه إلى عبارة «وطن للفلسطينيين» حتى قامت قيامتهم. ومما زاد من نقمتهم ان ميتران قال كلمته في باريس، وسافر في اليوم التالي إلى اسرائيل. وعبثاً حاولوا أن يحملوه على التنكر لما قال. وبدلاً من أن يأتيه العرب واصدقاؤهم بعون، اذا بهم ينتقدونه بعنف أكبر، وتصفه جريدة «المجاهد» الجزائرية «بالاشتراكي - الصهيوني».

ويسجل فرنسوا ميتران انطباعاته عن ذلك اليوم التاريخي في كتاب: «الحب والزؤان» فيقول:

الاثنين ٢٧ مارس /آذار ١٩٧٢

«قبل ان اتوجه إلى اسرائيل، عقدتُ مؤتمراً صحفياً في صالة المزارعين (في باريس) مع كوليت اودري، لكي انبّه الرأي العام الفرنسي إلى تطور الوضع السياسي في تشيكوسلوفاكيا. وأشرتُ في هذا المؤتمر إلى ان الحزب الاشتراكي يشعر بالتضامن، على جميع الأصعدة، مع الذين يعانون من التعسف والتعذيب والنفي. استشهدتُ بانجيلا ديفز، وبيهود الاتحاد السوفياتي، وبالديمقراطيين في اسبانيا واليونان. كما اتيتُ على ذكر المجازر الكبرى التي تُرتكب في اندونيسيا، وعلى المصائب التي تحيق بالبنغاليين. وكان بوسعي أن استمر طويلاً حول هذا الموضوع. ولكن بما انني تحدثتُ أيضاً عن «الفلسطينيين الذين يبحثون عن وطن»، فقد كلفني ذلك، منذ وصولي إلى تل أبيب، هجوماً شديداً من الصحافة الاسرائيلية. كانت الحملة الصحفية تراوح بين السخرية: «ما أسهل أن تغرورق عينا ميتران بالدموع»، والغضب:

«ميتران يتدخل في ما لا يعنيه»، مروراً بالحنين إلى الماضي: «الحزب الاشتراكي تغيّر كثيراً».

«لكن أياً من غولدا ماير، أو أبا ايبان، أو بن اهارون، زعيم نقابة الهستدروت القوية، لم يخطُ خطوةً بهذا الاتجاه، وذلك لاعتياد هؤلاء على تطرف تلك الصحافة، ولكونهم على اطلاع أوسع منها. غير ان المطاف انتهى بي، بعدما الحّت علي اسئلة الاذاعة والتلفزيون في البلاد من الصباح إلى المساء، إلى الاجابة بأن الحزب الاشتراكي الفرنسي يرى ان الاعتراف بالواقع الفلسطيني لا يؤدي، بداهةً، إلى نفي حق اسرائيل في الوجود، وهو حق اعلنته منظمة الأمم المتحدة منذ خمسة وعشرين عاماً (وكان الاتحاد السوفياتي أول من أقام علاقات دبلوماسية مع الدولة الجديدة)، ولا يمكن اعادةُ طرحه على بساط البحث. وأضفتُ ان حق الوجود يفترض أن تكون اسرائيل مزوّدة بما يمكّنها من البقاء.

«في اليوم التالي، عمدت وكالتان إلى تناول تصريحاتي، فاعملتا فيها تقطيعاً، ولم تُبقيا منها الا على ما يرضيها. كما حذفتا من خطابي كلمتي «الواقع الفلسطيني». هل كان علي أن أكذّب تكذيبي؟ فتخليتُ عن خوض هذه المعركة غير المتكافئة.

«بناءً عليه، كانت العودة إلى باريس وكان تغيير الاجواء. ورغم انني لم أغيّر موقفي حول الشرق الاوسط قيد خردلة، انهال عليّ الصحفيون الميالون للعرب مطالبين بتوضيح الأسباب التي تكمن وراء هذه التغييرات. وبدلاً من أن أعمد إلى افراغ جعبتي مجدداً مما فيها من حجج، وبدلاً من أن أصحح وأنقّح وأحتج، فضّلتُ أن أدعَ المعلقين الرصينين يميزون بين الحق والباطل، واكتفيتُ بأن أذكّر مرةً أخرى ببنود برنامج الحزب الاشتراكي

التي تتعلق بهذا الموضوع.

«لقد تألمت بالفعل لما حدث. فقد اتُهمتُ هنا بأنني موافق على خطة آلون، واتُهمتُ هناك بأنني أتبنى وجهات النظر الاسرائيلية المتطرفة من ألفها إلى يائها. اما الأمين العام الباريسي للمؤتمر العالمي للمسيحيين من أجل فلسطين، فقد ندّد «بانضمامي إلى أشدّ الاطروحات الاسرائيلية تشدداً»، كما ندّد بالدفع الذي منحتُه «للسياسة التوسعية لدى القادة الاسرائيليين». بدّل.

«ووصفتني صحيفة «المجاهد» الجزائرية «بالاشتراكي - الصهيوني» وأخذتْ عليّ كوني نصيراً «من أنصار حرب الابادة في الجزائر» (كذا) وانني اتبنى «فلسفة العدوان» وأعمل أخيراً على بعث «العقلية الاستعمارية في القرن التاسع عشر». ايضاً بدّل.

«ماذا يسع المرء أن يقول؟ ماذا يسعه أن يفعل؟ لقد راودتني الرغبة، مرةً، في أن أوجه لكلا الفريقين توضيحاً يتسم بكل الصفات الرسمية: نعم، قلت كذا، كلا، لم أقل كيت، الخ... لكن شيئاً من الحكمة حدا بي إلى التخلي عن هذه الفكرة. هنا كما في أمكنة أخرى، وعبر الازمنة التي تجري، أصبحت الـ«نعم» والـ«لا» عملتين لا قيمة لهما.»[٩]

٩- فرنسوا ميتران «الحب والزؤان»

بعد عودة فرنسوا ميتران من اسرائيل، في أواخر مارس / آذار ١٩٧٢ ، أقر الحزب الاشتراكي برنامجه الذي تضمن المبادىء التالية التي يبني عليها سياسته في الشرق الادنى:

ـ الاعتراف لإسرائيل بحقها بالبقاء وبالسلامة وكذلك الأمر لسائر أمم الشرق الاوسط (كدول ذات سيادة) بما فيها الأمة العربية في فلسطين، التي تختار ممثليها بمطلق الحرية.

ـ الضمان لأسرائيل ولسائر الأمم حق التجول في مجاري المياه الدولية في مضيق تيران وفي قنال السويس.

ـ اتفاق الدول العظمى فيما بينها من أجل وضع حد للمزايدة في تسليم السلاح.

ـ رسم الحدود النهائية عن طريق المفاوضات بين الفرقاء المعنيين والانسحاب من الاراضي المحتلة.

ـ مفاوضات فيما بين دول المنطقة كلها من أجل اعادة توطين اللاجئين العرب، وذلك بمساعدة الاسرة الدولية كلها.[١٠]

١٠ـ أسبوعية «لونيته»

بعد صدور البيان الآنف الذكر عن الحزب الاشتراكي، واعلان فرنسوا ميتران شخصياً عن اعترافه بحق الشعب الفلسطيني بوطن، اعتبر الحزب الشيوعي الفرنسي ان احدى العقبات قد أزيلت من طريق الاتفاق مع الحزب الاشتراكي على برنامج مشترك للحكم. وبرغم ان الحزب الشيوعي كان متقدماً جداً على الحزب الاشتراكي في هذه القضية، الا انه قَبِل ان يوقع معه بياناً يعترف بالحد الادنى. وهكذا تضمن برنامج الحكم المشترك الموقف التالي من القضية الفلسطينية والعربية:

« تبذل الحكومة جهدها من أجل المساهمة في إعادة السلام إلى الشرق الادنى، في اطار احترام حقوق دول المنطقة بالبقاء وبالسيادة، وبنوع خاص دولة اسرائيل. وكذلك أيضاً باحترام الحقوق القومية للشعب العربي في فلسطين. وتبني الحكومة عملها في هذا الاتجاه على قرار مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢٢ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٦٧[١١].

١١- المقطع اليتيم المخصص للشرق الاوسط في « البرنامج المشترك للحكم » الذي وقعت عليه أحزاب اليسار الثلاثة: الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي والحزب الراديكالي اليساري، بتاريخ ١٢ يوليو/ تموز ١٩٧٢

بعد أكثر من سنة بقليل على توقيع برنامج الحكم المشترك مع الشيوعيين والراديكاليين، اندلعت حرب تشرين أو **« حرب الغفران »** كما يحرص ميتران على تسميتها دائماً. ونظراً لأن الجيوش العربية حققت انتصارات عسكرية في بداية الحرب، كادت تهدد سلامة اسرائيل، فقد عادت إلى فرنسوا ميتران ردود الفعل الاولى التي تضع اسرائيل وبقاءها وأمنها فوق كل قضية أخرى. ووقف في المجلس النيابي يهاجم وزير الخارجية ميشال جوبير على موقفه غير المتضامن مع اسرائيل، ويقول ان الاشتراكيين وضعو **« مبدأ جوهرياً »** وهو حق اسرائيل بالبقاء، كما انه هدد المكتب التنفيذي للحزب بالاستقالة من الامانة الاولى وترك الحزب الاشتراكي لأن المكتب التنفيذي تردد في تبني بيان مؤيد لاسرائيل يصدر باسم الحزب.

الا ان هذه المواقف « العفوية » إذا جاز القول، لم تُنسِهِ، الحق العربي ولا الواقع الفلسطيني. لكنهما يأتيان بعد « المبدأ الجوهري ». ثم ان الموقف في ساحات القتال كان قد تغيّر.

فرنسوا ميتران:

« لقد وضع الاشتراكيون الفرنسيون مبدأً جوهرياً، الا وهو حق اسرائيل بالبقاء. وهذا الحق تضمنه الامم المتحدة، وكان الاتحاد السوفياتي السبّاق في الاعتراف به. وهذا الحق لا يزال قائماً اليوم، لكنه يصبح حقاً وهمياً اذا لم تتمتع اسرائيل بحدود آمنة تجعلها في مأمن من الاعتداءات الخارجية. ومن جهة ثانية، فالاشتراكيون الفرنسيون لم يتجاهلوا أبداً ان قيام دولة اسرائيل وحرب الايام الستة قد كشفا بجلاء عن الواقع الفلسطيني. وغالباً ما قالوا لاصدقائهم الاسرائيليين بأنهم لن يتوصلوا إلى احقاق الحق والعدالة دون ان يعترفوا هم أنفسهم بهذا الواقع.

« وبرأينا ان تصريح جوبير[١٢] فيه من قلة الحياء ما يتنافى مع الموضوع. قد يتردد (الوزير) بشأن نوع المفاوضات التي يجب اجراؤها، ولكن لا يجوز التردد بين المفاوضات والحرب.

والتصريح الذي يشير اليه ميتران هو التصريح الذي ادلى به جوبير غداة اندلاع حرب تشرين، والذي وردت فيه العبارة التالية: « هل تشكل محاولة العودة إلى الديار عدواناً غير متوقع؟ ».

١٢- ميشال جوبير الذي يتعرض هنا لهجوم ميتران هو نفسه وزير الدولة للتجارة الخارجية في اول حكومة اشتراكية في عهد ميتران. وقد كان وزيراً للخارجية في ذلك التاريخ.

« أننا جميعاً نتخبأ وراء قرار الأمم المتحدة الصادر في عام ١٩٦٧، مع اننا نعرف جيدا ان الترجمة تسمح لهؤلاء واولئك بأن يتراجعوا عن التزاماتهم. ولكن هل يجب أن نعدد قائمة بالاراضي التي اكتُسبتْ بقوة السلاح في كل انحاء العالم؟ وهل الحق، من الآن وصاعداً، هو في أن تُهدِدَ سلام العالم، من أجل أن تسترجع بالقوة ما تعتبر انه يمكن استرجاعه؟ الا يجب أن نتوجه إلى التحكيم، والتعايش والسلامة المشتركة؟ الا نرى اننا نتجه نحو العودة إلى وضع يسجل بداية انهيار القيم التي اشرتُ اليها؟

« وانني اليوم، بدلاً من أن أحمل الدول العظمى مسؤولية ما يجري، لأشعر بالسعادة من جراء الحكمة التي يتحلون بها والتي يجب أن تحث المتحاربين على أن يفهموا انهم لن يحصلوا على شيء بواسطة الحرب، وان حظهم الوحيد هو في التفاوض، وانه يجب اغتنام هذه الفرصة، خصوصاً عندما يكون اسمها السلام للجميع والحرية لهم. »(١٣)

١٣- جريدة لوموند - ١١ اوكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٣.

ويبدو انه لم يكن في نية الحزب الاشتراكي أن يصدر بياناً رسمياً حول الحرب، الا ان فرع الحزب في باريس سارع إلى اصدار بيان يدعو فيه اسرائيل إلى الانسحاب من الاراضي المحتلة كمبرر لوقف العمليات العسكرية. وكان هذا البيان مؤيداً للعرب، ولا يدين الهجوم المصري السوري. ولم يتمكن ميتران من السكوت، فدعا المكتب التنفيذي في الحزب إلى ادانة فرع باريس وإلى شجب بيانه، كما أكره المكتب التنفيذي اكراهاً على اصدار البيان التالي[١٤]:

« عادت الحرب من جديد تمزق شعوب الشرق الأدنى. وفي هذه المناسبة، يتوجه الحزب الاشتراكي بالنداء إلى جميع المسؤولين: يجب عمل كل شيء من أجل التوصل إلى وقف النار وإلى التفاوض المباشر، ويحذّر من اخطار اتساع رقعة النزاع، هذه الاخطار التي تنتج حتماً من استمرار النزاع. كما يدين كل نداء أو تحريض على توسيع رقعة النزاع، وبنوع خاص عن طريق توريد السلاح.

« ويعبّر الحزب الاشتراكي عن أمله بأن يسمح وقف الاعمال

١٤ـ هدد فرنسوا ميتران بالاستقالة من منصب الامين الاول للحزب، لأن المكتب التنفيذي تردد في تبني هذا البيان لاعتباره مؤيدا كل التأييد لاسرائيل ومتجاهلاً لحق العرب.

العدائية بالعودة إلى البحث عن حل جذري للمشاكل المطروحة وذلك طبقاً للمبادىء التي وردت في برنامج الحزب الاشتراكي:

-« الاعتراف بحق اسرائيل بالبقاء وبالسلامة، وكذلك الامر بالنسبة لسائر دول المنطقة، بما فيها الامة العربية في فلسطين.

-« رسم حدود نهائية عن طريق المفاوضات فيما بين الفرقاء المعنيين، والانسحاب من الاراضي المحتلة.

« وتستند هذه المبادىء إلى قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ والذي كرّس قيام دولة اسرائيل بين دول هذه المنطقة من العالم. وعلى قرار الامم المتحدة الصادر عام ١٩٦٧، والذي نص على شروط التفاوض. ونظراً للظروف الراهنة وللنزاع الدائر حالياً، فإنه لا يمكن تجاهل التفاوت في المجازفة، إذ ان اسرائيل تجازف ببقائها ذاته. وانه لمن الواضح ان حقها بالبقاء سيكون مجرد وهم اذا لم تتمتع بحدود آمنة. صحيح ان ادانة الحرب في الشرق الادنى لا يجوز أن تقتصر على البحث عن البادىء بالعدوان، ولكن من الضروري التأكيد على أن الحل العسكري ليس قادراً على اقامة توازن دائم في الشرق الادنى.

« وعلى هذا الأساس، فإن الحزب الاشتراكي يشجب تصريح السيد جوبير، إذ يجوز التردد حول نوع المفاوضات التي يجب القيام بها. ولكن لا يجوز ابداً التردد بين التفاوض والحرب[١٥]

١٥- اسبوعية «لونيته» - ١٩/٢٥ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٧٣

وبعد انقضاء اربعة ايام على العمليات العسكرية، كتب فرنسوا ميتران في اسبوعية الحزب «لونيته» عن هذه الحرب يقول:

«أحاول أن أحدث نفسي دون مواربة عن هذه الحرب الجديدة في الشرق الاوسط. أما بالنسبة لما يتعلق بالشرق الاوسط، فالبرنامج المشترك يشكّل خير دليل لكنه يتوقف بالضبط، لسوء الحظ، حيث تصبح الأمور مشوّشة (و«الاكثرية»[١٦] هي الاخرى تعاني من نفس المشكلة).

«حول حق اسرائيل في الوجود، يبدو في ظاهر الأمر ان لا مشكلة هناك. فالتصويت الذي جرى في منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ يتمتع بقوة القانون الدولي، ولا أنسى ان الاتحاد السوفياتي كان أول من سارع إلى اقامة سفارة له في تل أبيب. ولكن ماذا حول حق اسرائيل في الحصول على الوسائل التي تمكنها من الوجود؟ هنا سرعان ما تبدأ الأمور بالتعقّد. ثم قبل كل شيء، ما هي الحدود الآمنة؟ فنحن نعلم، منذ ١٩٦٧، انها ليست تلك الحدود التي تضمنها منظمة الأمم المتحدة والقوى الكبرى. ثم انني الاحظ ايضاً ان الجيوش المصرية والسورية لو كانت قد

١٦ـ الاكثرية الحاكمة في فرنسا آنذاك كانت تضم الديغاليين والجيسكارديين. والملاحظة هنا لميتران نفسه.

انطلقت في هجومها، يوم السبت، من قطاع غزة ومنحدرات الجولان صوب نهر الاردن، وليس من قناة السويس، لكانت قد أصبحت في قلب اسرائيل منذ حين. فكيف السبيل اذن إلى تعيين الحدود الآمنة والحدود غير الآمنة؟

« ان منظمة الأمم المتحدة قد أمرت اسرائيل بإعادة بعض الاراضي (حسب النص الانكليزي) أو كل الاراضي (حسب النص الفرنسي) التي احتلتها خلال حرب الايام الستة. بعضُ الاراضي أو كلها؟ ها هو القاموس يدخل هو الآخر معترك الستراتيجيات العالمية. لكن الحرب، للأسف، لا تكتفي بالكلمات فقط »[(١٧)].

١٧- اسبوعية «لوبنيته» - ١٠ أكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٣

ولم يُؤخَذ فرنسوا ميتران بالدعاية المغرضة والمعادية للعرب التي صورتهم على انهم المستفيدون الوحيدون من ارتفاع اسعار النفط، ووقف في الجمعية الوطنية يقول ان المسؤولية تقع على الشركات الكبرى، ويحلل ذلك بموضوعية:

« لا آخذ على الدول العربية أن تكون قد خفضت من انتاج النفط ولا أن تكون رفعت من سعره. فهذا القرار سابق للحرب، ويعبر عن استراتيجية تجارية يمكن تفهمها. والحقيقة ان شركات النفط الكبرى هي المسؤولة قبل الدول العربية وأكثر منها عن ارتفاع الاسعار، سيّما وإن هذه الشركات كانت قد اتبعت في الماضي ولفترة طويلة جداً سياسة بيع النفط بأسعار زهيدة جداً من أجل اضعاف المنافسة التي قد تسببها لها مصادر الطاقة الاخرى، ومن أجل تخفيض عدد شركات النفط المستقلة.

« ونظراً لكون هذه الشركات ستحقق ارباحاً اضافية هائلة نتيجة لقرار الدول العربية، فإن من واجب الدول الاوروبية التسع ان تستعجل في اتخاذ القرارات بشأن تنفيذ المشاريع الرامية إلى تنظيم الشركات المتعددة الجنسية. صدقوني، من هنا يجب ان نبدأ عندما نتحدث عن البترول... ومعركة الاستقلال تبدأ في الميدان

الاقتصادي. ومن يخطىء في اختيار الميدان يرتكب خطأ تاريخياً »[١٨].

١٨- مناقشة السياسة الخارجية في المجلس النيابي، وزير الخارجية هو ميشال جوبير - جريدة لوموند - ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣

حرب تشرين، بادخالها تعديلاً مهماً على المعادلات السياسية والعسكرية والاقتصادية في الشرق الاوسط، نقلت القضية من خانة المواقف المبدئية والعموميات إلى موقع البحث العملي «بالتفاصيل». ونظراً لاهتمام فرنسوا ميتران اهتماماً شخصياً وسياسياً بالشرق الاوسط، فقد كان يتتبع عن كثب كل تطور يطرأ، فيبدي رأيه ويعلق، ويغتنم الفرصة ليهاجم الحكومة وليظهرها بمظهر المتحيز للعرب ضد اسرائيل. في حين

«انني اعتقد انه يجب على فرنسا ان تحفظ نفسها من المواقف العدائية أو غير الودية من هذا المعسكر أو ذاك. وعلى هذا الأساس، فسَّرْتُ بيع السلاح[١٩] لليبيا على انه عمل غير ودي تجاه اسرائيل. مع العلم، انني ذهبتُ بنفسي لزيارة الرئيس السادات لاعادة العلاقات التي كانت شبه مقطوعة بين الدول العربية والتيار الاشتراكي في فرنسا. ويكفي هذا للقول انني اؤمن بانه يجب الحفاظ على مصالح فرنسا في المعسكرين[٢٠]».

١٩- السلاح المقصود هنا هو بنوع خاص طائرات الميراج التي اشترتها ليبيا من فرنسا والتي كشف فيما بعد عن ان ليبيا وضعتها بتصرف مصر أثناء حرب تشرين ١٩٧٣.

٢٠- ندوة صحافية عقدها فرنسوا ميتران في اذاعة اوروبا رقم واحد، بتاريخ ١٥ مايو / ايار ١٩٧٤، ونقلت جريدة لوموند مقتطفات منها.

وأراد فرنسوا ميتران أن يطلع بنفسه على التغييرات التي أدخلتها حرب تشرين على المعادلات بين القوى، وان يتأكد من المفاهيم والذهنيات والاستعدادات لدى المسؤولين. فسارع إلى تلبية دعوة وجهها له محمد حسنين هيكل لزيارة مصر. وزار اسرائيل أكثر من مرة. وطار إلى الجزائر. ويقول نبيل خوري[٢١] ان ميتران بذل أكثر من محاولة لدى أكثر من سفارة عربية من أجل «الحصول» على دعوة لزيارة هذا البلد العربي أو ذاك. لكن «جسر العسل» الذي امتد بين العرب والديغوليين أولاً ثم مع الجيسكارديين، اخفى عن المسؤولين العرب حقيقة التغيير الذي كان يحدث في العمق داخل فرنسا. وما كان أحد منهم ليتوقع ان «يحدث المستحيل» ويفوز ميتران. لذلك، لم يكن من الضرورة برأيهم ـ ولا من الحنكة ـ اثارة حساسية الاكثرية الحاكمة التي تستجيب لكل طلباتهم، بدعوة زعيم المعارضة وتكريمه، «وهو الذي يعلن صداقته لاسرائيل» ، ويتخذ من تأييد الحكومة للقضايا العربية حافزاً لمهاجمتها وانتقادها بعنف[٢٢].

وفي اكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٥ ، نشرت مجلة «دروا دي

٢١ـ رئيس تحرير مجلة «المستقبل» الصادرة في باريس، وقد ذكر ذلك في الفتتاحية العدد الذي تلى مباشرة انتخاب فرنسوا ميتران في ١٠ مايو / ايار ١٩٨١.

٢٢ـ ننشر في مكان آخر من هذا الفصل الانطباعات التي عاد بها فرنسوا ميتران من القاهرة ومن زيارات اخرى لاسرائيل.

فيفر» أي «الحق بالحياة» المقابلة التالية مع فرنسوا ميتران:
(النص على الصفحة التالية).

قام فرنسوا ميتران، عضو لجنة الشرف في جمعية «ليكا»[٢٣] بزيارة لاسرائيل على رأس وفد من الحزب الاشتراكي، وقد أدلى لبيير ايدنبوم، ممثل نشرة «الحق بالحياة»[٢٤] بانطباعاته عن الزيارة.

بيير ايدنبوم: خلال اللقاءات الكثيرة التي كانت لكم مع القادة الاسرائيليين، هل نصحتموهم بالتفاوض مع الفلسطينيين؟

فرنسوا ميتران: اننا نعلم حق العلم ما علينا أن نقوم به وما يجب الا نقوم به. اننا نعطي رأينا، لكننا لا ندخل إلى سياسة اسرائيل الداخلية. رأينا هو ان هناك بعض المبادىء البسيطة التي هي بحاجة إلى تحديد. أولى هذه المبادىء هو ان اسرائيل موجودة، ولها الحق في الوجود، وعليها أن تمتلك الوسائل التي تخولها هذا الحق. ثاني هذه المبادىء هو انه يوجد في هذا الجزء من العالم واقعان تاريخيان متناقضان، وليس هناك من أحد في العالم يستطيع الادعاء بأنه قدّم صيغة التوفيق المنشودة (بين هذين الواقعين)، بعد أن سعى اليه عبثاً كثير من الرجال والمؤسسات. تأملوا ان الذين يُسمَّون بالكبار الاربعة لم يتوصلوا إلى ذلك. لقد أقرّت منظمة الامم المتحدة توصيات مهمة، لكنها لم تتوصل إلى

٢٣- ليكا هي الرابطة الدولية لمكافحة اللاسامية.

٢٤- «الحق بالحياة» نشرة يهودية تصدر في باريس.

اقناع اولي الامر بتطبيقها.

اما اقتراحنا نحن، فيقتضي اللجوء اولاً إلى نقاشات مباشرة بين الفريقين.

المبدأ الثالث هو ان هناك واقعاً فلسطينياً، وان هذا الواقع الفلسطيني لا يسعه، في حالة الامور الراهنة، ان يعرف الا بعض الحلول التي يمكن تعدادها:

- اما أن يُصار، كما تقترح منظمة التحرير الفلسطينية، الى ايجاد دولة علمانية (على حد قولهم) على ان يختلط السكان ويسود قانون العدد. وهذا موقف ترفضه اسرائيل حتى الآن.

- واما أن يُصار إلى ايجاد كيان وطني جديد، لم يوجد حتى الآن ابداً، ويشتمل على الاراضي المسماة بالمحتلة.

- واما أن تُضم هذه الفلسطين، التي لا أخلط بينها وبين ارض اسرائيل بل أعبّر عن سكانها، إلى الاطار الاردني. وأكرّر هنا وأتمسك وأشدّد على انه لا يجب علينا أن نفكر بطريقة أخرى غير طريقة التفكير المعلنة. ولا يجب علينا أيضاً، بوصفنا حزباً صديقاً، أن نُملي الحل على اعضاء حزب العمل الاسرائيلي. ان تفضيلنا ونظرتنا للتاريخ والفكرة التي نكوّنها عنه، هو ان هناك واقعاً خاصاً بفلسطينيّي الاراضي المحتلة، وان تجاهل هذا الواقع يقتضي حلاً مخصوصاً، ويهدد بتأجيل حلّ هذه المشكلة إلى مستقبل غامض.

هذا هو بصريح العبارة موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي.

واريد أن اذكّر أيضاً انني قلتُ منذ سنتين، في القاهرة، واعلنتُ ان الحزب الاشتراكي الفرنسي لا يقبل بأي اتفاق لا ينص على وجود اسرائيل المعترف به من جميع اطراف القانون الدولي.

وقد ذهبتُ في العام الماضي إلى الجزائر، وقلتُ في تلفزيون الجزائر، اننا لن نوقّع على نصّ مع السلطات الجزائرية لأننا نريد أن تُطرح قبل ذلك مسألة اعتراف البلدان العربية، دولياً، بدولة اسرائيل.

سؤال: في حال حصول التفاوض، هل تعتقدون ان على اسرائيل أن تعود إلى حدود عام ١٩٦٧؟

فرنسوا ميتران: لقد وافق الحزب الاشتراكي الفرنسي على القرار رقم ٢٤٢ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة. لكننا لم نستطع أن نحلّ محل المحافل الدولية التي ما زالت تتساءل حتى الآن عن ترجمته الصحيحة. اننا نميل بحكم الكبرياء القومي إلى تفضيل الترجمة الفرنسية. كما اننا ميالون، لأسباب دولية، الى تبني الترجمة الانكليزية. فلنقل اننا بين الترجمتين. مما يعني اننا نرى من غير المعقول أن يُفرض على اسرائيل الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة من أجل البدء بالتفاوض. ففي بعض النقاط الموجودة على حدود بالغة التقطّع، والتي لا تضمن حتى سلامة بعض الطرقات الداخلية، وعلى الصعيد الرمزي والروحي والتاريخي لمدينة مثل القدس، نعتقد من جانبنا انه لا بد من القبول، من كلا الطرفين، ببعض التعديلات المتعلقة بمبدأ العودة إلى الحالة السابقة.

سؤال: هل يمكنكم أن تقولوا لنا ما إذا كان هناك اتفاق بين الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي حول الشرق الاوسط واسرائيل؟

فرنسوا ميتران: عندما قررنا أن نتبنى البرنامج المشترك لليسار بين الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي ناقشنا عدداً من المسائل. واذا كان هناك نقاش، فلان هناك، طبعاً،

عدة نقاط كنا نختلف عليها مسبقاً. والا لما كنا ناقشنا. ومن بين هذه النقاط الصعبة كانت هناك بالضبط مشكلة الشرق الاوسط.

وكان الاتفاق الذي حصل حول الشرق الاوسط هو ما شرحته لكم لتوّي أي:

- نقطة اولى: الاعتراف المتكرر والمتجدد بدولة اسرائيل.

- نقطة ثانية: الاعتراف بوسائل هذا الوجود.

- نقطة ثالثة: الاعتراف بقرارات منظمة الامم المتحدة، ولكن هنا يعود بنا الامر إلى مشكلة الترجمة، وقد التزمنا جميعاً بالتروي حول هذا الموضوع.

عندما يكون هناك اختلاف في وجهات النظر حول مشكلة معينة، وعندما تتجه الرغبات نحو الاتفاق، فإن الحكمة تقضي بالبحث عن الحد الادنى الممكن لفترة محددة، ثم يُصار إلى الثقة بتطور الاحداث. حول الشرق الاوسط، وخاصة حول اسرائيل، استطيع القول ان الحزب الاشتراكي لم يكن له أن يقبل ابداً، لم يكن له أن يتخلى ابداً عن الفكرة التي كوّنها عن تطور وجود هذه الدولة، عن تطوّر هذا الشعب الذي كثيراً ما أُعجبنا بشجاعته، واللذي لم تكن آماله عبر القرون، بل عبر آلاف السنين، بعيدةً عنا. اما الحزب الشيوعي فله بالذات اهدافه وتطلعاته، وليس هناك من يجهل، انه على صعيد ستراتيجية الشيوعية الأممية، هناك أهداف في هذا الجزء من العالم لا تتفق مع تطلعات العديد من البلدان الغربية، وهي تطلعات قد يكون للاشتراكيين الفرنسيين تحفظات كثيرة حولها.

نحن لدينا اذن برنامج ادنى، ادنى بالنسبة للمسائل التي عولجت، ادنى بالنسبة لتوقيت تطبيقه. لقد مضى على هذا الاتفاق

اربع سنوات، ويبدو لي ان الاحداث التي جرت منذ ذلك الحين تُخولني أن أقول انها قرّبتنا من الحل الايجابي أكثر مما ابعدتنا. أقول ذلك دون أن أتكهن حول ما سيجري. إذ انه من الصحيح ايضاً ان التحاليل ونقاط الانطلاق مختلفة. الا ان الأهداف بدأت تلتقي، وهذا هو مشروع البرنامج المشترك اليساري.

سؤال: لقد صرّح بعض اعضاء وفدكم في الماضي تصريحات اعتبرناها معادية لاسرائيل. فكيف اقنعتموهم هذه المرة بمرافقتكم وبزيارة الاراضي المسماة محتلة؟

فرنسوا ميتران: لا أعرف اشتراكياً واحداً يرفض الاستعلام، فأنا، مثلاً، لا أعرف ان هناك اشتراكيين معادين للعرب، في حال وجود اشتراكيين معادين لهم، يرفضون مرافقتي إلى البلدان العربية. وذلك على الأرجح لانه ليس هناك من اشتراكي معاد للعرب، ولا معاد لاسرائيل. ولكن هناك في الحقيقة اختلافات في وجهات النظر بالنسبة لمشكلات العلاقات بين اسرائيل والعرب.

إن ممثلي الحزب الاشتراكي، اعضاء الوفد الذين اشرتم اليهم، هم بكل بساطة اشتراكيون منظمون يلتزمون بالقرارات التي اتخذها حزبهم بالاكثرية. وهم أحرار في أن يعربوا عن آرائهم في مؤتمراتنا وفي اجتماعاتنا العامة.

سؤال: قبل عودتكم إلى فرنسا، هل باستطاعتكم أن تعطونا انطباعاً عاماً عن هذين اليومين اللذين قضيتموهما في اسرائيل؟

فرنسوا ميتران: سأقول لكم بكل بساطة، اننا جئنا كأصدقاء واننا نرجع كأصدقاء.

بالازدراء، قابل فرنسوا ميتران قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، القاضي باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية .

الثلثاء ـ ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٥ .

« الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري » بتعبير آخر « الصهيونية تساوي العنصرية » . هذه هي العقيدة الجامدة الجديدة التي نصتْ عليها الليلة ٧٢ بلداً مقابل ٣٥ ، وامتناع ٣٢ ، في الجمعية العمومية للأمم المتحدة . كلمني روبر بادنتير[٢٥] هاتفياً ، وطلب مني توقيعي على عريضة احتجاج . سوف اعطيه توقيعين بدلاً من واحد . كنت أعلم ان التعصب الأعمى صفة من صفات الحماقة . غير ان نفسي تحدثني ان أكتب هذا الصباح بأنه الحماقة نفسها لم أكن بحاجة ابداً ، في سبيل التأكد مما أقول، إلى التفرّس في الوجوه، أو إلى الاستماع لكلمات أصحاب الادانة . ان حقد البشر السحيق ضد الجنس البشري هو سدى تاريخهم ولحمته .

« لنوفّر الكلمات الكبيرة اذن، ولا نحتفظ منها الا بواحدة: الازدراء . ودعونا نستعرض لائحة الذين صوّتوا « ضد » . والذين

٢٥ـ وزير العدل في الحكومة الحالية، من المقربين جداً الى فرنسوا ميتران.

امتنعوا عن التصويت. من جهة امين دادا وفرنكو. من الاخرى دوفالييه هايتي وسائر النماذج التي من نوعه، وفي الوسط بينوشيه[٢٦].

«اتيْتُ البارحة على ذكر اسم فرنك، غير المرغوب فيه. تداعي كلمات، وتداعي أفكار. فرنك، آن فرنك[٢٧]، هذه الرائعة المؤثرة غير المرغوب فيها. فيا زهرة من أزهار الحياة، أيتها الميتة المسكينة، بك أفكر عندما أكتب كلمة: العفو.»[٢٨]

٢٦- امين دادا رئيس اوغندا، فرنكو رئيس اسبانيا، دوفالييه رئيس هايتي، بينوشيه رئيس التشيلي. وجميعهم اقاموا في بلدانهم انظمة لا تفوح منها رائحة الديمقراطية.

٢٧- صبية يهودية هولندية، ماتت وأهلها في المعتقلات النازية.

٢٨- كتاب «النحلة والمهندس» - ١٩٧٧

واهتم فرنسوا ميتران بالوضع في لبنان عند اندلاع الحرب الاهلية فيه. وكان دائماً يحث الحكومة الفرنسية على اتخاذ المبادرات التي من شأنها أن توقف «هذه المأساة الدامية»، وان تعيد إلى هذا البلد وحدته وحريته والسيادة على كامل ترابه الوطني. وفي اكتوبر/تشرين الاول ١٩٧٦، جاء كمال جنبلاط إلى فرنسا ليشرح موقف اليسار من الازمة اللبنانية، فاستقبله فرنسوا ميتران ودعاه إلى مائدته في منزله. ولعل الزعيم اللبناني الراحل من الشخصيات العربية القليلة جداً التي «أولم» لها فرنسوا ميتران، ثم خصص لها مقاله الاسبوعي في مجلة الحزب «لونيته». وفي الجزء الأخير من المقال، ينتقل إلى الحديث عن الضفة الغربية[٢٩].

«لقاء يجري خلال الأسبوع الفائت، في منزلي، في باريس، وفتنة تحدث في الضفة الغربية من نهر الاردن، في بلاد يهودا كما يقول «العهد القديم»، وها أنذا أجد الماضي ينبثق أمام ناظري، فأراه ينبلج بنور ساطع مشعّ، يلتهم الوان الزمن. ماضٍ ينصهر الحاضرُ فيه ويتصل حتى وكأني به قد تحول عن الحضور.

«كان اللقاء مع كمال جنبلاط، الذي يزور فرنسا منذ أيام،

٢٩- اسبوعية «لونيته» عدد ١٥/٢١ اوكتوبر/تشرين الاول ١٩٧٦

شارحاً قضية اليسار اللبناني ومدافعاً عنها. دام حديثنا أكثر من ساعة، بعد الغداء، فيما نحن جالسون نحتسي القهوة. وكان زائري يجيب على اسئلتي المقتضبة بحديث طويل وعلى طريقته المعهودة، مُغمضاً جفنيه نصف اغماضة، رافعاً جبينه العريض وقد تدلت فوقه خصلة من شعر حرون. وهو ضنين الحركة، سلس الصوت، دقيق الكلام، يتكلم بلسان فرنسي فصيح، لكنه احياناً قديم، تتخلله بعض المصطلحات الانكليزية كلما دعت الحاجة إلى الاستعانة بالتعابير التقنية.

« ينتمي كمال جنبلاط إلى الطائفة الدرزية. وهذه الطائفة هي مذهب ديني يعود في اصوله إلى الفرع الاسماعيلي (اتباع الاغا خان) المتفرع هو الآخر عن المذهب الشيعي الذي ما زال يُحدث انشقاقاً في الاسلام حتى اليوم (اذ يرفض الشيعةُ الاعتراف بشرعية خلافة ابي بكر، خليفة محمد، ويؤيدون علي، صهر النبي، ذاهبين إلى ان محمداً قد تلقى امراً الاهياً بتنصيبه ولياً، مخالفين بذلك ما تقول به السنّة حول الاجماع وحول تفسيره من قبل الائمة، وقائلين بالطاعة للامام المعصوم الذي يتحدر من سلالة النبي.

« والدروز أيضاً قومٌ اشاوس، متشبثون بجبلهم، أوفياء لتاريخهم كوفائهم لمعتقداتهم.

« كمال جنبلاط الذي جاء يُمثل لبناناً حريصاً على الدفاع عن وحدته السياسية وعن وحدة اراضيه (وهو الموقف الذي يتبناه الحزب الاشتراكي)، لم يُحدثني بشيء مما ذكرته عن الدروز. لكن ما ذكره من وصفٍ للفرقاء والجماعات ومناطق نفوذها، وما تقدّم به من تفسير للاسباب العميقة للحرب الاهلية وللتدخل السوري، وكانا يستحضران بترابط وثيق الف عام من الصراعات والدماء،

بحيث كنت اخال نفسي ماثلاً في حضرة ذلك الشاهد السحيق القدم الذي يقص من على خشبة المسرح وعلى مسمع من المشاهدين حبكة الأمور التي لا تنتهي والتي حاكتها مشاعر البشر الازلية.

« وسوف أوفر على قرائي عناء التعرّف عن كثب على هذا التنوع الرهيب الذي شاء أن يجمع في تلك الرقعة الضيقة من الكرة الارضية بين جميع الاديان والعروق، بكل ما عرفته من تشعبات وانقسامات وتناقضات عبر كل أنواع الفتوحات والاضطهادات والطغيان التي تعاقبت عليها، بل أيضاً عبر كل وطأة الفروض الروحية، وكأنما نار اليقين تضطرم في تلك الرقعة الصغيرة من العالم بحيث تُلهب الحجارة. بل ما هو أقسى وأصلب من الحجارة. بل انها تحرق بلهيبها العقل الخالص.

« وانتقلنا من الكلام عن الكتائب المسيحية (وأضاف جنبلاط: « الفاشية ») الى الكلام عن الحملات الصليبية. كان يتراءى لي خلف الاطراف الذين يتقاتلون اليوم شبحُ الاسلام بكل انبيائه المتضاربين وشبحُ الكنائس المسيحية في الشرق، المشتتة بين موارنة وروم ارثوذكس وكلدان وسريان ولاتين ويعاقبة وأرمن كاثوليك وأرمن ارثوذكس وروم كاثوليك، وغيرهم ايضا. لم يكن أي من هذه الاختيارات مجانياً. كلها تلزم أصحابها بالتزامات تمتد إلى ما بعد الموت. شرط ضروري، ولا ريب، لاجتياز حاجز الزمن. ان هرطقة نسطوريوس، مطران القسطنطينية، الذي كان ينادي في القرن الخامس بأن طبيعتي السيد المسيح، البشرية والالهية، لم تكونا متحدتين وان المسيح الاله يسكن المسيح الانسان كما يسكن الهيكل، وهرطقة ديوسكوروس، بطريرك الاسكندرية القائلة بأن الطبيعة البشرية للسيد المسيح قد انصهرت في طبيعته الالهية كما يذوب الشمع في المجمرة، ما زالتا تلهمان حتى الآن آلاف المؤمنين، من نساطرة ويعاقبة. وبين تضاعيف الحديث قال كمال

جنبلاط: «لا يسعنا أن نفهم لبنان اذا كنا على جهل بطبيعة الخلاف بين اصحاب الطبيعة الواحدة وأصحاب الطبيعتين.» والحق ان الطائفة المارونية، التي نعلم انها تمارس نفوذاً غالباً في أوساط الشعب المسيحي المنخرط في الصراع الراهن، قد ولدت من ذلك النقاش ومن تلك المعركة. وأخيراً فإن الحكم الذي اطلقه جنبلاط الدرزي على حافظ الاسد العلوي رئيس الجمهورية السوري، يذكّر بحضور القرون الماضية وثقلها على الحاضر.

« كنت بصدد اضفاء بعض الترتيب على الملاحظات التي دوّنتُها خلال هذا اللقاء (ثم تولى ليونيل جوسبن تكملتها) عندما علمت بنبأ نهب كنيسٍ في الضفة الغربية. كان هذا الكنيس قد بُني مؤخراً بمبادرة من بعض الاسرائيليين المتطرفين الذين ينتمون إلى « كتلة الايمان » على مقربة من كهف « مكبلاح » الذي اشتراه ابراهيم الخليل بمبلغ قدره ٤٠٠ سيكرة، كما تقول التوراة في سفر التكوين، ليجعل منه مدفناً له ولسارة زوجته. وقد دُفن فيه ابراهيم وسارة، ثم دُفن فيه بعدهما كل من اسحق ويعقوب وليا وربقة ويوسف وجوليا، اباء اسرائيل وامهاتها. فوق هذا الكهف مباشرة يوجد كذلك جامع، بُني في القرن الثالث عشر مكان الكنيسة التي بناها الصليبيون مكان أحد المعابد الهيرودية. في يوم الاحد، الثالث من اكتوبر / تشرين الاول، قام جمع من المسلمين بمهاجمة الكنيس المذكور وحطموا فيه لفائف التوراة. بعد ذلك بأيام معدودة قامت وحدة من الجيش الاسرائيلي يواكبها آلاف من المتدينين بنقل الاوراق المقدسة إلى المدفن المقدس القديم الكائن في الضفة الغربية لدفنها هناك جرياً على التقاليد.

« غيظ مقابل غيظ. بعد آلاف من السنين، يعمد شعبان وديانتان إلى التنقيب في الكتب المقدسة وفي الشريعة. إلى أي تاريخ يا ترى، ينتمي « حقل افرون في مكبلاح، الكائن تجاه

مامري، الحقل والكهف الذي فيه، وجميع الاشجار الموجودة في الحقل وعلى كل حدوده» (سفر التكوين ٢٣،٢٤)؟ الا ان شمعون بيريز الوزير المسؤول، بعد اجراء الاستشارات مع الاطراف المعنية، اتخذ قراراً حكيماً يقضي بأن «يصلي اليهود في الصالات التي توجد فيها قبور ابراهيم ويعقوب وليا» بينما «يصلي المسلمون في الصالة التي يوجد فيها رفات اسحق وربقة، وكذلك ايضاً في الصالة التي يوجد فيها رفات يوسف وجوليا».

«هذا لم يحل دون احتدام النقاش في الكنيست، برلمان القدس، ولا حال دون تحمّس الرأي العام العربي واليهودي، ولا دون تطوّع المفسرين والشرّاح لتقديم تفسيرات متضاربة للنصوص. ويقال ان هذه الحادثة قد تؤدي إلى زعزعة حكم رابين. أو ان رابين قد يستغل هذا الظرف لمضايقة منافسه بيريز. ما الذي يشكّل كنه هذا التسلسل الذي يبدأ بشراء حقل منذ ثلاثة آلاف عام قبل المسيح وينتهي بالاصطدامات التي حصلتْ اليوم؟ كنتُ قد أشرت منذ قليل إلى حضور القرون الخالية حضوراً ملحاحاً بين ظهرانينا. مجنون من يظن انه بمنأى عن هذا الحضور.

كان فرنسوا ميتران بين السياسيين، من القلائل الذين اعطوا الاهمية التي تستحق لمبادرة السعودية بتقديم ٧،٥ مليارات فرنك لمساعدة الدول الفقيرة. ولم يكتفِ بالاشادة بها، بل دعا اوروبا والغرب إلى أخذ الدرس والاعتبار به.

الأحد ١٣ مارس/اذار ١٩٧٧

« البادرة التي قامت بها المملكة العربية السعودية باتجاه العالم الرابع (وقيمتها سبعة مليارات ونصف المليار من الفرنكات) تنتمي، بلا جدال، إلى الحيّز الدبلوماسي. فالمساعدة المالية لسوريا، مثلاً، ليست بمعزل عن ذهنية الاعتدال التي برهن عنها حافظ الاسد خلال التقارب بين الملك حسين والفلسطينيين. وسيعلم الملأ عما قريب ان الخطوط العريضة للاتفاق الذي يجري تحضيره لجنيف، انما رُسمت في الرياض. لكن الاكتفاء بالقول ان المسألة مسألة مهارة وحسب، يكاد يؤدي الى بلبلتنا. عندما يكون بحوزة المرء سلاح عظيم، لا سيما البترول، فإن من الأفضل له أن يستخدمه في محله. بهذا الصدد، نرى ان السعوديين يلقنوننا درساً، من الحكمة ان نتأمل في معانيه. اذ ماذا نحن فاعلون بقمحنا، وزبدتنا، وفولاذنا، وأموالنا؟ لقد نظرنا ملياً صوب ايران، ولم ننظر ما فيه الكفاية إلى هذا الصوب.

« ولا شك اننا نتذكر الموقف المعتدل الذي اتخذته المملكة

العربية السعودية عندما قررت منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك) ان ترفع سعر النفط. كل الامور تدعو للاعتقاد بأن التسوية حول الرفع العام للاسعار بنسبة ٧،٥ بالمئة سوف يضع حداً نهائياً، خلال فترة وجيزة، لنظام السعر المزدوج. بأسلوب مرن، وعزيمة ثابتة، ووسائل قادرة، استطاعت المملكة العربية السعودية أن تحتل موقعها ضمن البلدان التي تطمح إلى الاضطلاع بدور عالمي[٣٠].

٣٠- «النحلة والمهندس» - ١٩٧٧

عام ١٩٧٨ ، كان عام الانتخابات النيابية . وكان متوقعاً أن يفوز بها اليسار بعد أن فاز في العامين السابقين بالانتخابات القضائية والبلدية . وتكهن أكثر من سيناريو بأن يضطر الرئيس جيسكار ديستان إلى تعيين فرنسوا ميتران رئيساً للوزراء . الا ان الحزب الشيوعي كان هناك « ليُنقذ » فرنسوا ميتران من هذا الانتصار، فعمل كل شيء من أجل شق اليسار . وبدلاً من أن تذهب الأحزاب الثلاثة إلى المعركة متحدة ، وتحت راية برنامج الحكم المشترك والمستحدث ، إذا بها تجد نفسها احياناً تتصارع فيما بينها . واغتنم اليمين الفرصة الذهبية ، فانتزع منها « النصر المحقق لها » .

وفي المعارك الانتخابية ، تكثر التصريحات والاعلان عن المواقف . وفرنسوا ميتران من الذين يتقنون فن الكلام . وفي مقابلة مطولة مع جريدة لوموند ، قال الامين الاول للحزب الاشتراكي آنذاك عن الشرق الادنى :

لوموند ـ ما هي السياسة التي ستنتهجها بالنسبة للشرق الادنى ؟

فرنسوا ميتران ـ الشيوعيون والاشتراكيون والراديكاليون اليساريون متفقون على احترام مقررات الامم المتحدة ، أي الاعتراف بحق اسرائيل بالبقاء ، وبالتالي الاعتراف بوسائل (تأمين) هذا الحق ، من جهة ، ومن جهة ثانية ، الاعتراف بحق

الفلسطينيين بأن يكون لهم وطن وبالتالي كيان قومي. واعتقد ان خير وسيلة للتفاوض من أجل اعادة السلام هي التفاوض المباشر بين المعنيين مباشرة بالأمر. وأفضّل شخصياً التفاوض المباشر على المؤتمرات الدولية الكبيرة، على الاقل في مرحلة أولى. ولذلك، فقد ايّدتُ مبادرة الرئيس السادات. كما اني أؤيد الحوار، مهما كان صعباً وقاسياً اليوم.

دُهشتُ كثيراً من موقف بيغين بالنسبة للمستوطنات الاسرائيلية في سيناء. فهذا المطلب المفاجيء لا يستند إلى أي أساس من الحق ولا إلى التاريخ. أما فيما يتعلق بالضفة الغربية، فإن سكانها عرب بأكثرية هائلة. ويجب على اسرائيل أن تأخذ هذا بالاعتبار. ولقد قلتُ هذا الكلام لاصدقائي الاسرائيليين خلال مؤتمر صحافي عقدتُه في مدينة القدس، العام الماضي. ولكن يجب ان ندرك ان اسرائيل ستظل تشعر بنفسها مهددة، وستتشدّد في مواقفها طالما تستمر معظم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية برفض الاعتراف بحق اسرائيل بالبقاء. من هنا أهمية مبادرة السادات. فالرئيس المصري عرف كيف يقوم ببادرته ويختار كلماته، دون ان يتخلى عن مبادئه.

لوموند ـ هل لديكم اتصالات منتظمة مع حزب العمل الاسرائيلي؟

فرنسوا ميتران ـ نعم. ومؤخراً، قابلتُ شيمون بيريز واسحاق رابين في باريس، وانا دائماً على اطلاع على اقتراحاتهم.

لوموند ـ هل تعتقدون ان هذا الأمر من شأنه أن يسيء إلى علاقاتكم مع الجزائريين؟

فرنسوا ميتران ـ صحيح، اننا نرجع من بعيد، مع الجزائريين،

لكن علاقاتنا اليوم جيدة. وعندما ترأست وفد الحزب الاشتراكي في زيارته إلى الجزائر، اتيح لي أن أعلن الموقف الآنف الذكر على شاشة التلفزيون الرسمية. كما أدليتُ بالتصريح ذاته في القاهرة عندما قمت بزيارة إلى الرئيس السادات.

ولن يكون بوسع فرنسا أن تخرج من المأزق الحرج الذي زجتها فيه سياسة الحكومة الراهنة الا اذا قالت الكلام ذاته للعرب وللاسرائيليين. هذه أفضل دبلوماسية، وهي الدبلوماسية التي تستجرٌ الاحترام والتقدير من قبل الجميع.[٣١]

٣١- جريدة لوموند - ٢٣ فبراير / شباط ١٩٧٨

وفي سياق المعركة الانتخابية ذاتها، وجهت مجلة « تريبون جويف » أي « المنبر اليهودي » عدة اسئلة إلى فرنسوا ميتران، المرشح للفوز وبالتالي لرئاسة الحكومة العتيدة، حول موقفه وموقف الحزب الاشتراكي من اسرائيل ومن منظمة التحرير الفلسطينية:

« حق اسرائيل بالبقاء، حق تمتعها بوسائل تأمين هذا البقاء، حق الفلسطينيين بوطن انطلاقاً من الضفة الغربية وفي اطار وفي شكل دولة ليس من حقنا أن نستبق تصوره أو تحديده، مفاوضات مباشرة تؤدي إلى قيام ضمانة دولية، هذا فيما يختص بالجوهر. ونضيف اننا نعترف لمنظمة التحرير الفلسطينية بالصفة التمثيلية التي أقرت لها بها الأمم المتحدة، مع استمرارنا في الاعتبار بأن منظمة التحرير الفلسطينية تجرد نفسها من الاهلية أو الصفة التي تداعي بها، طالما انها لم تعترف بحق دولة اسرائيل بالبقاء »[٣٢]

٣٢- « تريبون جويف » ٣ مارس / اذار ١٩٧٨

وقبل أيام معدودة من الدورة الثانية للانتخابات، أجرت مجلة «الوطن العربي» الصادرة في باريس مقابلة مع فرنسوا ميتران، اثارت فيها كل المواضيع وطرحت الاسئلة التي ترد في بال كل مواطن عربي يجد نفسه في مواجهة الامين الاول للحزب الاشتراكي الفرنسي[٣٣].

الوطن العربي - إذا فاز تحالف أحزاب اليسار في الدورة الثانية من الإنتخابات النيابية التي ستجري في ١٩ آذار / مارس الحالي، فمعنى هذا انكم واصلون إلى الحكم. ومعنى هذا، بالتالي، انكم ستواجهون، عاجلاً أم اجلاً، مشكلة الشرق الاوسط، فما هي السياسة التي تفكرون في اعتمادها في هذا المجال؟ هل ستكون مختلفة عن سياسة الحكومة الحالية؟... وكيف؟

فرنسوا ميتران - موقفنا واضح وبسيط. نحن نعتقد ان من اللازم، أول ذي بدء، الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود من جهة، وبحق الفلسطينيين من جهة ثانية. وعندما يتم الاعتراف بهذا الحق، يبقى الأهم، في نظرنا، الاعتراف بالوسائل والسبل المؤدية إلى هذا الوجود.

وهناك مشكلة الاراضي التي استولت عليها اسرائيل بعد

٣٣- الوطن العربي ١٠/١٦ مارس / آذار ١٩٧٨

حرب الستة ايام. وعلى هذا البلد ان يفهم انه، من أجل المفاوضة في مسألة السلام، لا يمكن الاشتراط، كمبدأ مقدس مسبق، عدم التخلي عن هذه الاراضي. واذا توفرت فعلاً نية التفاوض فلا يمكن، في المقابل، المطالبة في أن يتخلى مسبقاً عن الضمانات التي يملكها.

من جهتي، انا مؤيد تماماً للمفاوضات المباشرة بين الجهات المعنية. ولهذا السبب، قدرت زيارة الرئيس السادات للقدس، فهذه مبادرة تاريخية كبرى أثّرتْ في الضمائر. وانتم تعرفون، ان السياسة الخارجية ليست مجرد تحريك بعض البيادق على رقعة الشطرنج. فمن أجل تحقيق النجاح لا بد من تحريك الضمائر. ولكي استعمل تعبيراً آخر، أقول الضمير العالمي.

انطلاقاً من هنا، فاننا نأمل أن تتعدى المحادثات المباشرة الجانبين المصري والاسرائيلي، فتتعمم عن طريق سلسلة من المناقشات أو المحادثات الثنائية. ويمكنني أن أضيف التمني بأن يؤدي كل ذلك إلى ضمانة دولية.

الوطن العربي - اذن كيف سيكون موقفكم بالنسبة إلى مسألة الاراضي العربية المحتلة؟

ولم يكن هنا رد ميتران واضحاً ومحدداً. وتجنَّبَ الاجابة المباشرة عن السؤال، بالردّ بصيغة سؤال على الوجه الآتي. (٣٤)

فرنسوا ميتران - إذا رجعنا إلى قرارات منظمة الأمم المتحدة، فإن غموضاً يلتبسها حيث ان الترجمتين الفرنسية والانكليزية مختلفتان. احداهما تفترض الانسحاب من الاراضي المحتلة كمقدمة لكل مفاوضات. والأخرى تتحدث عن انسحاب

٣٤- الملاحظة للوطن العربي.

من اراض محتلة. ويوجد اذن غموض في هذا الشأن.

والسؤال هو: هل يعطي قرار الأمم المتحدة لاسرائيل بعضاً من حرية المفاوضة أم ان من اللازم التصرف دفعة واحدة بما يتعلق بالقدس، بالجولان، بالضفة الغربية، بغزة، وذلك كما طلب الرئيس السادات؟

الوطن العربي - وهل أنتم متفقون مع الشيوعيين حول هذه النقطة بالذات؟

فرنسوا ميتران - يتوجب علي القول اننا لم نذهب في موقفنا أبعد من قرارات منظمة الأمم المتحدة. والفارق بين موقفيْ الاشتراكيين والشيوعيين هو نفسه تقريباً الفارق الذي نتلمسه لدى سماع وجهات نظر ممثلي الدول الكبرى. ولم نكن بمنأى عن هذا التناقض. فثمة فوارق فعلاً بين الاشتراكيين والشيوعيين حول هذه النقطة.

لكن، يوجد، على الأقل، التقاء في وجهات النظر بالنسبة إلى الأهـم. ثمة نقـاط صلبـة متفقـون عليهـا كليـاً: الاعتراف بحق اسرائيل في التعايش (الاتحاد السوفياتي كان أول بلد يعترف بذلك) ونريد أيضاً أن يتم الاعتراف بمعطيات وجود هذه الدولة. ولكن، نريد أيضاً أن يتم الاعتراف بحق الفلسطينيين في ايجاد وطن خاص بهم، في تنظيم يكتسب سمة الدولة. ومن الطبيعي، أن يترك لهم حق الخيار.

الوطن العربي - لنكن أكثر وضوحاً، هل تقول انكم تؤيدون انشاء دولة فلسطينية؟ واسمحوا لي ان أركز هنا على كلمة دولة...

فرنسوا ميتران - قلت لكم ان التنظيم يمكن أن يأخذ سمات الدولة، أي يمكن أن يكون في شكل دولة...

الوطن العربي - ولكي نصل إلى هذه الحقيقة، ماذا تقترحون لو كنتم في سدة الحكم؟

فرنسوا ميتران - لنكن واقعيين. فلا يمكن، مثلاً، اقتراح مفاوضات مباشرة بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وبما انني لا أفكر في المطلق ولكن في ضوء الممارسة في الشرق الاوسط، فلا أعتقد ان مثل هذه المفاوضات ممكنة. والجميع يعرف ان حكومة اسرائيل[٣٥] ترفض اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير. انطلاقاً من هنا، فإن اشتراط هذه المفاوضات لن يكون امراً واقعياً. مع انني محبذ تماماً لهذا النوع من الحوار المتعدد الاطراف.

واعتقد انه من اجل التوصل إلى السلام، يجب بحث الموضوع

٣٥- لم يذكر ميتران ان الجميع يعرف ايضاً ان منظمة التحرير ترفض مثل هذه المفاوضات (الملاحظة والتعليق للوطن العربي).

بين اسرائيل وسوريا، والاردن عند الضرورة أي بين الجهات المعنية بقضايا الاراضي المحتلة.

واعتقد ان مفاوضات مسبقة من هذا النوع، إذا تقدمت خطوة خطوة على الصعيدين العسكري والديبلوماسي في آن واحد، فمن شأنها أن تؤدي إلى المباحثات الأكثر تعقيداً في المرحلة الراهنة. ويجب الاعتراف ان هذه المفاوضات تبدو مستحيلة حالياً؛ بسبب العداوات الحادة بين الاسرائيليين والفلسطينيين.

ولكن، كل شيء ممكن، وأنا من بين هؤلاء الذين أيدوا الحق المميّز لمنظمة التحرير في تمثيل التطلعات الفلسطينية. وما أريد قوله هو ان المحادثات المباشرة لا يمكن الا أن تؤدي إلى مفاوضات دولية. على الأقل من أجل التوصل إلى ضمانة دولية. فمن دون هذه الضمانة لا يكون الاتفاق راسخاً.

ولهذا السبب، يتوجب على جميع الفرقاء في هذه المرحلة بمن فيهم ممثلو الفلسطينيين المشاركة في هذه المفاوضات.

الوطن العربي ـ مفاوضات... لكن على أي أساس، طالما ان اسرائيل ترفض الانسحاب؟

فرنسوا ميتران ـ ان مسألة الانسحاب يجب أن تُبحث عبر المفاوضات، واذا كان ممكناً الافصاح عن رأيي في هذا المجال، فهو ان موقفنا يستند إلى قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، وهما ينصان على الانسحاب. ومن المنطقي[٣٦] التفكير عندها ببعض التعديلات الطفيفة في الحدود. إن الموقف الاشتراكي من الموضوع يتلخص في عدم امكان تصور اشتراط انسحاب

٣٦- لم يوضح المقصود بهذه التعديلات، ولا التبريرات القانونية لهذه التعديلات التي تتعارض ومبادىء القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة التي تنص ونصت على استرجاع الاراضي المغتصبة.

اسرائيل المسبق من كل الاراضي المحتلة قبل البدء بالمفاوضات.

ويتابع ميتران، متبنياً وجهة نظر اسرائيل، بلا مواربة

ان دولة اسرائيل يجب أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها[٣٧] وهذا يقضي من أجل سلامتها أن تخضع بعض نقاط الحدود، حدود معزولة ولا تؤمن حتى حماية بعض الممرات الداخلية، إلى مبدأ المفاوضة مع الدول العربية.

ومع بداية الحوار المصري - الاسرائيلي يمكن تصور احتمال تحقيق تنازلات متبادلة، على هذا الصعيد، تنازلات من شأنها أن تؤدي إلى حل مرضٍ للجميع.

وبالنسبة إلى مدينة القدس التي تمثل رمزاً فكرياً وتاريخياً، فثمة بعض التعديلات التي يمكن أن تقبل من هذا الجانب وذاك، بالنسبة إلى الوضع الذي كان سائداً قبل ١٩٦٧.

الوطن العربي - وأين وكيف ترون وضع الحقوق الفلسطينية في عملية المفاوضات؟

فرنسوا ميتران - إن سلاماً عادلاً وثابتاً في الشرق الاوسط يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الواقع الوطني الفلسطيني وحق هذا الشعب في انشاء وطن. وأكرر ان حل المسألة الفلسطينية وشكليات احتمال انشاء وحدة فلسطينية مستقلة يجب أن تكون موضع بحث ومفاوضات بين اسرائيل وجيرانها.

الوطن العربي - واذا وصلتم إلى الحكم، فهل تطلبون اغلاق مكتب منظمة التحرير في باريس؟

فرنسوا ميتران - لقد سمحت الحكومة الفرنسية بافتتاح مكتب

٣٧- ولكن، هل العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها يقتضي الاحتلال؟ (الملاحظة والتعليق للوطن العربي)

اعلامي لمنظمة التحرير في باريس. وقد يكون هذا القرار متسرعاً، بيد ان الامر أصبح الآن واقعاً.

ومنذ ذلك الوقت، نلاحظ تطوراً في موقف منظمة التحرير التي يبدو انها تفضل الآن العمل الدبلوماسي على أعمال الارهاب على الرغم من ان المنظمة لم تتراجع بعد علنياً عن ميثاق بيروت. وهذا أمر يُؤسف له.

واعتقد انه من الخطأ اغلاق مكتب المنظمة الاعلامي لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تقوية التيار المتطرف داخل المنظمة. كما ان ذلك يقضي على هيكلية تسمح بأن تنقل إلى مسؤولي منظمة التحرير ردود فعلنا ومواقفنا بالنسبة إلى مشكلة الشرق الاوسط.

الوطن العربي - هل تفرضون حظراً على السلاح إلى المنطقة؟

فرنسوا ميتران - إن موقف الأغلبية الحاكمة، على هذا الصعيد، يتميز بالغموض والخفة. فمنذ آب / اغسطس ١٩٧٤ حيث تم رفع الحظر عن شحن السلاح إلى دول المواجهة، أسهمت فرنسا كثيراً في تدهور الأوضاع العسكرية في هذه المنطقة من العالم. وقد أخفت الحكومة الأرقام الحقيقية المتعلقة بتصدير السلاح إلى المنطقة.

إن المهمة الاولى لحكومة يسارية هي اذن الخروج من هذا الغموض ورفض اخفاء الحقيقة.

وعام ١٩٧٨، كان ايضاً عام كامب ديفيد. وقد كان فرنسوا ميتران الوحيد تقريباً من كبار الزعماء السياسيين في فرنسا وفي اوروبا الذي تحمس لمعاهدة كامب ديفيد. وقد تحدث عنها وعن زيارة السادات للقدس في بداية هذا الفصل. وغداة كامب ديفيد، أصدر المكتب التنفيذي للحزب الاشتراكي بياناً جاء فيه:

«يعتبر الحزب الاشتراكي ان النتائج التي انتهى اليها مؤتمر «كامب ديفيد» يمكن أن تساهم في خلق الظروف والشروط الملائمة من أجل احلال السلام في الشرق الاوسط. فالاتفاق الذي توصلت اليه مصر واسرائيل هو نتيجة تنازلات متبادلة ومهمة، والنتائج التي تَحققتْ تبرهن ان المفاوضات المباشرة بين الذين يتجابهون على أرض المعركة هي خير وسيلة وأكثرها ضماناً للسير نحو السلام. ويعرب الحزب الاشتراكي عن أمله في أن تنمو وتتوسع ديناميكية المفاوضات والسلام. وسيعمل الاشتراكيون ما في وسعهم من أجل تشجيع هذه الديناميكية، انطلاقاً من موقفهم. وفي هذا الاطار، نقول ان تضمين النص المشترك لكامب ديفيد عبارة «الشعب الفلسطيني» هو أمر ايجابي.

فالحزب الاشتراكي يعتقد انه لن يقوم سلام دائم في الشرق الادنى الا اذا سمح هذا السلام بتحقيق التطلعات القومية والاماني

الوطنية لكل الشعوب، وبنوع خاص تطلعات الشعب الفلسطيني، عن طريق التفاوض مع ممثليه المؤهلين[٣٨].

٣٨- اسبوعية الحزب «لونيته» ٢١ سبتمبر / ايلول ١٩٧٨

جولة جيسكار ديستان في دول الخليج ثم في الاردن أدخلت القصية الفلسطينية، والدقة تفرض أن نقول القضية الاسرائيلية، في صميم الحياة السياسية الفرنسية. ولم يعد يمضي مؤتمر صحافي ولا جلسة نيابية ولا برنامج اذاعي أو تلفزيوني، ناهيك عن المهرجانات والاحتفالات، دون أن يحدد رجال السياسة الفرنسيون للمرة المئة موقفهم من هذه القضية. ومع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية، راحت تنشط الحملة اليهودية المعادية لجيسكار ديستان. وستبلغ هذه الحملة ذروتها مع الشعار الذي أطلقه هنري هاجدنبرغ، رئيس جمعية «التجديد اليهودي» وهو شعار «الاقتراع الجزائي»، أي أن يعاقب اليهود واصدقاؤهم جيسكار ديستان بحرمانه من أصواتهم. ولم يتراجع هاجدنبرغ أمام أي وسيلة من أجل الاساءة إلى جيسكار ديستان واظهاره بمظهر المؤيد للعرب والمعادي لاسرائيل. فلجأ إلى التزوير والتشهير، واشاعة الاخبار الكاذبة. ولم تكن الصورة التي يظهر فيها جيسكار ديستان وهو يتطلع إلى الأفق البعيد من خلال منظار مكبر، والتعليق الذي يرافقها: **«جيسكار يلقي نظرة على أرض اسرائيل من خلال حصن عسكري أردني»**، لم تكن هذه الصورة والتعليق الوثيقة[٣٩] «المفبركة» الوحيدة التي وزعها

٣٩ـ سيكشف جيسكار ديستان عن ان هذه الصورة التقطت له وهو يتابع جائزة «قوس النصر» في ميدان لونشان لسباق الخيل في باريس.

هاجدنبرغ وأصحابه، لكنها تعطي فكرة عن الوسائل التي لا يترددون في اللجوء اليها.

وعرف فرنسوا ميتران، المناور البارع والسياسي العتيق، كيف يستفيد من هذه الحملة دون أن يتخلى عن شيء من **«مواقفه العربية»**. وفي بداية مارس / آذار ١٩٨٠، عقد فرنسوا ميتران مؤتمراً صحافياً، وبالطبع تحدث فيه عن الشرق الادنى:

« نحن، الاشتراكيين، نعتبر انه لا يمكن تأكيد حق الاول على حساب حق الثاني. وذلك صعبٌ، نظراً لوجود مطالب بشأن الاراضي ذاتها. وبرغم ذلك، فمن واجب رجال السياسة والدبلوماسية ان يتوصلوا إلى ذلك.

« وهذا ما يحملنا على أن نربط دائماً بين مطالبتنا بحق اسرائيل في البقاء وحقها بالأمن والسلامة وبالوسائل التي تضمن لها هذه السلامة، وبين دعوتنا إلى أن يتمتع الفلسطينيون بحق التصرف بأرض، بوطن يأخذ شكلاً من أشكال الدولة، شكل دولة فلسطينية. وهذا ما جعلني أقول، عندما ذهبتُ إلى اسرائيل:

« لا تنسوا الفلسّطينيون، لا تمحوا الواقع الفلسطيني» ثم قلتُ ما ذكرتُ آنفاً. وعندما زرت بلداناً عربية، في مصر قبل توقيع اتفاق كامب ديفيد، وفي الجزائر وغيرهما، كنتُ دائماً أكرر باسم الحزب الاشتراكي: **« لا يمكنكم أن تمحوا أو تزيلوا اسرائيل من الوجود ولا أن تلغوا حقها بالأمن والسلامة»**.

« فإذا نسينا عنصراً من هذين العنصرين، نتسبب بالخلل في توازن السياسة الفرنسية. والحكمة تفرض علينا أن يكون كلامنا واحداً أينما وُجدنا. ففي البلدان العربية، كنت دائماً أؤكد موقف الحزب الاشتراكي من المطالب الفلسطينية داعياً إلى وجوب التخلي

عن فكرة تدمير دولة اسرائيل. وفي اسرائيل، كنت دائماً أحرص على الاعتراف بحق الفلسطينيين بالتصرف بأرض[٤٠]».

٤٠- لوموند ٥ مارس / آذار ١٩٨٠

في ١٨ ابريل / نيسان ١٩٨٠، عقدت الجمعية الوطنية جلسة مخصصة لمناقشة السياسة الخارجية. وبعد ان استعرض وزير الخارجية جان فرنسوا بونسيه الخطوط العريضة لسياسته، وقف فرنسوا ميتران يرد عليه، منتقداً هذه السياسة، ونقتطف من كلمته ما يتعلق بقضيتنا:

«لقد استهجنتم مواقف الذين أعلنوا أن الإعتبارات الإقتصادية الرخيصة كانت وراء تصريح جيسكار ديستان في الخليج. ولكن من لم يفكر بالبترول؟ وأنتم تعلمون تمام العلم انه لو كان البترول بيد اسرائيل، فلربما جاء خطاب الرئيس مختلفاً بعض الشيء».

وفي الجلسة ذاتها، تطرق فرنسوا ميتران إلى مسألة زيارة ياسر عرفات لفرنسا فقال: «بالتأكيد انه سيكون من المدهش ان تمنع الحكومة زائراً أجنبياً من القدوم إلى فرنسا. ولكن يجب أن نعرف لماذا يأتي هذا الزائر. فهل لديكم النية بالتفاوض معه»[٤١]؟

٤١- لوموند ١٩ ابريل / نيسان ١٩٨٠

وفي ٢٣ مايو / ايار ١٩٨٠، دعت الاذاعة الفرنسية الرسمية «فرانس انتير»، فرنسوا ميتران لقضاء ساعة مع الصحافيين والجمهور، ليجيب على اسئلتهم. ورداً على سؤال حول الشرق الادنى، قال فرنسوا ميتران:

«إن الحزب الإشتراكي يرفض كل ما من شأنه أن يعرض وجود اسرائيل للخطر. ولكن للفلسطينيين حق بوطن: فإذا كان هذا الوطن هو اسرائيل فاننا نقول «لا»، واذا كان أرضاً أخرى، فاننا نقول «نعم».

وأعلن ميتران تأييده لأن يأتي ياسر عرفات في زيارة إلى فرنسا، ولكن بشرط «ان يتخلى عرفات عن فكرة تدمير اسرائيل، منذ اللحظة التي يجلس فيها إلى طاولة المفاوضات[٤٢]».

٤٢- اذاعة فرانس انتير - ٢٣ مايو / ايار ١٩٨٠

ولم ينته العام دون أن يسافر فرنسوا ميتران إلى اسرائيل، وكانت الغاية من هذه الرحلة تمثيل الحزب الاشتراكي الفرنسي والأممية الاشتراكية، في المؤتمر الثالث لحزب العمل الاسرائيلي الذي عُقد في القدس بين السابع عشر والعشرين من ديسمبر / كانون الاول ١٩٨٠ . وفي اليوم الثاني لوصوله الى اسرائيل، قابل فرنسوا ميتران، رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن. وفي لقاء له مع الصحافة لدى مغادرته مبنى رئاسة الحكومة، أعرب فرنسوا ميتران عن فرحه واغتباطه «**لوجوده في هذه المدينة**».

وعن تعليقه على قرار اسرائيل بجعل القدس عاصمة موحدة وأبدية لاسرائيل، قال فرنسوا ميتران: «**ليس هذا القرار سوى تأكيد لقرار اتُخذ عام ١٩٦٧**»[٤٣]. الا انه استدرك وأضاف: «**إن هذا العمل هو عمل من جانب واحد، وانه فوجيء بالاعلان الرسمي المباغت لهذا القرار**»، وقال أيضاً: «**ليس من حق اسرائيل العيش بسلام بل من واجبها ذلك. ولا يجب أن تكتفي بتأمين سلامتها، بل عليها ان تساهم ببناء السلام في المنطقة، والا تنكفيء وتنطوي على ذاتها**» وعن الوضع في الضفة الغربية، قال ميتران: «**يجب على اسرائيل أن تعمل على**

٤٣- يقصد احتلال اسرائيل للقدس عام ١٩٦٧

تسهيـل عـودة «الضفـة» إلى وضـع طبيعـي[٤٤]، وانـه مـن المستحسن والمفضل أن يتمكن رؤساء البلديات المنتَخَبون من الاستمرار في ممارسة نشاطهم.»[٤٥]

٤٤- كانت الضفة الغربية في وضع متفجر، لا سيما بعد ان تعرض رؤساء بلديات عدة مدن لمحاولات اغتيال وبعد ان ابعدت اسرائيل عددا من الفلسطينيين المؤيدين لمنظمة التحرير.

٤٥- جريدة لوموند - ٢١/٢٢ ديسمبر / كانون الاول ١٩٨٠

ومع بداية عام ١٩٨١ ، بدأت الاشياء الجدية . وبعد أن وحّد الحزب الاشتراكي صفوفه وراء مرشحه للرئاسة الذي استقال من منصب الامانة الاولى للحزب واختار بديلاً عنه ليونيل جوسبن، استهل معركته الانتخابية باصدار مشروعه لتغيير المجتمع والسياسة . وضمّنه هذا المقطع عن الشرق الادنى :

« تتمتع فرنسا بقدرة على المساهمة في إقناع الشعوب المتطاحنة في الشرق الادنى، بأن اعترافها ببعضها البعض هو المفتاح الذي يؤدي إلى سلام عادل ودائم في المنطقة .

« والحزب الاشتراكي يؤكد ان فرنسا ستبقى متمسكة إلى أقصى درجة ببقاء دولة اسرائيل وبسلامتها ضمن حدود آمنة ومعترف بها، وذلك طبقاً لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . ولكن فرنسا ستصر وتؤكد في الوقت نفسه، على ان الاعتراف بالحقوق القومية للفلسطينيين هو عنصر أساسي من عناصر السلام في الشرق الاوسط . وبالتالي، من عناصر سلامة وأمن اسرائيل، بنظرنا .

« ولا حاجة بنا للقول بأن الاعتراف بالحقوق القومية لشعب من الشعوب يتضمن بشكل طبيعي الاعتراف بحق هذا الشعب بإقامة كيانه الوطني .

« وانطلاقاً من هذه الذهنية، نصر ونؤكد على ارادة فرنسا باحترام وصيانة سيادة لبنان والعمل على فرض هذا الاحترام والصيانة » .[٤٥]

٤٥ـ المشروع الاشتراكي «الاقدام على العمل» ـ ١٩٨١

ووجهت مجلة « فرنسا والبلدان العربية » الناطقة بلسان « جمعية التضامن الفرنسي العربي » عدة اسئلة إلى أبرز المرشحين لرئاسة الجمهورية، وفي العدد الصادر في أول ابريل / نيسان ١٩٨١، نشرت أجوبة فرنسوا ميتران:

فرنسا والبلدان العربية: يزداد ثقل العالم العربي في المحافل الدولية، يوماً بعد يوم، اقتصادياً وسياسياً على حدٍ سواء. في أي اتجاه تودون توجيه سياسة فرنسا حياله؟

فرنسوا ميتران: إن البلدان العربية التي تمر بها تيارات مختلفة والتي تتطلع في الوقت نفسه الى وحدتها وتماسكها الحضاري والتاريخي، تربطها باوروبا وفرنسا ذكريات مشتركة. بالنسبة لدولتنا، التي اكتسبت في هذه المنطقة من العالم رصيداً من التعاطف والمودة يستمر رغم الاحداث والتغيرات، فاننا نعتبر البلدان العربية شركاء نتتبع باهتمام كل ما يبذلونه من جهود لضمان استقلالهم ولوضع أسس تنميتهم بغية تحقيق رخاء شعوبهم وخلق حياة سياسية داخلية ديمقراطية.

فرنسا والبلدان العربية: تتمتع فرنسا تقليدياً بحظوة كبيرة في مختلف البلدان العربية لو انتُخبتم رئيساً، كيف تنوون استخدام هذه الحظوة خلال ولايتكم؟

فرنسوا ميتران: أولا، لا بد من التكلم بصراحة، وعدم التردد في الاعراب عن آرائنا. بوسع فرنسا، بل من واجبها، أن تكون دولة تُقدم ارادة صادقة للسلام، لا عاملاً يزيد من توتر التناقضات أو النزاعات القائمة.

والاولوية الثانية هي البحث، مع من يبدي رغبته في ذلك، عن سبل تعاون جديد في اطار احترام مصلحة الجميع، والبحث عن تكاملات تتجاوز مسألة النفط البحتة.

والاولوية الثالثة تتمثل في الاعتراف بالثقافات المختلفة الموجودة لدى هذا الجانب أو الآخر، واحترامها.

فرنسا والبلدان العربية: تعتبر القضية الفلسطينية الشغل الشاغل للعالم العربي. ما هي السياسة التي تحبذونها لحل هذه القضية؟ هل تنوون اتخاذ مبادرة سلام مع الشركاء الاوروبيين، من شأنها أن تحل محل إتفاقات كامب ديفيد؟

فرنسوا ميتران: لم يغير الحزب الاشتراكي موقفه قط: الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في العيش في وطن له. ولن يتم التوصل إلى هذا الاعتراف المزدوج الا بتسهيل الحوار المباشر بين مختلف الاطراف المعنية. وهي مشكلة صعبة، سجّلت اتفاقات كامب ديفيد خطوة اولى نحو حلّها. لذا، لا بد من التغلب على الجمود الحالي للعملية التي بوشر بها وكنا ـ آنذاك قد اعتبرناها ايجابية. ولا بد لاوروبا من المساهمة فيها. فالسلام في الشرق الاوسط من الشروط الاساسية لتخفيف التوترات الدولية.

فرنسا والبلدان العربية: قد تدخل البلدان العربية أحياناً في نزاعات اقليمية: العراق ـ ايران، المحيط الهندي، وتشاد بنوع

خاص. وفي بعض الاحيان تنشب الخلافات فيا بينها. ماذا ينبغي أن يكون موقف فرنسا ازاء هذه المسائل؟ كيف تريدون توجيه الدبلوماسية الفرنسية في البحث عن سبل تهدئة مختلف مراكز التوتر المذكورة؟

فرنسوا ميتران: إن التسليح المبالغ فيه لبعض الدول العربية والذي ساهمت فيه. فرنسا أحياناً، ليس بالتأكيد أفضل سبيل لتحقيق السلام، لا سيا اذا ما تم التخلي عن بعض المبادىء كمبدأ حظر بيع السلاح للاطراف المتنازعة في حال نشوب نزاع. والمثال الذي حصل مؤخراً لدى بيع طائرات ميراج للعراق هو في رأينا أمر خطير وغير مقبول. من واجب فرنسا أن تساهم في تهدئة النزاعات، لا في زيادة حدتها، لا سيا وان هذه النزاعات تهدد السلام العالمي إلى حد كبير وتسيء إلى مصالح العالم العربي ذاته.

فرنسا والبلدان العربية: لأسباب تاريخية، تتمتع فرنسا بعلاقات وثيقة جداً مع دول المغرب العربي. ما هو نوع العلاقات التي تنوون اقامتها مع تونس والجزائر والمغرب؟

فرنسوا ميتران: نسجل باهتمام ان فكرة التعاون الاقتصادي والسياسي بدأت تُقدّم في اطار المغرب العربي الذي ما زالت حدوده غير محددة. ومن واجب فرنسا الا تقف عائقاً في وجه هذا التطور. واعتقد شخصياً ان التجمعات الاقليمية بين بلدان العالم الثالث من المعطيات الجديدة في العلاقات الدولية ويمكن ان تخدم اقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

واقامة علاقات طيبة مع كل بلدان المغرب العربي أمر ضروري لفرنسا. من هذه الزاوية يبدو لنا أساسياً ان نحسّن علاقاتنا مع الجزائر وهي علاقات سجلت تأخراً يُسيء إلى مصالح بلدينا. وتدل العلاقات التي أقيمت بين الحزب الاشتراكي الفرنسي

وجبهة التحرير الوطنية بان هنالك نطاقات واسعة لا بد من التعمق فيها لتنمية تعاون مثالي بين بلدينا.

فرنسا والبلدان العربية: للبلدان العربية نفوذ كبير ضمن منظمة البلدان المصدرة للنفط، وحركة عدم الانحياز والمؤتمر الاسلامي. ما هي السياسة التي تنوون انتهاجها ازاء هذه المنظمات الثلاث؟

فرنسوا ميتران: يتعلق الامر هنا بتجمعات لها أغراض مختلفة ومتميزة وينبغي النظر اليها على هذا الاساس. اعتقدّ الاشتراكيون دائماً ان وسائل التنظيم الجماعي في العلاقات الدولية أمر جيد ومستحب. هل تعمل هذه التجمعات لاضفاء الديمقراطية على الحياة الدولية وللخروج من منطلق سياسة الكتل ومن جشع القوى العظمى، ولوضع حد لظواهر السيطرة؟ هذا شيء نقبل به بسهولة. وأود أن أضيف ان جالية اسلامية تعيش في بلدنا ولا بد من احترام حقوقها، وخاصة حقوقها الثقافية، احتراماً كاملاً.

فرنسا والبلدان العربية: يعيش حوالي مليوني مهاجر عربي في فرنسا. وقد بُذلت محاولات مختلفة للحد من دخولهم اليها. بالاضافة الى ذلك ما زالت شروط حياتهم وعملهم متدنية في كثير من المجالات. ماذا تنوون القيام به في هذا الشأن؟

فرنسوا ميتران: إن مكانة العاملين المهاجرين في فرنسا كثيراً ما تكون موضع تصريحات وأفعال غير مقبولة. فالدور الذي يؤدونه في مجتمعنا وما يقدمونه لنا لا يستحق ذلك بالتأكيد.

هناك برأيي مطلب أول، الا وهو الاحترام. والمطلب الثاني هو رفض الحجج الديماغوجية التي ترمي إلى اشعال الخلاف بين العمال الفرنسيين والمهاجرين. فشروط الحياة المُشينة والمشاكل الثقافية والنفسانية العديدة التي تواجهها عائلات مشتتة، ومعضلة الاطفال الذين يُطلق عليهم اسم الجيل الثاني، كلها مشاكل تتطلب

أسلوباً شاملاً لحل المسألة بحيث تتحمل اعباءها كلُ المجموعة لا بعض المناطق فقط. وقد تقدم الحزب الاشتراكي بهذا الصدد بمقترحات حكيمة وواقعية أدعوكم إلى الرجوع اليها.

في رأينا ان الهجرة إلى الداخل التي هي هجرة إلى الخارج بالنسبة للقادمين إلى فرنسا لا يمكن أن تشكل حلاً مثالياً أو دائماً. يجب بالتالي، في اطار اتفاقات ثنائية، ان نتيح لهؤلاء العودة إلى أوطانهم في شروط تضمن مساندة تنمية البلدان العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث.

ووجهت « جمعية التحالف بين فرنسا واسرائيل » عدداً من الاسئلة الى المرشحين لرئاسة الجمهورية حول موقف كل منهم من اسرائيل وقضية الشرق الادنى واليهود بشكل عام. فيما يلي أجوبة فرنسوا ميتران على الاسئلة:

سؤال ـ هل تعتبر أن القرار الشهير ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٦٧ يُلزم دولة اسرائيل أم لا يلزمها بالانسحاب من كل الاراضي أم من بعض الاراضي فقط، كما اكد ذلك اللورد كارنغتون الذي صاغ بنفسه هذا القرار؟

فرنسوا ميتران ـ القرار ٢٤٢ فيه التباس. ومما لا شك فيه ان هذا القرار حصل على الاكثرية داخل الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة، برغم او ربما بفضل هذا الالتباس. وهذه الميزة (أي الالتباس) هي التي تدفعني إلى الاعتقاد بأن هذا النص يمكن أن يشكل قاعدةً مقبولة للتفاوض، يوم تُقرر اسرائيل والطرف العربي توسيع مجرى السلام الذي بدأه الرئيس السادات ببادرته التاريخية عام ١٩٧٧.

سؤال ـ هل تعتبر ان الاتحاد السوفياتي جعل من منظمة التحرير الفلسطينية اداةً لسياسته المعادية للغرب؟

فرنسوا ميتران: إن منظمة التحرير الفلسطينية هي اليوم المنظمة

الأكثر تمثيلاً لأماني الفلسطينيين، وهذا عنصر من عناصر المشكلة، ويجب على كل سياسي مسؤول أن يُسجّل هذا الأمر ويأخذ علماً به، دون أن يعني ذلك انتسابه (أو تسليمه) بالأهداف التي تسعى اليها المنظمة أو الوسائل التي تلجأ اليها.

سؤال ـ هل تعتبر ان معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية تسجل مرحلة رئيسية نحو سلام أوسع؟

فرنسوا ميتران: معاهدة كامب ديفيد معاهدة جيدة، وأذكركم بأن الحزب الاشتراكي كان الحزب الوحيد بين الاحزاب الاربعة الكبرى (الفرنسية) الذي أيدها. ولكن معاهدة واحدة جيدة تُوقّع عليها اسرائيل ومصر، لا يمكن وحدها أن تساهم في اعادة السلام إلى الشرق الادنى. ولقد بات بوسعنا اليوم أن نقيس مدى أهمية العملية التي استهلها السادات وبيغين عام ١٩٧٧. كما بات بوسعنا أن نقيس حدود هذه العملية.

الا ان هذه المعاهدة تحمل في ذاتها العناصر التي تُخوّلها تخطي الجمود الراهن: الاعتراف بدولة اسرائيل، القبول بالواقع الفلسطيني، والحل الاقليمي. وهذه هي العناصر الثلاثة الاساسية والضرورية لبحث كل طريقة لانهاء النزاع بشكل سلمي[٤٦]

٤٦ـ لوموند ـ ٢٤ نيسان / ابريل ١٩٨١

وقبل أيام معدودة من موعد الدورة الثانية لانتخاب الرئيس، أي قبل ثلاثة أيام من انتخابه رئيساً للجمهورية الفرنسية، نشرت مجلة «الوطن العربي» هذه المقابلة التي اجرتها مع فرنسوا ميتران، وفيها يتحدث عن لبنان والحرب العراقية الايرانية ومعاهدة كامب ديفيد وبيع السلاح والاراضي المحتلة. باختصار عن كل القضايا الرئيسية التي يعيشها العالم العربي.

الوطن العربي: الحوار بين الشمال والجنوب فكرة فرنسية لم تعطِ نتائج ملموسة. لماذا؟ وهل ينبغي اعادة اطلاق هذه الفكرة؟

فرنسوا ميتران: إن الحوار بين الشمال والجنوب ضرورة يُقرها الجميع منذ سنوات عدة. واذا كانت المبادرات التي قامت بها فرنسا في هذا المجال، لم تُؤتِ ثماراً، فلأنها كانت «شكليات» رمزية لا واقعية، القصد منها ضمان التموُّن بالنفط بصورة أفضل بعد العام ١٩٧٤. انها نوع من ذرّ الرماد في العيون. عيون العالم الثالث أولاً، الذي ينتظر العدالة، وعيون الفرنسيين، على أساس ان لفرنسا خطة كبيرة...

من جهتي، لقد اقترحتُ دائماً مناقشة في العمق من أجل اصلاح النظام النقدي الدولي، وضمان استقرار سوق المواد

الاولية، وتأمين قروض كافية للبلدان الفقيرة، وكل هذا يؤمن ديمقراطية المؤسسات المالية الدولية. ويمكن لفرنسا هنا أن تعطي المثل في ممارسة تعاون متطور، يتصل بانماء المشاريع الصناعية والتكنولوجية، في علاقاتها مع الشركاء الجنوبيين.

الوطن العربي: كيف تفهم النزاع العراقي - الايراني؟ وهل تستطيع فرنسا أن تقوم بدور للمصالحة؟

فرنسوا ميتران: اريد أولاً أن أقول بأن هذا النزاع هو مأساة حقيقية للشعبين العراقي والايراني. بالثمن الذي يُدفع، ارواحا بشرية ومنشآت. انه مأساة للمواطن العادي في البلدين. ثم ان استمرار هذه الحرب بين دولتين تنتميان إلى العالم الثالث، يزيد من أخطار تدخل الدول الكبرى وعدم استقرار الخليج.

ترك الامور على ما هي نوع من الانتحار... ومع ذلك، فإن الحكومة الفرنسية تضرم النار، عوضاً عن أن تلعب دور الاطفائي، عن طريق تسليم أسلحة وطائرات إلى العراق، خلافاً للموقف التقليدي الذي تتخذه فرنسا بتعليق تسليم الاسلحة إلى البلدان المتحاربة. وهذا ما حصل بالنسبة إلى ليبيا. هل يكون هناك مغامرات عسكرية «جيّدة» وأخرى «سيّئة»؟ لا، ان على فرنسا أن تتوقف عن تزويد العراق بالسلاح. وأن تدعم جهود الوسطاء، سواء جهود السكرتير العام للأمم المتحدة أو مجموعة دول عدم الانحياز، التي ستعقد مؤتمرها المقبل، مبدئياً في بغداد، أو جهود المؤتمر الاسلامي. وانني على يقين من أن سلطة الرئيس الاشتراكي للجمهورية الفرنسية، ستكون كافية للتذكير بمبادىء القانون الدولي التي يجب أن تكون قاعدة لفض النزاعات. إن هذا كسب لأوروبا كما للشرق الاوسط.

الوطن العربي: ماذا يحتاج السلام في لبنان؟ وهل تستطيع فرنسا

أن تتخذ مبادرات جديدة لتسريع فرص السلام اللبناني؟

فرنسوا ميتران: إن مأساة لبنان منذ العام ١٩٧٥ هي من الأوضاع القليلة التي تمسّ الفرنسيين مباشرة. إن لي في لبنان اصدقاء، وقد قدّرت بصورة خاصة شخصية كمال جنبلاط الغنية عندما زارني في باريس. ومن المعلوم ان أسباب الحرب اللبنانية معقدة. والداخل كما الخارج متورط في القضية. ومن هنا لا بد من طرح مبادىء واضحة. أول هذه المبادىء وحدة وسلامة الاراضي اللبنانية، التي لا يمكن المساس بها من دون اعادة النظر في حدود المنطقة كلها. المبدأ الثاني هو رفض التدخلات الخارجية من أي نوع. ثم البحث عن قاعدة هي الحد الادنى المشترك الذي يلتقي حوله اللبنانيون. وهذا الحد الادنى هو دولة ديمقراطية وذات سيادة. وفي اطار هذا البحث ينبغي رفض القرارات السريعة أو ما يمكن أن يفهم على انه أمر واقع مفروض. على هذه الأسس يمكن لفرنسا أن تبني أي مبادرة في حل الازمة اللبنانية.

الوطن العربي: إن اتفاقات «كامب ديفيد» لم تؤدِ إلى السلام في الشرق الاوسط. كيف يمكن التوصل إلى هذا السلام في رأيك؟ في حال انتخابك ماذا تكون مبادرتك الاولى في الشرق الاوسط؟

فرنسوا ميتران: اقتناعي ان ما أضرَّ حتى الآن أكثر من غيره بقضية السلام العادل في الشرق الاوسط، هو الممارسة ذات الأهداف المزدوجة من قبلنا، في البحث عن أسواق لصناعة السلاح، بحس مركنتيلي. ففي السنوات السبع الأخيرة تحولت بلدان الشرق الاوسط إلى السوق الأساسية للسلاح الفرنسي... والبحث عن السلام اقتصر على عبارات قصيرة، أو طويلة. انني، في كل المحادثات التي قمتُ بها، كنتُ أؤكد على حق اسرائيل

في الوجـود داخـل حـدود آمنـة ومعترف بها، كما على حـق الفلسطينيين في أن يكون لهم وطن. ولا بد أن يأتي يوم يتلاقى فيه أطراف النزاع ويتفاهمون، بصورة مباشرة اذا أمكن، وبعيداً عن ضغوط الدول الكبرى. من هذه الزاوية، قدّرتُ كثيراً اتفاقات «كامب ديفيد» على الرغم من انني أدرك انها وحدها غير كاملة ولا يمكن أن تؤدي إلى سلام دائم يرضي التطلعات المشروعة للشعب الفلسطيني. وهذا على أية حال، واضح في بيانات الحزب الاشتراكي. موقفي هو موقف من يسعى، في الوقت المناسب، لتقريب وجهات النظر بين المتنازعين، على أسس واضحة لا تحتمل الغموض.

وأريد أن أذكر بأن الحزب الاشتراكي ارسى دائماً سياسته في الشرق الاوسط على قاعدة الاعتراف بحق اسرائيل كدولة في الوجود، باعتراف الأمم المتحدة. وأول دولة اعترفت بهذا الحق، زمنياً، كانت الاتحاد السوفياتي.

وعندما نعترف لدولة ما بالحق في الوجود، لا بد من أن نؤمن لها وسائل ممارسة هذا الحق.

نقطة أخرى أود التوقف عندها وهي ان اسرائيل وجدت نفسها، بفعل الحروب التي حصلت في هذا الجزء من العالم، وقد وسّعتْ المساحة الجغرافية التي تمارس عليها سلطتها. انها مشكلة الاراضي التي كانت موضع مشاورات وقرارات من قبل الامم المتحدة. من جهتنا نحن نتمنى تطبيق هذه القرارات، على الرغم من الغموض الذي يكتنفها، في المقارنة ما بين الترجمتين الفرنسية والانكليزية، وهي مقـارنـة تظهـر اختلافـاً في مفهـوم الارض المحتلة، لجهة ما اذا كان التخلي عنها يجب أن يمر، أولاً، بمفاوضات.

ونعتقد ان الحوار الذي ينبغي أن يحصل هو حوار بين المتنازعين أنفسهم. اننا نؤثر الحوار المباشر على الحوار العام أو الدولي، ونعتبر مثل هذا الحوار عاقلاً، ومن أجل هذا أيدنا مبادرة الرئيس السادات وتجاوب مناحيم بيغن مع هذه الخطوة. وما نزال على هذا التأييد. وقد فوجئنا، والى حد ما تأثرنا جداً، لأن رئيس الحكومة الفرنسية ريمون بار ووزير الخارجية الفرنسية يومذاك دي غيرنغو، تحاشيا اتخاذ موقف واضح من الحوار المصري ـ الاسرائيلي، وبخلاف ذلك أوحيا بانهما لا يُقران خطوات الرئيس السادات. وهذا الموقف يجب أن يكون واضحاً ومعروفاً. وفي أي حال نعتقد بأن مثل هذه المفاوضات المباشرة يجب أن تحظى بدعم دولي.

ماذا أستطيع أن أضيف؟ بالنسبة إلى اسرائيل، نفكر أيضاً بأنه ليس من العدل أن تُحظّر فرنسا بيع السلاح إلى المنطقة، لمصلحة فريق على حساب فريق آخر. وإذا كان لا بد من حظر فليكن حظراً شاملاً وعلى الجميع. ونحن لا نقر بالطبع موقف الحكومة الفرنسية لجهة التفسيرات المبالغ فيها في تبرير تدابير الحظر المطبقة، وهي مخالفة للقانون الفرنسي وللقوانين الدولية.

ويبقى ان هناك شعباً آخر هو الشعب الفلسطيني الذي يطالب بوطن. ومن سخرية أو مأساة التاريخ أن تتصارع آمال متناقضة على أرض واحدة. ما العمل؟ انطلاقاً من مبدأ القول ـ وهذا رأينا ورأيي الشخصي بصورة حاسمة جداً ـ بحق اسرائيل في الوجود، فان تقسيم هذه الارض ليس وارداً، على صعيد القانون الدولي طبعاً.

انطلاقاً من هذا الوضع ما هو مصير الفلسطينيين؟ نقول: إن لهم الحق في وطن. أي وطن؟ هنا فشل الاربعة الكبار: الاتحاد

السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، كما فشل سائر الوسطاء... في حسم هذا الموضوع. لم يُجب أحد بوضوح عن هذا السؤال، لا هؤلاء ولا اولئك.

أي دولة؟ لستُ أدري، أقول: انطلاقاً من الضفة الغربية، لأن هذه البقعة تصلح أساساً للحوار. الا انني لا أقول: الضفة الغربية، والافتراضات متعددة. وقد سمعتُ المسؤولين الاسرائيليين يطرحون احتمالاً يُفضي إلى دولة مشتركة بين الضفة الغربية والاردن. وقد تُطرح افتراضات أخرى من قبل الاطراف المعنية. أحدد، في حينه، موقفي، أو موقف الحزب الاشتراكي منها. هكذا تبدو المشكلة بالنسبة اليّ.

أضيف، انه في الجدل الذي حصل وبصورة غير شريفة، طُرح سؤال: هل تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كمنظمة، تمثل الشعب الفلسطيني؟ وهل ترضى بأن يكون لها مكتب في باريس؟ أقول: إن حكومة الجمهورية الفرنسية هي التي قبلتْ بافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس. وليس في نيتي أن أُرضي خبثَ السائلين، الذين سيوظفون جوابي في مداعبة مُغرِضة للحكومة القائمة.

الوطن العربي: هل ان حكومة يسارية يمكن أن تقفل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في باريس؟

فرنسوا ميتران: لا، إن حكومة يسارية لن تقفل مكتباً لمنظمة التحرير الفلسطينية افتتحته في باريس حكومة يمينية. لا. إن منظمة التحرير الفلسطينية حصلت على اعتراف من الأمم المتحدة كمنظمة مؤهلة للتعبير عن أماني الفلسطينيين. لماذا تريد مني أن أقول العكس؟ ما آسف له في الواقع، هو ان منظمة التحرير الفلسطينية، عندما ترفض الاعتراف بالقانون الدولي، أي بوجود

اسرائيل، فإنها تحرم نفسها من وسيلة تُخولها استعمال الحق الذي أقرت لها به الأمم المتحدة[٤٧].

٤٧- الوطن العربي - ١/٧ مايو / ايار ١٩٨١

وفي الثامن من أيار / مايو ١٩٨١ ، أي قبل يومين من الدورة الثانيــة ، زار الان دي روتشيلــد ، رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا (كريف) المرشحين فرنسوا ميتران وفاليري جيسكار ديستان، وطرح عليهما عدة أسئلة حول موقف كل منهما من المواضيع التي تتعلق مباشرة باسرائيل وباليهود الفرنسيين. وفيما يلي أبرز ما جاء في أجوبة فرنسوا ميتران على هذه الاسئلة، كما نشرتها جريدة «لوموند» في التاسع من مايو / أيار ١٩٨١ ، أي عشية الانتخابات مباشرة:

ـ زيارة اسرائيل ودعوة كبار المسؤولين الاسرائيليين (رئيس الدولة، رئيس الوزراء) لزيارة فرنسا:

اعرب فـرنسـوا ميتران عـن «رغبتـه بـاستقبـال المسـؤولين الاسرائيليين خلال الأشهر الاولى من بداية ولايته»، وعن أمنيته في أن «توجه اليه الدعوة في القريب العاجل لزيارة اسرائيل كرئيس للجمهورية الفرنسية».

ـ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في باريس

قال فرنسوا ميتران: «اذا تبين ان منظمة التحرير الفلسطينية هي وراء اعتداءات تُرتكب في فرنسا، فانه يجب اعادة النظر

بوجود مكتب المنظمة في باريس».

- بيع السلاح

جواب ميتران: «لا يمكن أن تستمر فرنسا في انتهاج سياسة غير متوازنة فيما يتعلق ببيع السلاح. لأنه لا يكفي الاعتراف بحق دولة ما في البقاء اذا امتنعنا عن تزويدها بالوسائل التي تضمن لها هذا الحق».

- اتفاقية كامب ديفيد

ذكر المرشح الاشتراكي انه كان أيّد، في حينه، اتفاقيات كامب ديفيد، وأشار إلى «ان المفاوضات المباشرة يجب أن تسبق الاتفاق الدولي».

- الاعتداءات العنصرية

سيطلب ميتران نشر نتائج التحقيقات حول كل الاعتداءات الارهابية والعنصرية (وبنوع خاص الاعتداء على الكنيس اليهودي في شارع كوبرنيك).

- اللاسامية

قال ميتران «سأسهر شخصياً على أن تبذل السلطات العامة مزيداً من الحرص ومزيداً من الحزم». وقال انه يفكر بانشاء جهاز تكـون مهمتـه مكـافحـة «عـودة العنصريـة التي أدت إلى (محاولة) ابادة (اليهود)، (هولوكوست)».

- الثقافة والحضارة

«سأسهر شخصياً، فيما لو انتُخبتُ، على أن ينمو التعبير عن الثقافة اليهودية».

وعشية الانتخابات، نشرت جريدة لوموند مقتطفات من أقوال ومواقف ميتران من أهم القضايا العالمية المطروحة. ونأخذ منها ما يتعلق بالعرب:

- معاهدة كامب ديفيد هي معاهدة جيدة، والحزب الاشتراكي هو الوحيد بين الأحزاب الفرنسية الكبيرة الذي أيدها. الا ان معاهدة موقعة بين مصر واسرائيل، (وان كانت جيدة) لا يُمكن أن تسهم وحدها باعادة السلام في الشرق الادنى... مع العلم، ان هذه المعاهدة تحمل في طياتها العناصر التي تسمح لها بتخطي الجمود الراهن... من الواضح اليوم ان منظمة التحرير الفلسطينية هي المنظمة التي تمثل أكثر ما تمثل الاماني والرغبات الفلسطينية.

- بيع السلاح، وتصدير المواد والمعدات العسكرية يجب أن يخضع لمقاييس جديدة تكون متفقة اتفاقاً تاماً مع أهداف سياستنا الخارجية، ولا سيما ما يتعلق منها بالعالم الثالث. وسنرفض تسليم السلاح للحكومات العنصرية والفاشية. ويجدر بفرنسا أن تبيع المواد الغذائية أكثر مما تبيع السلاح[٤٨].

٤٨- لوموند ٩ أيار / مايو ١٩٨١

لعل آخر كلام عن الشرق الادنى قاله فرنسوا ميتران قبل العاشر من مايو / ايار، هو ما ورد على لسانه في المواجهة التلفزيونية التي جرت بينه وبين منافسه فاليري جيسكار ديستان. وقد جاء كلام ميتران عن الشرق الادنى في معرض سؤال انتقادي حول موقف الحكومة من كامب ديفيد، وبنوع خاص حول زيارة جيسكار ديستان إلى الخليج. وقد رأينا أن ننشر أيضاً جواب جيسكار ديستان لأنه يلقي كثيراً من الضوء على موقف ميتران ذاته، بالاضافة إلى انه يكشف لأول مرة عن خدعة «الصورة المزوّرة» التي لجأت اليها جمعية «التجدد اليهودي» من أجل تشويه موقف جيسكار ديستان من اسرائيل واظهاره بمظهر اللامبالي من مسألة مصيرها ومصير اليهود.

فرنسوا ميتران: أنا مستعد أن أتنازل عن جزء من الوقت المتبقي لي للسيد جيسكار ديستان من أجل الحصول على جواب منه حول اسرائيل. لماذا وقفَتِ الحكومة الفرنسية هذا الموقف العدائي من اتفاقيات كامب ديفيد، في حين ان هذه الاتفاقيات تمثل خطوة نحو السلام؟ هذا من جهة. ومن جهة ثانية، لماذا ذهب السيد جيسكـار ديستـان إلى الاردن لكـي يلقـي نظـرة على الاراضي الاسرائيلية من خلال موقع أردني حصين؟ وهذا رمزٌ يؤسف له.

فاليري جيسكار ديستان: فيما يتعلق باسرائيل. لقد نطقْتَ أنتَ بعبارة لم ترد على لساني أنا أبداً. وعندي هنا النص الحرفي لهذه العبارة وهي «الدولة الفلسطينية». فانا أدرك تماماً معنى الكلمات ومدلولاتها وأبعادها في قضية مثل الشرق الادنى. وأنا لم أتفوه أبداً بعبارة «الدولة الفلسطينية». لقد تكلمتُ عن حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ومن ثم تطورات هذا الحق على الصعيد السياسي. ولم أتكلمْ أبداً عن دولة فلسطينية. أما أنتَ فقد ذهبتَ إلى حد التحدث عن العلاقات بين الدولتين، الدولة الفلسطينية ودولة اسرائيل. ولدي هنا تصريحك.

والنقطة الثانية حول الصورة التي «زعموا» انها تمثلني وأنا أنظر إلى اسرائيل بالمنظار. هل تعرف أين التُقطتْ هذه الصورة؟ ربما كنتَ لا تعرف؟

فرنسوا ميتران: لم أعرها أي اهتمام

فاليري جيسكار ديستان: ... في ميدان سباق الخيل، في لونشان في باريس. كنتُ يومها أتابع «جائزة قوس النصر»[٤٩]. لقد زرتُ الاردن، كما يعرف كل الناس، وطلبت الا يرافقني أي صحافي لأنني كنتُ أتفقد الانشاءات الزراعية على ضفة نهر الاردن، تلبية لدعوة من الحكومة الاردنية. ولكن عندما اكتشفتُ ان المقصود هو انشاءات عسكرية، قلت: ارفض أن أزور تحصيناتٍ عسكرية. والصورة التي وُزِّعتْ هي صورة أُخذتْ في ميدان سباق الخيل في لونشان (في باريس). وأتوجه بكلامي هذا إلى الفرنسيين جميعاً لكي يكونوا على بيّنة من بعض الاساليب.

أما بالنسبة لاتفاقيات كمب ديفيد، فلقد استقبلتُ مؤخراً الرئيس المصري أنور السادات. ولقد أبلغني الرئيس السادات شفاهياً، ثم كتب لي عند مغادرته باريس يقول لي: **«أعترفُ بأنك كنتَ على حق»**. وأنا على حق عندما أقول انه يجب التوصل إلى سلام شامل في الشرق الادنى[٥٠].

٤٩- هنري هاجدنبرغ، رئيس جمعية «التجديد اليهودي»، وهو الذي وزع الصورة المذكورة على نطاق واسع جداً وارفقها بالتعليق التالي «الرئيس جيسكار ديستان يلقي نظرة على ارض اسرائيل من موقع اردني حصين». هاجدنبرغ اصدر في اليوم التالي بياناً يعترف فيه بأن الصورة لا تمثل جيسكار ديستان في موقع اردني بل في ميدان سباق الخيل في الرياض. والغريب في الامر ان أحداً لم يستغرب ولم يستعجب، حتى فرنسوا ميتران ذاته لم يعلق، وكذلك الصحافة المؤيدة له.

٥٠- جريدة لوكوتيدياں دي باري - ٧ مايو / ايار ١٩٨١

٣ـ لوحات سياسية عربية واسرائيلية

وفرنسوا ميتران ليس مجرد رجل سياسي يحسن الكتابة والخطابة. انه أديب بكل معنى الكلمة، ولا يتردد بعض النقاد في مقارنته بكبار أدباء السياسة الفرنسيين، من أمثال شاتوبريان وتوكفيل و... ديغول. وقد اخترنا أن نختم هذا الفصل بسلسلة من المقالات عن الانطباعات التي كان يعود بها من رحلاته، ومن مقابلاته لكبار الشخصيات العربية والاسرائيلية. وهل من حاجة للاشارة إلى روح الود والتعاطف، بل والتواطؤ (كما يقولون بالفرنسية)، التي تفوح من كتاباته عندما يصف **«صديقته غولدا التي لم يعد لها عمر»** أو التي عمرها **«من عمر أرض الجليل»**، وبن غوريون الذي **«لا يزال يكرس ٣ ساعات يومياً لأعمال الكيبوتز»** وموشي دايان **«الرجل الفذ»**؟ . ولا يخفي احترامه للرئيس أنور السادات (عام ١٩٧٤) تمهيداً لوصفه بالعبقرية (عام ١٩٨٠) لأنه تجرأ وعمل ما لا يعمل. ويصب جام سخريته اللاذعة على هنري كيسنجر والاكاديميين النروجيين الذين منحوه جائزة نوبل للسلام (١٩٧٣). كان الاحرى بهم أن يمنحوها لسوهارتو **«لأنه صار يقتل فردياً بعد أن كان يقتل جماعياً»** أو لعيدي أمين دادا، لأنه لم **«يحطم جمجمة أحد وزرائه في العام المنصرم...»**.

١٩٧٢ : فرنسوا ميتران في اسرائيل :
بن غوريون ، غولدا ، ييغال آلون ، أبا ايبان

في مارس / آذار ١٩٧٢ ، زار فرنسوا ميتران اسرائيل للاجتماع إلى عدد من المسؤولين. وقد جاءت هذه الزيارة بعد اشارته لأول مرة إلى حق الفلسطينيين بانشاء وطن لهم. وكان لهذه الاشارة اسوأ الأثر في اسرائيل لدى المسؤولين والصحافة على حد سواء ولم يخفوا عليه ذلك. وعند عودته إلى باريس كتب يصف المسؤولين الذين قابلهم، ويسجل انطباعاته حول الرحلة[٥١] .

الخميس ١٦ مارس/اذار ١٩٧٢ - القدس.

تبلغ غولدا ماير ٧٤ عاماً من العمر، وهي تشبه صورها الفوتوغرافية: امرأة قوية البنية، ذات عينين حادتين، ترتدي ثوباً بسيطاً رمادي اللون اسوده، وقد عقصت شعرها في جديلة إلى الخلف. تدخن. تتحدث. تتحمس. وتستبقينا زهاء ساعتين، بدلاً من ثلاثة ارباع الساعة المقررة لهذه الزيارة البروتوكولية. قال عنها بن غوريون: « عندما سيُكتَب التاريخ سيعلم الناس ان امرأة يهودية هي التي اتاحت ولادة الدولة اليهودية ». كانت وقتها قد عادت لتوها من مهمة قصيرة الأمد في الولايات المتحدة. حيث انتزعت خمسين مليون دولار من كبار المتمولين الذين ينتمون للجالية اليهودية الاميركية، والذين كانوا في معظمهم لامبالين حيال قضية

٥١- « الحب والزؤان »

اسرائيل. لكنهم تأثروا في الصميم لدى سماعهم هذا الصوت الجهوري، المتهدّج بعض الشيء، وهو يردد: «اننا سنقاتل، سنقاتل. ليس لكم أن تقرّروا ما اذا كنا سنتابع القتال أم لا. بل ان تقرّروا من سيُحرز النصر».

لم تكن غولدا ماير تمرّ حينذاك في تجربتها الاولى. فهي منذ ان هاجرت من اوكرانيا، كانت قد أخذت، في السابعة عشرة من عمرها، تستقصي أخبار ضحايا المجازر اليهودية، في شوارع «دنفر». وفي القدس جعلت منزلها، طيلة سنوات، واحداً من أهم مراكز التنظيم السري. وهي أيضاً التي هتفت، في ٢٩ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٤٧، لدى اعلان التصويت في الأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين، ونادت الجموع القلقة التي احتشدت أمام مبنى الوكالة اليهودية، بقولها: «لقد انتظرنا ساعة الخلاص مدة الفي عام. اما وقد حانت هذه الساعة، أيها اليهود، فحظاً سعيداً».

حيال هؤلاء الاشتراكيين الفرنسيين الذين تستقبلهم وتسألهم عن آرائهم ـ الصحافة الفرنسية، المتطرفة باستمرار، نادت بالويل والثبور وعظائم الأمور هذا الصباح، لأنني اعربتُ عن قلقي تجاه مصير الفلسطينيين ـ تتبنى غولدا ماير لهجةً متشددة: «فرنسا هي دائماً في طليعة المناهضين لنا»، كما لو كنا مسؤولين عما تقوم به حكومتنا. إلى هذا الوضع الكلاسيكي، يُضاف مأخذٌ جديد: «فرنسا هي البلد الوحيد، بين بلدان السوق المشتركة الستة، التي ما زالت تضع العراقيل في وجه الاتفاقية المتعلقة بالحمضيات والفواكه بين اسرائيل والسوق المشتركة».

وتحتج ماير: «ماذا يعتقدون في بلادكم؟ نهتم بالسلم أكثر من اهتمامنا بالنصر. إن تحقيق نصر آخر ليس من شأنه أن يوفر

لاسرائيل ما تفتقد اليه. كل جندي يسقط هو قصيدة شعر، قطعة موسيقية لم تكتمل، فكرة عقيمة. انه عالم ينقرض. لكن السلم الذي يعني تدمير دولتنا والتصفية الجسدية لشعبنا، مرفوض رفضاً قاطعاً.

اما وزير الشؤون الخارجية ابا ايبان، الذي استقبلنا في منزله لقضاء الامسية، فقد استأنف الحجة على طريقته الخاصة، بقوله: «لا. شكراً جزيلاً».

يتذكّر المرء هنا بقايا «الحرس القديم»، أو «الرعيل الاول» مع مزيج من التعاطف والاعجاب والضيق. انهم يشكلون نوعاً من المحكمة اليهودية العليا التي تنظر في النهاية، بأمر الاختيار الذي ينبغي تبنيه. وبن غوريون الذي اختلف مع الحزب الحاكم، والذي يعكف في السادسة والثمانين من العمر على كتابة الجزء الثاني من تاريخ اسرائيل، ويكرس ثلاث ساعات يومياً للمهام الجماعية في كيبوتز النقب، ما زال يُستشار حول القرارات الهامة. وكان يقال عن غولدا ماير انها اصبحت عجوزاً، منذ عشر سنوات. اما اليوم، وبعد ان لم يعد لها عمر، فهي تجسّد ارادة العيش لدى شعب شديد الشهية.

في كتاب «آه يا قدس» كتب المؤلفان «لابيير وكولنز». يصفان غولدا ماير: «في مطبخها الذي تستخدمه بمثابة غرفة استقبال، تتجلى ضيافتها عبر تلك القهوة التي لا تنضب، والتي تسكبها لضيوفها من ركوة ضخمة تظل دائماً على النار. وهي تدخن بصورة متواصلة، وتوزّع على اصدقائها فناجين القهوة، والحلوى الجافة، باصرار شديد لا يضاهيه الا تشجيعهم على العمل. لقد كانت تشكل بالنسبة لهذا الجيل الجديد من المراهقين اليهود، الام الخالدة التي تتحدث عنها التوراة».

انها، بالضبط، ام لشعبها تكن له ما يلزم من خشونة ومن حنان. وتوحي لمن يراها ويستمع اليها بأنها تحمل في أحشائها طفلاً حبلت به منذ الف عام يبلغ من شدة البأس حداً يجعلها تتهلل اعتزازاً به، كما يبلغ من الهشاشة مبلغاً يجعلها تقضي لياليها حتى المات للاعتناء به. ان كلمات السلام ترن صادقة في هذا الفم المقدام: «لم يتغير الوضع في اسرائيل تغييراً حقيقياً عندما انتصرنا في حرب الايام الستة. وهو لن يتغير الا عندما نجد حلاً دائماً لازمة الشرق الاوسط مع جيراننا».

لكننا لن نعلم المزيد عن نواياها، وعما تعنيه بالحدود «الآمنة والمعترف بها». يكاد المرء يشعر بأنها تظل «تلك المرأة الشابة التي لا تعبر ساحة القرية عندما تكون مرتدية ثوباً ابيض»، بسبب اولئك الذين يحدقون النظر اليها. وانها لن تجد طعم الراحة ما لم تتأكد من ان بنات بلدها سيكون بوسعهن ان يلبسن كما يشتهين.

السبت ١٨ مارس / آذار ١٩٧٢

تناولنا طعام العشاء مع يغال الون، بطل حرب الاستقلال، في كيبوتزه على ضفاف بحيرة الجليل. ويشغل آلون الآن منصب نائب رئيس الوزراء والمسؤول عن التربية الوطنية. وهو يعتبر في عداد المؤهلين لخلافة غولدا ماير، في نفس مصاف موشي دايان، متأخراً بعض الشيء عن بنحاس سابير، وزير المالية. انه الوحيد، من بين سائر القادة الاسرائيليين الذين قابلناهم، الذي لا يحب اللجوء إلى العموميات عند البحث عن مخرج للنزاع. ان الآخرين يشرحون لنا، بكثير من الحزم، انهم ليسوا من دعاة ضم الاراضي، بل انهم يشترطون ادخال تعديلات على الحدود، ولا يقبلون بوضع خاص للضفة الغربية، ولا يرضون الا بمفاوضات مباشرة، لكنهم لا يرفضون المساعي الحميدة التي يقوم بها طرف

ثالث متعاطف. غير ان الزوار امثالنا سيظلون على تعطشهم، اللهم الا اذا كانوا يُمنّون النفس بأن تكشف لهم اسرار الدولة.

خطة يغال الون هي التالية: ضفة غربية منزوعة السلاح، تُلحَق، مع اريحا، بمملكة حسين. مواقع حدودية اسرائيلية على امتداد نهر الاردن. تخطيط جديد للحدود في بعض النقاط الحساسة، ولكن المحدودة. سيادة الاردن على الامكنة المقدسة الاسلامية مع طريقة للوصول اليها خارج اراضيه. حلول منفصلة للسويس وشرم الشيخ. في البداية، رُفضت هذه الخطة من جانب الحمائم والصقور في كلا المعسكرين. غير ان كل الدلائل تشير - بما في ذلك خطاب الملك حسين الأخير الذي أثار الاستياء - إلى ان هذه الخطة هي حالياً موضع درس.

١٩٧٤ : فرنسوا ميتران في القاهرة :
السادات، هيكل، عرفات، الأهرام

في ٢٨ يناير / كانون الثاني ١٩٧٤، قام فرنسوا ميتران بزيارة لمصر، تلبية لدعوة من محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير «الاهرام» آنذاك. استغرقت الزيارة ثلاثة أيام، قابل خلالها فرنسوا ميتران الرئيس السادات ووزير الخارجية اسماعيل فهمي ومحمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية، وياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. ونترك لمراسل جريدة «لوموند» في القاهرة ان يتحدث عن هذه الزيارة وعن الاثر الذي تركته في نفوس المصريين، ولدى ميتران ذاته[٥٢]:

يوم الجمعة، وقبل مغادرته القاهرة، بقليل، عقد فرنسوا ميتران مؤتمراً صحافياً، كرّر خلاله التأكيد على «ان السيدة غولدا مائير هي صديقته»، وأشار إلى انه «لا يرى مبرراً في أن يؤدي ما شاهده واستمع اليه في القاهرة، الى تبديل في موقف الحزب الاشتراكي من قضية الشرق الادنى».

وأوضح ميتران بالمقابل، ان «رؤيته للقضايا ستكون من الآن فصاعداً مختلفة، بفضل الصلات الانسانية التي أقامها في القاهرة». ويعلق المراسل على ذلك قائلاً: «يبدو ان شخصية الرئيس السادات قد تركت أثراً ايجابياً في نفس الزعيم الاشتراكي الذي

٥٢- جريدة لوموند بتاريخ ٣/٤ فبراير شباط ١٩٧٤

وصف الرئيس المصري بانه «رجل يتمتع بحضور قوي جداً، وبصفاء كبير وبجرأة أدبية»، كما يبدو ان الرئيس السادات تمكن من اقناع ميتران «بارادة مصر بتحقيق السلام».

ويقول المراسل عن مقابلة ميتران وياسر عرفات انها سمحت للسكرتير الاول للحزب الاشتراكي التذكير بأن اليسار الفرنسي بات يعترف «بالواقع القومي الفلسطيني» منذ ١٩٧٢ . والمقابلة بحد ذاتها حدث هام، باعتبار ان هذه هي المرة الاولى التي يجتمع فيها فرنسوا ميتران بشخصية فلسطينية رئيسية.

ومما قاله ميتران في مؤتمره الصحافي إن الحزب الاشتراكي «لا يعارض اجراء تعديلات على الحدود في الشرق الادنى، عن طريق المفاوضات» وانه لا يرى «فرقاً كبيراً في موقف حزبه والموقف الفرنسي الرسمي، لا سيا بعد ان صرح وزير الخارجية الفرنسية ميشال جوبير ان فرنسا لا تمانع في اجراء تعديلات على الحدود باتفاق الاطراف المعنية».

وينهي المراسل قائلاً ان المصريين سيظلون يعتبرون فرنسوا ميتران من أكثر السياسيين تأييداً لاسرائيل. ولكنهم يرون ان هذه الزيارة كانت مفيدة باعتبار انها سمحت للزعيم الاشتراكي التأكد بنفسه من ارادة مصر في تحقيق السلام.

اما فرنسوا ميتران، فقد خصص لهذه الزيارة مقالاً طويلاً نشرته «المجلة الاشتراكية الجديدة»، ثم عاد ونشره في كتاب «الحب والزؤان». الصادر في عام ١٩٧٧، على النحو التالي:

الأربعاء ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٩٧٤

كنا ننتظر أنور السادات في صالة يحف بها أثاثٌ بسيط. في أحد أركان الصالة، صورة فوتوغرافية لزوجين شابين ضاحكين:

انها ابنة الرئيس وزوجها اللذان اقترنا الاسبوع الفائت وسط احتفال عظيم. بحثتُ عبثاً عن صورة لعبد الناصر.

لم يقترن قدوم سيّد البيت باية مراسيم، اللهم إلا ببعض الانوار تنبعث من عدسات المصورين والمراسلين لوكالات الانباء. بعد التعارف جلسنا على كنبة شبيهة، من حيث نقشتها، بتلك الكنبات التي قدّر لي في الآونة الاخيرة ان أجلس عليها جنباً إلى جنب مع كل من اولوف بالم[٥٣]، وتشاوشيسكو، وتيتو، وغولدا ماير كان السادات يجلس إلى اليمين، وأنا إلى اليسار. اما مرافقي ومحمد حسنين هيكل فقد غاصوا في ارائك جرى تصفيفها على شاكلة زاوية وفقاً لنفس القواعد الهندسية التي تسود في كل انحاء العالم. غير ان أشدّ ما يبعث على الحيرة، هو شخص الرئيس المصري بالذات. فالصورة التي تُقدّمُ له في الغرب أقرب ما تكون للكاريكاتور: قامة رشيقة وشاربـان صغيران كشـاربي الراقـص المنصرف لشؤون الدنيا. بدلاً من ذلك، دُهشنا لرؤية طلعته المتناسقة، ذات الملامح الرقيقة والنظرة اليقظة. لم يكن يعلق شارات على طاقمه الكاكي. ورغم انه من أهل الدلتا، فهو يشبه اولئك الفلاحين الصعيديين الذين نجدهم على تخوم النوبة. يتكلم بصوت بطيء، ويشدّد على انعطافات افكاره. ويلمس المرء لديه رغبة في اقناع سامعيه. طيلة اللقاء الذي دام أكثر من ساعتين، لم يخرج عن نبرته الهادئة اللطيفة التي اتخذها منذ مستهل حديثه. ومع ذلك فنحن نلتقي من موقفين متباعدين. إذ ان الجسور كانت قد انقطعت بين الاشتراكيين الفرنسيين والبلدان العربية منذ ١٩٥٦ وحرب السويس. نتذكر وننسى. بل ننسى ونتذكر. وهل ثمة

٥٣- اولوف بالم، رئيس وزراء السويد سابقاً، اشتراكي، عضو في الاممية الاشتراكية انتدبته الامم المتحدة في مهمة استطلاعية لدى بغداد وطهران، عند اندلاع الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٠.

وسيلة أخرى للعيش؟ لم يكن لي ان أشرح موقفي المتعلق بمسؤوليتي الشخصية داخل حكومة «غي موليه». ولم يُشر السادات إلى ذلك الموقف الا اشارة طفيفة. «اننا نلتقي للمرة الثانية، على ما أعتقد»، ثم انتقل إلى حديث آخر. ولم أكن بحاجة للتذكير بأن الحزب الاشتراكي الفرنسي ينتمي لنفس الأممية التي ينتمي اليها «ماباي»، حزب غولدا ماير وموشي دايان، وانني الصديق الشخصي لغولدا. فذلك معروف. غير انني ذكّرت به، حتى لا يكون هناك التباس لدى أحد حول زيارتنا. «وهل في التأكيد على حق اسرائيل في الوجود، وفي البحث عن الوسائل التي تضمن هذا الحق، عداءٌ للعرب؟ «نحن لا نريد تدمير اسرائيل ونرغب في تحقيق السلام»، أجاب السادات. وكان فوزي، نائب رئيس الجمهورية، وفهمي، وزير الشؤون الخارجية، قد حدثانا بالأمس حديثاً مماثلاً يتسم بنفس اللهجة الحازمة. غير ان السادات أضاف: «ولكن على اسرائيل أن تتخلى عن الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ وتعترف بالواقع القومي الفلسطيني». واعترضتُ بالقول انه اذا كان سيظل حبيساً ضمن شعارات مبدئية تصطدم بمعارضة مقابلة من جانب الشعارات الاسرائيلية، فان ذلك يعني التورط في الحرب. وذكّرت بأن السيد «جوبير» الحريص على ترجمة القرار رقم ٢٤٢ ترجمة دقيقة وجامدة، كان قد أوّل هذا القرار من على منبر «قصر البوربون»[٥٤] بوصفه يُخوِّل حق ادخال «تعديلات طفيفة على الحدود». مما يعني، بوضوح، اجراء تدابير محتملة حول القدس والجولان. فأجابني السادات: «ليس هناك من رئيس عربي يستطيع القبول بذلك، والتضامن قانوننا.

على كل حال، فهذه مشكلة مغلوطة. إن الوقت يعمل لصالح

٥٤- الجمعية الوطنية أو مجلس النواب.

العرب. لقد دام الفتح اللاتيني أكثر من قرن. ما الذي بقي منه الآن؟ والاستعمار؟ إن اسرائيل ستربح من السلام أكثر بكثير مما تربحه بالحرب. ستربح امنها وسلامتها قبل كل شيء. وفي عصر الصواريخ، لا أرى ان بضعة ميلميترات.مربعة على خارطة قيادة الاركان هي التي ينبغي أن يُحسب لها الحساب. بل الحساب هو الضمانة التي من شأن العرب ان يقدموها للتوازن الجديد في هذا الجزء من العالم. انني لا أخشى كلمات من نوع السلم والصلح. لقد تلفظتُ بهاتين الكلمتين عام ١٩٧١ بصورة علنية. وكنت صادقاً. ألم يكن في ذلك اعتراف باسرائيل منذ ذلك الحين؟ لكن قادة البلد المذكور لم يصدقوني، لأن أوهام جبروتهم قد أعمتْ بصائرهم. وهم في ذلك مخطئون. واذا كانت الوحدة العربية تسير قدماً فإن للعناد الاسرائيلي يداً في الامر».

وساقنا الحديث إلى أزمة النفط، وإلى العلاقات الفرنسية - المصرية الحارة ظاهرياً، والفاترة في الواقع، وإلى غياب اوروبا (غياباً يأسف له السادات)، وإلى ضرورة بلورة سياسة متوسطية بين دول حوض المتوسط. لكنه كان يعود بنا، لدى كل منعطف من منعطفات الحديث، إلى الموضوع الذي يؤرقه: السلم في الشرق الاوسط. ولم يطل بنا الحديث عن الاميركيين، رغم الكلام الذي يدور في القاهرة عن عودتهم بقوة. فسألتُه عن الأمر، فأجاب: «إن الثورة قد غيرتْ مصر. لكن سبعة وثلاثين مليون مصري يتزايدون بمعدل مليون كل عام، ويعيشون في ظل حرب دائمة، لا بدّ أن يشكلوا كلفة باهظة. لقد آن الاوان لكي نتصدى للفوضى ولتباطؤ الانتاج ولأمور الاستثمار والتجهيز». لم يكن الجواب تكذيباً ولا نفياً.

الخميس ٣١ يناير / كانون الثاني

إن مباحثات من نوع تلك التي اجريتها البارحة مع السادات

تولي قسطاً كبيراً للياقات والاعراف قبل الوصول إلى جوهر الامور. لذا لا يجب أن ننتظر منها الشيء الذي لم تكن من أجله. بل الذي يجب أن يُعوَّل عليه في مثل هذه المباحثات هو تلك الاشارات الحساسة التي تُضفي على الكلمات وعلى المواقف بعداً جديداً، وتُدخل تعديلات على توضيح مشكلة من المشكلات. حتى ولو كانت قد نوقشت عشرات المرات. لا شيء يمكن أن يحل محل الدبلوماسية المباشرة، وهنري كيسنجر هو خير مثال لذلك. إذ تدخل حينئذ في اللعبة ضروب من الحدس والتوافق لا تقوى على توضيحها أو تحريكها اية وسيلة أخرى، سواء كانت خطاباً أو تبادل ملاحظات أو مؤتمرات أو محادثات بين السفراء. لم يُحطنا السادات علماً بأي شيء مما لم نكن نعلمه عبر مصادر الاعلام العادية. ولم يكن من الممكن أن يحصل خلاف ذلك. ومع هذا، فعندما ودعناه، كان لدينا شعور باننا نعرف المزيد. هل كان ذلك من فعل الهالة التي تحيط بشخص حلّت به نعمة التاريخ، بعدما تجاهله وقتاً طويلاً، رغم انخراطه منذ عشرين عاماً بكبريات الاحداث؟ أم كنا مدهوشين وحسب ـ وبالتالي مأخوذين ـ لأننا اكتشفنا انساناً أغنى بكثير، من حيث تفكيره وحياته الداخلية، من تلك الصورة التي قُدِمتْ لنا عنه؟ أم تراها جاذبية مشكلات الشرق الاوسط وكثافتها هي التي حوّرت موازين التقييم؟ لقد استخلصنا من هذه المقابلة طائفة من الافتراضات والتوقعات تتخطى بأشواط بعيدة ما كان من شأن التحليل الدقيق للمعطيات ان يتيحه لنا، وتبين لنا من خلال سلوك السادات، ومن خلال التوجيه المقصود لأقواله، إن هناك امارات تدل على قزار ما.

كان قد تم الاختيار. وبوضوح. وهذا الوضوح الذي كان ملحوظاً بشكل مباشر على صعيد السياسة الخارجية، ما لبث أن بدأ بالظهور على صعيد السياسة الداخلية. ولكن اذا كان من

المفروغ منه ان سياق الامور الذي كان قد نظم حياة جيل من المصريين قد أخذ يصل إلى نهايته، فإن تفسير الاحداث منذ حرب « الغفران » كان يختلف باختلاف المصريين الذين قابلناهم. فكان بعضهم يرى ان السادات يستعجل الحصول على المساعدة الاميركية من أجل تقويم اقتصاديات البلاد، وهو مستعد لأن يدفع الثمن باهظاً حتى ولو كان يضطره إلى ربط دبلوماسيته بدبلوماسية كيسنجر. وانه يعتزم اصابة عصفورين بحجر واحد، بأن يستفيد من هذا الارتداد حتى يصالح البرجوازية الوطنية ويوسّع قواعد سلطته التي بدأت تلقى معارضة من جانب الاوساط التقليدية المشورة. تأكيداً لهذا الطرح، كان هؤلاء البعض يذكرون طائفة شتى من الاحداث التي لا تتخذ قيمة اذا تناولها المرء مبعثرة، لكن تجميعها يُضفي عليها طابعاً برهانياً: استبعاد الرفاق القدامى، الانخفاض الملموس في لهجة الاشادة بعبد الناصر والحماس له، التخلي عن بعض المكاسب الاجتماعية، التصالح مع فيصل ملك المملكة العربية السعودية، ادخال بعض المستشارين المحسوبين في عداد اعداء النظام، ضمن دائرة المقربين. اما البعض الآخر فكانوا، رغم اعتمادهم في التفكير على نفس المعطيات، يرون ان من الاجحاف اتهام السادات بالارتداد، وان من الاصح فهم هذا الموقف الذي يكمن معناه الحقيقي في رغبة صاحبه بالتوقف فترة، لا لكي ينعطف بعد ذلك، بل لكي يستعيد الانفاس وليجمع حول شخصه وحول سياسته في هذا الوقت العصيب، أكبر عدد ممكن من الولاءات. وبكلمة كان هؤلاء البعض يرون ان الامر هو كناية عن توجه نحو نوع من الوحدة الوطنية تظل الثورة روحها وملهمها، وان قدر الثورة الناجحة، في نهاية الامر، هو ان تجمع حولها في يوم من الايام، أفراد الامة بأسرها.

كان دعاة الطرح الاول يشددون على تنحية اعضاء مجلس الثورة، باستثناء الشافعي. فعلي صبري في السجن. وخالد محي الدين جُرِّد من كل منصب. ورغم اشتراك شخص مثل اسماعيل صبري عبدالله ـ الزعيم القديم (والمعروف) للحزب الشيوعي ـ في الحكومة، بعد خمس سنوات من الاعتقال والتعذيب الذي ما زالت اثاره بادية في وجهه، فإن الاخطار ما زالت محدقة بالمثقفين والمناضلين اليساريين، فيُسمح لهم تارة بالعمل ضمن الدائرة الضيقة التي تتسع لها بعض المجلات الفكرية ذات التوزيع الضئيل، ويُقبض عليهم طوراً من قبل الشرطة التي أصبحت معتادة على زجهم في السراديب والدهاليز.

لكن هذه الحجج كانت تستعمل ايضاً من جانب دعاة الطرح الثاني للبرهان على ان السادات يتبع ستراتيجية دقيقة ودؤوبة، ترمي الى تطبيع الحياة السياسية المصرية، لأن أعمال القمع ـ باستثناء علي صبري واصدقائه وبعض الاخوان المسلمين الذين ما زالوا معتقلين ـ قد انتهت عملياً. وإن بعض الدلائل، مثل الاعلان عن عزم الحكومة على ارجاع رفات الملك فاروق واخته الى مدافن اجدادهما المماليك، تنم عن تجذّر الثورة التي لم تعد تخشى على الاطلاق من شبح الملكية، وانه بعد أن أصبح السادات متحكماً باللعبة، وبعد أن برهن على أرض الواقع عن مقدرته على الحكم، صار من الممكن اخيراً أن تتجه مصر لمعالجة مشكلات العصر بدلاً من أن تظل اسيرة الحلم الناصري.

ثم ان تصرّف السادات خلال حرب الغفران وفك الارتباط المفاجيء الذي تلاها، كانا مادة غزيرة للنقاش. اما ان يكون قد حزم امره باتجاه السلم، فلا خلاف حول ذلك. واما ان يكون يُمنّي النفس بايجاد تسوية حول طاولة خضراء لمشكلة مطروحة

بصيغ لا سبيل إلى التوفيق بينها، فكان يبدو امراً أخرق إلى حد بعيد، بحيث ان البعض كان يرى فيه براعة جديدة من شأنها أن تساعد رئيس الدولة المصرية على تجميد الوضع مع اسرائيل، عبر هدنة عسكرية، ثم الانتظار دون احراج - حتى ولو طال الانتظار - إلى ان تنضج الثمرة من الجانب السوري والاردني.

ماذا كان يرى محمد حسنين هيكل الذي نظم رحلتنا ولقاءنا بالسادات؟ كان هيكل يستمع، متكئاً إلى أريكته، إلى الحديث، دون أن تبدو عليه امارات التأثر. بل كان يكتفي بأن يهز رأسه من حين لآخر. غير انه قاطع السادات عندما صرح بأنه يعتزم اعتزال الحياة السياسية عند انتهاء مدة رئاسته، خلال ثلاث سنوات. عندئذ قال هيكل: «إن مصر ستكون ما تزال بحاجة اليك».

الاحد ٣ فبراير / شباط

لا يعرف الناس حق المعرفة، في باريس، ابعاد امبراطورية «الاهرام» وبالتالي امبراطورية هيكل، لأن الرجل قد ارتبط طيلة سبعة عشر عاماً بصحيفته: مليون من القراء اليوميين، منشورات في سبعة بلدان عربية، احدث مطبعة في العالم، في أقبية احدى ناطحات السحاب التي تليق بشارع كالشارع الخامس (في نيويورك)، مجلات، صحف اسبوعية، مكتبات، مركز للدراسات السياسية والستراتيجية، لقاءات ايديولوجية، شبكة استيراد وتصدير، بالاضافة، كل يوم جمعة، الى افتتاحية رئيس المؤسسة التي تُنتظر وتُمحّص وتُناقش على جميع الاصعدة، بعد ان تكون قد جلبت خمسمئة الف قاريء اضافي. والحال ان افتتاحية هيكل الاخيرة كانت مدوّية. كان هيكل قد شعر منذ وقت طويل بانزلاق النظام نحو ركائز اجتماعية اخرى، كما شعر بثأر البرجوازية لنفسها وبتراجع الثورة. وبوصفه صديقاً لعبد الناصر،

وربما أقرب اصدقائه، كان قد احتفظ بمسافة معينة بينه وبين خليفته. كان راغباً باتحاد مصر مع ليبيا. واسف شديد الاسف لفشل هذا الاتحاد، واعطى الحق، ضمنياً، للقذافي. وفي عز الحرب، أدان اللجوء إلى كيسنجر في الوقت الذي كان الجنود المصريون يقعون صرعى السلاح الاميركي. لكنه الآن، أخذ يندد بهذه السياسة وبالذين يثقون بها. وبعد أن كان هيكل يُعتبر معتدلاً ومیالاً للاميركيين لأنه كان يسعى إلى التخفيف من المغالات الناصرية، فقد أخذ يندد بالامبريالية، وينبه بلاده إلى خطر عودة السياسة الاميركية بزخم إلى منطقة الشرق الاوسط. كنا برفقة هيكل، يوم الخميس، عشية نشر مقالته المدوّية، في مقر «الاهرام» يحيط بنا لفيف من المثقفين والقادة السياسيين، لخوض احدى تلك النقاشات الطويلة، الواضحة، الودية والمتحمسة التي تشكل في البلدان العربية قاعدة من قواعد الضيافة. هنا ايضاً لم يساهم هيكل في النقاش الا مساهمة بسيطة. لكن الجميع كان يستشهدون، دون أن يذكروا ذلك، بهذا الرجل الذي تنم هيأته ونفوذه ورباطة جأشه بل وملابسه، عن صورة صاحب مصرف في «السيتي»، بينما توحي نظرته الثابتة المباشرة المرفقة بنصف ابتسامة بأن الثقة بالنفس تقترن لديه بحب المجازفة. كان يبدو للجميع أصلب من أي وقت مضى.

لكننا وصلنا في اليوم التالي إلى مطار أورلي، في نفس الوقت الذي وصلتْ فيه الانباء التي تعلن ان هيكل قد أقصي عن منصبه، وإن أحد الاخوين أمين، الذي حكم عليه عبد الناصر بالسجن المؤبد، قد عُيّن مديراً «للاهرام». وقد تلا هذه الاقالة في اليوم نفسه، اعفاء صهر عبد الناصر من منصبه كمسؤول عن مركز الدراسات الستراتيجية.

السادات وهيكل: اسمان ينطويان على مستقبل مصر القريب.

انني ما زلت اتصورهما وقد مال احدهما صوب الآخر، في تلك الصالة البرجوازية على ضفاف النيل، يتجاذبان اطراف الحديث، صديقين هادئين، كما رأيتُهما[٥٥].

٥٥- لا شك ان القاريء انتبه الى ان فرنسوا ميتران لم يأت مرة واحدة على ذكر ياسر عرفات، برغم اجتماعه به مطولاً، وبرغم طول المقال.

بعد هذه الزيارة بأربع سنوات، عاد فرنسوا ميتران إلى اسرائيل. ومرة أخرى اجتمع بغولدا ماير وبعدد من المسؤولين الآخرين.

الخميس ٢٨ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٦:

تل أبيب. غولدا بانتظارنا في مقر حزب العمل. لدى مغادرتها المستشفى البارحة، اكفهرت الوجوه لدى السؤال عن آخر أخبار صحتها. لكنني وجدتها كما هي، لم تتغير. وهمس جاك اتالي في أذني: «حالتها طبيعية. انها من عمر أرض الجليل. انظر اليها كم هي تشبهها». كان خطاب عرفات من على منبر الامم المتحدة والنصر الذي احرزه هناك قد ملأ قلبها مرارة. قالت لنا: «بينما كان يلقي خطابه، كنت أقوم بزيارة لأحد الكيبوتزات حيث كان رجاله قد فرغوا لتوهم من قتل أحد عشر نفساً من عائلة واحدة». ثم تهدج صوتها وهي تقول «لقد عشنا حياة ملؤها الامل والصلوات والعمل والآلام. وها ان المال والنفط يقرران الآن...». ثم تابعت: «بالمليارات، يستطيع المرء ان يشتري لا المصانع فقط ولا الجامعات والبنوك وحدها، بل أيضاً يشتري العداء للسامية». ثم القت نظرة على المحيطين بها وقالت: «انني اسمح لنفسي ان أتكلم بصراحة لأنني امرأة عجوز». لكن اللهجة الخطابية ما لبثت ان عادت: «بما انني

وُلدتُ في كييف، فإن الملك خالد يعتقد انني شيوعية. فليعتقد الناس ما يشاؤون، اليهودي سيظل مسؤولاً عن ولادته»[٥٦].

٥٦ـ «النحلة والمهندس» ـ ١٩٧٧

قال رابين: « نجحنا بتحقيق اشياء مستحيلة. وكان نجاحنا أقل في تحقيق الأشياء الممكنة». وقال رئيس الكنيست، مجلس النواب الاسرائيلي: «لن نضحي بحقيقتنا القومية من أجل القيام بواجب دولي». هل تغيرت سياسة اسرائيل منذ زيارتي الاخيرة التي ترجع الى أكثر من أربع سنوات؟ قليلاً جداً، اذا اعتمدنا على كلام المسؤولين فيها. فحجج رابين ووزرائه في تبرير رفضهم الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، والاقرار بقيام دولة محض فلسطينية، تكون حاجزاً بين اسرائيل والاردن تشبه كل الشبه الحجج التي كنا نسمعها من فم غولدا مائير. الا انهم باتوا يتقبلون اعتراضاتنا بمزيد من الاهتمام عما كانوا عليه في السابق، ودون أن يشكّكوا بالصداقة التي تلهم هذه الاعتراضات. والانطباع نفسه لدى الصحافة. طوال ساعتين كاملتين، أجبتُ على الاسئلة ذاتها التي كان يطرحها الصحافيون ـ ويجب أن نفهم ان هذه الاسئلة تعني الحياة أو الموت بالنسبة لسائليها ـ حول حق اسرائيل بالبقاء، وحول مصير الاراضي المحتلة، وقرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢، والنوايا الفرنسية، وأخيراً حول التهديد الذي يشكله وصول جيش جديد مؤلف من ٣٠٠٠٠ عربي الى لبنان.

لم أخفِ شيئاً من حقيقة تفكيري، وبنوع خاص حول موضوع الاختلاف الذي هو الواقع الفلسطيني. ولقد اقنعتني ردود الفعل

المهذبة التي صدرت عن محاوريّ ان شيئاً ما قد تغيّر في الرأي العام الاسرائيلي. لا أريد أن أوحي بأن الموقف (الجديد) يعني التسليم بوجهة نظرنا. ولكنْ ثمّةَ نضج واختمار في طريق التكوّن، ومن الخطأ والتهور الاستعجال والتسرّع بشأنها[٥٧].

السبت ٤ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٦

اضطرتني الانتخابات الفرعية إلى تأجيل بعض الاعمال التي تراكمت خلال اسبوعين إلى الاسبوع الاخير من تشرين الثاني / نوفمبر، فلم أجد، والحالة هذه، متسعاً من الوقت لأقابل موشي دايان الذي جاء إلى باريس ليعرّف بكتابه «تاريخ حياتي». انني آسف بالفعل لعدم تمكني من مقابلة هذا الرجل الفذ. في تل أبيب، دعانا وزير الدفاع شيمون بيريز في أوائل اكتوبر / تشرين الاول لتناول الغداء معاً. وكان يعتزم رؤيتنا مرة أخرى. خلال الغداء أعرب مضيفنا عن رغبته بأن أبدي رأيي حول سياسة اسرائيل، بعيداً عن اللياقات والمجاملات، والحّ علي قائلا: «اياك ان تذهب من هنا قبل ان تطرح عليّ الاسئلة التي تطرحها على نفسك». فانتهزت هذه الدعوة لكي ابدي اسفي حيال معارضة القادة الاسرائيليين قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية، بينما يؤكدون انهم يقبلون ـ بل وينادون ـ بضم هذه الارض (وفقاً لبعض الشروط، بالطبع) إلى الدولة الاردنية. وأضفت قائلا: «إن الملك حسين ليس باقياً إلى الابد، ثم انني لست أرى الفائدة التي تجنونها من تقوية جارٍ قد يصبح عما قريب اشدّ ازعاجاً لكم مما هو عليه اليوم». ولعل روح الدعابة قد طغت لدى بيريز على احراج السؤال، فالتفت الى موشي وقال: «تفضل انت بالجواب

٥٧ـ اسبوعية الحزب الاشتراكي «لونيته» ـ ٥/١١ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٧٦

اولا ». ولن أنسى ابداً جواب دايان الذي سارع فقال: « لا. ابداً انت أولاً، ستقول ماذا ستفعل الحكومة. ثم أقول انا بعد ذلك ماذا يجب على الحكومة ان تفعل».[٥٨]

٥٨- اسبوعية الحزب الاشتراكي «لونيته» - ٤ ديسمبر / كانون الاول ١٩٧٦

الثلاثاء ١٦ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٣

ليس لدي ما آخذه على هنري كيسنجر. بل ان امره لشدّ ما يهمني، بوصفه ذلك المهاجر البسيط ـ واليهودي ـ الذي ينطلق جذلاً، مرح الاعطاف، لافتتاح اميركا . وهو إلى ذلك يتكلم لغة غير اعتيادية. يا هلا به، في هذا العالم الميكانيكي البارد. ثم ان اسلوبه لا يُقلّد أحداً: فكيسنجر لا يعيش الا مثل كيسنجر. هذه والحق يقال، خصال يتمتع بها الرجل الثاني في أقوى امبراطوريات العالم. غير ان ما يزعجني هو حصوله على جائزة نوبل. فأنا ـ اولاً ـ لا أجد ذلك من العدل في شيء. ولو اننا نظرنا الى الامر من منظار منطقي، لكان نيكسون هو الاولى بالجائزة. فالسلم في فيتنام هو نيكسون، كما كانت الحرب في فيتنام هي نيكسون. ومسؤولية الرئيس، في هذه القضية، واحدة لا تتجزأ. والا، كان ينبغي، في حال انعدام هذه المسؤولية، منح الجائزة للبنتاغون[٥٩] . أمام التراجع عن أعمال القتل، لا يسع المرء الا أن يوجه التحية، خاصة عندما نعلم مدى المشقة التي تُبذل من أجل التخلص من بعض العادات. ولعل في ذلك ما يجعل مآقي بعض الاكاديميين تغرورق بالدمع. لكنني في نفس هذا السياق من الافكار، اقترح على هيئة جائزة نوبل أن تستدرك بعض ما غرب

٥٩ـ وزارة الدفاع الاميركية.

عن بالها من الامور فتتذكر سوهارتو الذي كفَّ عن التنكيل بـالشيـوعيين في أنـدونيسيـا ـ تنكيلاً جماعيـاً على الأقـل. أو بابادوبولس، الذي وضع أدوات التعذيب جانباً، وأعاد فتح الجزر ـ السجون (اليونانية) أمام السائحين. أو «عيدي امين» اوغندا، الذي لم يحطم جمجمة أي وزير من وزرائه طوال العام الماضي.

كان بودي أن أكثر من ذكر الامثلة، لكن قرائي سيتفهمون اقتصاري على القليل: فأنا لا أريد أن أخلق لنفسي المتاعب مع نصف الدنيا.

رغم ذلك، قرأت على صفحات الصحف ان ستة عشر نائباً اشتراكياً في النروج، بين لوثريين أو لادينيين في معظمهم، قد أبدوا دهشتهم حيال جائزة السلام العجيبة هذه، وأعربوا عن تفـاجئهـم في بيـان بعنـوان: «لماذا كيسنجـر وليس هلـدر كمارا؟»[٦٠] سـأتحدث عما قـريـب عـن كمارا: إذ ان مطـران «رسيف» هو شخصية فذة نادرة. لكنني أخشى أن يقع اصدقائي النروجيون، لفرط وسوستهم، في ما يحاذرون الوقوع فيه: فحيث تسيل دماء الفقراء، لا يهمّ ان تتحقق الهدنة ولا ان يسود السلام.

٦٠ـ دون هلدر كمارا، اسقف رسيف في البرازيل.

الفصل الثالث

الحزب الاشتراكي: لمحة تاريخية

١ـ من الشعبة الفرنسية للأممية العمّالية الى الحزب الاشتراكي

أقدم الاحزاب وأحدثها

الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي حمل فرنسوا ميتران الى رئاسة الجمهورية هو احدث الاحزاب الفرنسية الكبرى واقدمها في آن معا.

احدثها لانه بتسميته وبهيكليته وببرنامجه الراهن، لم يمضِ على تأسيسه دزينة اعوام. واقدمها لانه بايديولوجيته وبالتيار الفكري الذي خلقه، وبتغلغله في الاوساط الفرنسية، العمالية والريفية والمثقفة، وريث الشعبة الفرنسية للأممية العمالية، التي تأسست بعد خمسة أعوام فقط من بداية هذا القرن.

فهذا الحزب وُلد مرتين ـ وبعض المحللين الفرنسيين يقول ثلاث مرات.

كانت الولادة الاولى عند تأسيس «الشعبة» عام ١٩٠٥، على ايدي جان جوريس[١] وجول غيسد[٢].

وجاءت الولادة الثانية، بعد ٦٤ سنة على الاولى، عندما تخلت «الشعبة» عن تسميتها الأصلية وأطلقت على نفسها اسم «**الحزب الاشتراكي الجديد**» في مؤتمر «ايسي ليه مولينو» في

١ـ حان جوريس. (١٨٥٩-١٩١٤)
٢ـ جول غيسد. (١٨٤٥-١٩٢٢)

يوليو/تموز ١٩٦٩، واختارت آلان سافاري (وزير التربية في حكومة بيار موروا الحالية) أميناً أولاً لها.

ولم تمضِ سنتان، حتى تمت الولادة الثالثة، على يد فرنسوا ميتران هذه المرة، في مؤتمر ابيناي، في حزيران/يونيو ١٩٧١، ومرة ثانية في اقل من عامين، اتخذ الحزب اسماً جديداً هو «الحزب الاشتراكي» واختار المؤتمر فرنسوا ميتران اميناً اولاً للحزب. وقد بقي في هذا المنصب الى حين انتخابه رئيساً للجمهورية.

اما كم مرة موّته اخصامُه؟ فهذا سؤال يصعب الرد عليه. لكن في كل مرة كانوا يعتقدون انهم ارتاحوا منه، كان، كطائر الفينيق، ينهض من رماده، ويعود أقوى من ذي قبل. فقد ظنوا ان اغتيال مؤسسه جان جوريس، في يوليو/تموز ١٩١٤، واندلاع الحرب العالمية الاولى بعد ذلك بقليل سيقضيان عليه. ثم قالوا ان الانشقاق الكبير الذي حدث في مؤتمر تور، عام ١٩٢٠، عندما انسحبت الاكثرية من «الشعبة» وأسست الحزب الشيوعي الفرنسي الحالي، سينهيه. وشيّعوه ودفنوه، عام ١٩٤٠، عندما تخلت أكثرية نوابه عن كل مُثُلها واقترعت إلى جانب منح السلطات المطلقة للمارشال بيتان (الذي وقع معاهدة الصلح مع هتلر والقوات المحتلة)، برغم ان زعيم الحزب ليون بلوم كان قد أوعز بالاقتراع ضده. وحكموا عليه بالاندثار عام ١٩٥٦ عندما فشل امينه العام ورئيس الحكومة آنذاك غي موليه بايجاد حل لحرب الجزائر، وعندما انهزم في العدوان الثلاثي الذي شنه مع انكلترا واسرائيل على مصر. وجزموا بأنه لن ينهض من كبوته، عام ١٩٦٩، عندما لم ينجح مرشحه لرئاسة الجمهورية غاستون ديفير (وزير الداخلية في حكومة بيار موروا الحالية) في أن يجمع أكثر من ٥،٠٧ بالمئة من الاصوات.

فهذا الحزب القديم والحديث والمشرف، دائماً على الهلاك ظل ينتقل من هزيمة إلى هزيمة... إلى النصر الكبير. تمهيداً، ربما، إلى هزيمة جديدة.. والى...

ولا بد من السؤال: لماذا هذه المسيرة المتعرجة؟ وكيف نفسر هذه العودة الدائمة؟ الجواب ليس سهلاً. ولكن ربما لانه يجسد تياراً عميقاً متجذراً في الجماهير الفرنسية، على اختلاف طبقاتها ومذاهبها، يصبو الى نوع من العدالة والمساواة وتحقيق الذات داخل مجتمع يتمتع بالحرية والديمقراطية، ويسيطر على وسائل الانتاج ومرافق الاقتصاد الرئيسية التي تتيح له ان يحقق فعلياً هذه الاهداف.

لن نحاول هنا ان نكتب تاريخ الحزب الاشتراكي الفرنسي، انما نهدف إلى تقديم نبذة سريعة عن هذا الحزب وان نستعرض فكره وايديولوجيته، اهدافه ونظامه، هيكليته والاجهزة التي تتولى تسييره، والتيارات التي تتجاذب السلطة في داخله.

سؤال: هل كان بوسع فرنسوا ميتران أن يفوز بالرئاسة لو لم يكن على رأس الحزب الاشتراكي؟

جواب: لا نستطيع أن نعيد كتابة التاريخ ولا نريد أن نلمح إلى انه جاء إلى الاشتراكية ليصبح رئيساً. ولكن الشيء الثابت هو انه سبق له وترشح وهو على رأس الحزب ولم ينجح (عام ١٩٧٤). ولكن لم ينجح مرشح آخر برئاسة الجمهورية الخامسة دون أن يكون مدعوماً من قبل حزب أو أكثر. فالاقتراع العام، الذي أراده الجنرال ديغول نظاماً لانتخاب رئيس الجمهورية، يُحتّم أن يكون لدى المرشح جهاز ضخم يتمتع بامكانيات كبيرة موزعة في جميع انحاء البلاد ومتغلغلة في كل الاوساط والطبقات.

الحزب وحده لا يكفي. ولكن لا تقوم معركة، في ظل النظام

الحالي، ولا تتوفر احتمالات الفوز، بغياب الحزب.

الحزب الاشتراكي أقدم الاحزاب

يعود الحزب الاشتراكي الفرنسي بجذوره إلى كومونة باريس[٣] (عام ١٨٧١). لكن فشل تلك التجربة شتت الحركات اليسارية وضعضع صفوف العمال. وانقضت تسعة أعوام على اخماد كومونة باريس، قبل أن تتمكن الحركات العمالية من التقاط انفاسها وجمع شملها لتعود فتؤسس حزباً يرفع شعاراتها ويدافع عن حقوقها. وبينما كان المهندس غوستاف ايفل[٤] يشيد برجه الشهير، احتفالاً بالذكرى المئوية الاولى لاندلاع الثورة الفرنسية، كان العمال يحتفلون على طريقتهم بهذه الذكرى، فيعقدون مؤتمراً نقابياً في مرسيليا، ثم يُحوِّلون هذا المؤتمر إلى حزب بقيادة النقابي الماركسي جول غيسد، اطلقوا عليه اسم «اتحاد حزب العمال الاشتراكيين في فرنسا». ولم يلبث هذا الحزب ان انقسم على نفسه، وتحول إلى فرق واتجاهات، غالباً ما كانت تتصارع فيما بينها أكثر من اهتمامها بالدفاع عن حقوق العمال والطبقات التي تمثلها. وساد هذا الانقسام إلى أن ظهرت قضية دريفوس[٥]، في عام ١٨٩٧، وتهدَّد فرنسا خطر الانزلاق في العنصرية والفاشية. وأدرك الاشتراكيون، على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، خطورة الوضع، فقرروا الاتحاد فيما بينهم لتشكيل جبهة قوية تصمد في وجه أخصام الجمهورية وتقضي على العنصرية وتبعد شبح الفاشية. وساعدتهم الأممية الاشتراكية الثانية (التي تأسست في باريس عام ١٨٨٩)، في تحقيق هذه الوحدة، إذ أوعزت إلى جميع المنتسبين

٣- كومونة باريس (١٨ مارس/ اذار - ٣٠ مايو/ ايار ١٨٧١)

٤- غوستاف ايفل (١٨٣٢-١٩٢٣)

٥- دريفوس (١٨٥٩-١٩٣٥) ضابط فرنسي يهودي اتهم ظلماً بالخيانة، وقسمتْ قضيته فرنسا قسمين. وكان اميل زولا وجوريس وغيسد من المدافعين عنه.

اليها بوجوب الاتفاق وتشكيل حزبٍ اشتراكي واحد. وكان جان جوريس قد برز على الساحة السياسية كشخصية فذة لم تلبث أن فرضت احترامها ليس على اليساريين وحدهم بل على الطبقة السياسية بأسرها. وكانت جريدته «لومانيته» (التي أسسها عام ١٩٠٤، والتي ستصبح جريدة الحزب الأشتراكي، قبل ان تنطق باسم الحزب الشيوعي بعد الانشقاق الكبير في مؤتمر تور) الصوت الداعي كل يوم لتوحيد صفوف الاشتراكيين. وفي نيسان / ابريل من عام ١٩٠٥، اجتمع الاشتراكيون الفرنسيون بكل اتجاهاتهم وتياراتهم، واتفقوا على الانضواء تحت علم واحد وبرنامج واحد وجهاز واحد، واتخذوا لحزبهم اسم «**الشعبة الفرنسية للأممية العمالية**»، وأطلق جوريس صيحته الشهيرة «**اليوم اشرقت شمس الوحدة الاشتراكية**»[٦].

غير ان تأسيس الحزب لم يحل دون استمرار التيارات، ولكن في اطار الحزب. وسيطر في البداية تيار جول غيسد بماركسيته وبايمانه بأممية الحركة العمالية وبلا جدوى المؤسسات البرلمانية. ثم أخذ تيار جان جوريس ينمو ويكبر، وهو التيار الانساني الذي ربط الاشتراكية الحديثة بالمثل العليا التي اطلقتها الثورة الفرنسية، وأغنى هذه المثل بالروح السلمية وبالدعوة إلى العمل الثوري من خلال المؤسسات البرلمانية، وكان جوريس يقول: «**الاشتراكية من دون الجمهورية، عاجزة. والجمهورية من دون الاشتراكية فارغة**»[٧]. وخاض الحزب المعارك الانتخابية، وأخذ نوابه يدخلون إلى البرلمان.

في هذه الاثناء، بدأت تتوضح أخطار الحرب. وكرّس جوريس جهوده وحزبه للحيلولة دون اندلاعها. وكان يؤمن ان

٦ـ انسيكلوبيديا يونيفرساليس ـ الجزء التاسع.
٧ـ المصدر السابق نفسه.

العمال، إلى أي بلد انتموا، تجمعهم مصلحة واحدة، وانهم سيرفضون الحرب، وانهم سيناضلون دون وقوعها وسيتمردون على الاوامر، ناسياً أهمية الشعور القومي، لا سيما في فرنسا حيث كان يسود شعور عام بوجوب الأخذ بالثأر وغسل عار هزيمة سيدان[٨] واسترجاع مقاطعتي الالزاس واللورين اللتين كانت المانيا بسمارك قد ضمتهما اليها، عام ١٩٧٠.

ودعا جوريس عن طريق حزبه وعن طريق الأممية العمالية الثانية، جميع العمال في اوروبا إلى اعلان الاضراب العام للحؤول دون اندلاع الحرب. لكن دعوته لم تقابل بالنجاح الذي تأمله. بل انها اثارت عليه نقمة الشوفينيين المطالبين بالحرب، وفي التاسع والعشرين من يوليو٠/تموز ١٩١٤، كان يسقط قتيلاً برصاص أحد اولئك المتهوسين. ولم يمض شهر على اغتياله، حتى اندلعت الحرب. وبعد أن كانت «الشعبة» الداعية الاولى والرئيسية للسلام، وقبل أن يجف دم رائدها، إذا بها تنضم إلى جوقة المطبلين للحرب، وتشترك في حكومة «الاتحاد المقدس» لانقاذ الوطن وكسب الحرب.

في اكتوبر / تشرين الاول ١٩١٧، انطلقت الثورة البولشفية، فانتعشت آمال الحركات العمالية والأحزاب اليسارية في كل انحاء اوروبا. ولم تخرج فرنسا عن هذا الاجماع. وفي عام ١٩١٩، أسس لينين الأممية الثالثة التي ستعرف باسم الأممية الشيوعية. وأخذت هذه الأممية تحاول جمع الاحزاب الاشتراكية، على اختلاف انتماءاتها الوطنية، وراء الثورة الروسية. وفي الخامس والعشرين من سبتمبر / ايلول من العام التالي لقيام الأممية الجديدة، عقدت الشعبة الفرنسية للأممية العمالية مؤتمراً في مدينة تور من

٨- معركة سيدان (١٨٧٠) حيث استسلم نابوليون الثالث امام بسمارك موحد المانيا

أجل مناقشة موضوع الانتماء اليها. وسرعان ما ظهر الخلاف في أوساط هذه الشعبة. فقد وافقت الاكثرية الساحقة من أعضائها على الشروط الواحد والعشرين التي وضعها البولشفيون لقبول هذا الانتماء، بينما رفضت الاقلية، بزعامة ليون بلوم هذه الشروط، والقى بلوم خطابه الشهير الذي شدد فيه على التناقض بين الايديولوجية الشيوعية والتقليد الاشتراكي الفرنسي الاصيل الذي نادى به جوريس، والذي يمتد بجذوره إلى فكر الثورة الفرنسية. وانشقت الاكثرية عن الشعبة وأسست الحزب الشوعي الفرنسي وأخذت معها جريدة «لومانيته» الناطقة بلسان الشعبة، فأصبحت هذه الجريدة، ولا تزال، تنطق باسم الحزب الشيوعي. كما جرفت معها زهاء ١٣٠ ٠٠٠ منتسب، في حين لم يبق لليون بلوم وزملائه الاشتراكيين الا زهاء ٢٠ ٠٠٠ منتسب، بينما رفض حوالي ٢٠ ٠٠٠ منتسب آخر الانتماء إلى أي من الحزبين[٩].

هذا المؤتمر كان منعطفاً خطيراً في تاريخ التيار الاشتراكي، وفي تاريخ الحياة السياسية الفرنسية كلها. ففيه تكرستْ ولادة الحزب الشيوعي الفرنسي الذي سيشكل عنصراً ثابتاً في الحياة السياسية الفرنسية منذ ذلك التاريخ. وفيه ايضاً تبلورت شخصية ليون بلوم واكد ريادته للتيار اليساري الفرنسي غير الشيوعي.

وليون بلوم هو بلا شك الشخصية الاشتراكية الثانية بعد جان جوريس التي أعطاها هذا القرن لفرنسا. وقذ تتلمذ على يد جوريس ويعترف بل يفاخر بهذا الانتماء الى درجة انه كان يقول: **«منه استمديت كل تفكيري وكل ما انا هو عليه»**. امتاز عن سائر السياسيين التقليديين بثقافة واسعة جداً وبنزاهة وبايمان بالفكر الاشتراكي وبتحقيق العدالة وازالة الظلم اللاحق بالطبقة

٩- كريستين هورتيغ: «من الشعبة الى الحزب الاشتراكي الجديد».

العمالية. وكرّس حياته وفكره لتحقيق هذه الاهداف، لا يهادن ولا يساوم ولا يتراجع، سلاحه بالدرجة الاولى الفكر والقلم والعمل السياسي الديمقراطي. وبفضل هذه الشخصية الفذة التي ستطبع الحياة السياسية الفرنسية حوالي ربع قرن من الزمن، لم تلبث الشعبة ان استعادت قوتها. وبعد أن كانت أضعف الاحزاب، عقب الانشقاق الكبير، صارت أكبر الاحزاب في مطلع الثلاثينات. وكان بلوم الصارم في مواقفه السياسية والذي يوجه انتقاداته العميقة على اليمين وعلى اليسار، على الراديكاليين وعلى الشيوعيين، يرفض الاشتراك في مختلف الحكومات التي تشكلت بعد الحرب العالمية الاولى، لأنه كان يعرف انه لن يستطيع أن ينفذ برنامجه السياسي في حكومة لا تكون متجانسة، وبالتالي لا يكون رئيسها وأكثرية وزرائها من الاشتراكيين. الا انه اضطر إلى أن يعيد النظر بهذا الموقف عندما تعرضت فرنسا لهزات سياسية في مطلع عام ١٩٣٤ هددت باندلاع الحرب الاهلية (مقتل ستافسكي، اليمين يتظاهر ويحاول اقتحام البرلمان، اليسار يرد على المظاهرة ويتعرض لرصاص رجال البوليس، الاضراب العام...) ولم تجد قوى اليسار بداً من الاتحاد لتشكيل جبهة تقف في وجه التيار الفاشي المتصاعد، لا سيا بعد أن وصل النازيون إلى الحكم في المانيا، (عام ١٩٣٣) وبعد أن كان الفاشيون في ايطاليا، بزعامة موسوليني، يدعمون هذه الحركات. وتألفت الجبهة اليسارية من الشعبة ومن الحزب الشيوعي والحزب الراديكالي، وخاضت الانتخابات النيابية، وفازت بأكثرية ساحقة في عام ١٩٣٦، ودُعي ليون بلوم لتشكيل الحكومة التي ستدخل التاريخ باسم «حكومة الجبهة الشعبية». وقد اقتصرت هذه الحكومة على وزراء اشتراكيين وراديكاليين، واكتفى الشيوعيون بدعمها ومنحها تأييدهم في المجلس النيابي دون الاشتراك بها.

وعمت اليسار والبلاد موجة كبرى من الأمل بأحداث تغيير عميق في المجتمع الفرنسي، وباقامة نوع جديد من العلاقة بين العامل ورب العمل، وبين العمال ووسائل الانتاج. لكن الظروف الداخلية والخارجية لم تكن مؤاتية، ولم يُمنح بلوم الوقت الكافي ولا المدنة الضرورية لتحقيق التغيير المنشود. فالراديكاليون كانوا مترددين، ولم يلبث الشيوعيون أن تحولوا إلى المعارضة، في حين كان اليمين يصعّد حملاته ولا يتردد في اللجوء إلى كل الاساليب من أجل تفشيل مشاريع بلوم: هروب الرساميل، عدم تجاوب أصحاب المصانع، حملات صحفية بلغت حداً من العنف في الدس وتلفيق الاخبار دفعت بوزير الدفاع سالنغرو[10] إلى الانتحار، اضطراب في الجيش، وتواطؤ داخل الشرطة... ثم جاءت الحرب الاهلية الاسبانية[11] لتقضي على الأمل الأخير باستمرار تجربة بلوم. وبرغم اقتناعه الفكري بضرورة التدخل وميله العاطفي لنجدة الجمهورية الاسبانية الفتية، فضل بلوم التزام جانب الحياد، ظناً منه انه يساهم في التخفيف من حدة التوتر الدولي، ويُبعد شبح الحرب الذي كانت خطب هتلر وتسلح المانيا وأطماعها المكشوفة تلقي بظلاله الثقيلة على اوروبا بكاملها. لم يقبل الراديكاليون هذا الموقف المائع (وهم الذين سيستسلمون بعد سنة في ميونيخ ويوقعون مع هتلر معاهدة تقسيم تشيكوسلوفاكيا)، فانسحبوا من الحكومة واضعين بذلك حداً لتجربة فذة هي الاولى من نوعها في تاريخ فرنسا.

لم تعش حكومة الجبهة الشعبية الا سنة واحدة (أيار / مايو ١٩٣٦ - ٢١ حزيران / يونيو ١٩٣٧)، ومع ذلك، فقد

١٠- سالنغرو اتهمته الصحف اليمينية بانه فرّ من الجيش اثناء الحرب العالمية الاولى، وبعد ان اثبت براءته امام المحكمة انتحر.

١١- اندلعت الحرب الاهلية الاسبانية في تموز/ يوليو ١٩٣٦.

اتخذت من الاجراءات ما غيّر تغييراً كلياً وضع العمال وظروف عملهم، وبنوع خاص غيّر طبيعة العلاقة بين العمال وأصحاب العمل ووسائل الانتاج. وأبرز هذه الاجراءات:

- العقود المشتركة.
- انشاء نظام التوفيق والتحكيم في النزاعات المتعلقة بالعمل
- ضمان اجتماعي اجباري
- تحديد ساعات العمل في الاسبوع بأربعين ساعة فقط.
- الاجازات المدفوعة
- تأميم صناعات السلاح وتأسيس شركات الطيران الوطنية.
- تأسيس مصلحة القمح.
- الغاء امتيازات العائلات في ادارة بنك فرنسا المركزي
- انشاء وكالة وزارة لشؤون الرياضة والتسلية
- دخول ٣ نساء الى الحكومة: ل. برونشفيك، س. لاكور، ايرين جوليو كوري (مع العلم ان المرأة لم تكن قد حصلت بعد على حق الاقتراع).

بعد انهيار «الجبهة الشعبية» لم تنفع كل التنازلات التي قدمتها الديمقراطيات الغربية لابعاد خطر الحرب. فقد كان هتلر مصمماً هو أيضاً على ان «يغسل عار» هزيمة ١٩١٤ - ١٩١٨، وان يعيد لالمانيا مجدها ومجالها الحيوي. واندلعت الحرب في عام ١٩٣٩. غير ان الجبهات لم تلتهب فعلياً الا في ايار / مايو ١٩٤٠. وفي غضون ستة ايام، انهار نظام الدفاع الفرنسي بكامله، واجتاحت الجيوش الالمانيا فرنسا، وساد الطبقة السياسية والبلاد بأسرها جوّ من الذعر والاضطراب، لم تنجُ منه الشعبة الفرنسية للأممية العمالية. ومما زاد في بلبلة صفوف اعضائها ان الالمان سارعوا الى احتجاز زعيمها ليون بلوم، محلينه اخطاء كل الحكومات الفرنسية. وكونه يهودياً لم يكن من شأنه أن يخفف من

حدة استعدائهم له. واقترف النواب الاشتراكيون، بأكثريتهم الساحقة، الخطأ الذي لا يغتفر. فبدلاً من أن يصمدوا فوراً ويعملوا على تشكيل المقاومة، سارعوا الى الاقتراع الى جانب منح المارشال بيتان السلطات الواسعة التي تخوله عقد الصلح مع المانيا المحتلة. في هذه الاثناء كان الجنرال ديغول يطلق صيحته الشهيرة: **«لقد خسرنا معركة، لكننا لم نخسر الحرب»**، في ١٨ حزيران / يونيو، رافضاً الاستسلام، داعياً الى قيام المقاومة الفرنسية. ومن غياهب سجنه في المانيا، أوعز ليون بلوم الى زملائه وأعضاء حزبه بالانخراط في المقاومة والعمل الى جانب الجنرال ديغول، وتشكيل الخلايا الاشتراكية السرية، للنضال ضد الالمان. واشتركت الشعبة في المقاومة، وكان لها نصيبها من «جنود الظلام»[١٢] وقدمت عدداً من الشهداء في حربها السرية والعلنية ضد الاحتلال.

انتهت الحرب، وعاد ليون بلوم من الاسر، ليجد ان حزبه قد عمّق جذوره اليسارية خلال عمله السري اثناء المقاومة واحتكاكه اليومي والعملي بالشيوعيين. وفي المؤتمر العام الذي عقدته الشعبة عام ١٩٤٦، هُزم دانيال ماير، مرشح ليون بلوم لمنصب الامين العام للشعبة، وفاز نائب شاب شبه مغمور، ماركسي النزعة ويدعو الى اعادة النظر بايديولوجيا الحزب وببرنامجه، والى التحالف مع الحزب الشيوعي. ولم يكن هذا النائب الشاب غير غي موليه الذي سيظل مسيطراً حتى عام ١٩٦٩، مع كل ما سيجر ذلك على الشعبة من فشل وخيبة وتقلب في السياسة، بحيث انها كانت تُنفذ احياناً، بقيادة غي موليه، السياسة المناقضة تماماً لما تنادي به ايديولوجيتها ومبادؤها التقدمية.

١٢- اطلقت هذه التسمية على أعضاء المقاومة السرية واختارها جوزف كيسيل عنواناً لاحدى رواياته عن المقاومة الفرنسية.

الحزب الاشتراكي احدث الاحزاب

انتظر الاشتراكيون من أمينهم العام الجديد ان يكون رجل سياسة، واذا بهم امام مناور سياسي. وبدأت الشعبة، منذ السنة الاولى لولاية غي موليه تسجل تراجعاً في حركة الانتساب اليها. فقد تراجع عدد الاعضاء من ٣٥٥ ٠٠٠، عام ١٩٤٦، الى ٢٩٦ ٠٠٠[١٣] عام ١٩٤٧. وسيظل هذا التراجع، بل ستزداد حدته حتى عام ١٩٦٩، عندما أُقصي غي موليه عن الامانة العامة، وكان عدد المنتسبين قد نزل الى ٧٢ ٠٠٠[١٤]. غير ان حزباً يمثل اهمية الشعبة الفرنسية للاممية العمالية وتأصلها في التاريخ الفرنسي، لا يندثر في غضون سنوات معدودة. بل ربما يشهد انتفاضات متعددة اثناء عملية التفكك. فيفوز في الانتخابات النيابية. ويُدعى الى الاشتراك في الحكومات. وتظل هذه الانتفاضات محدودة، طالما ان الحزب لا ينتصر على نفسه، ولا يصحح مسلكية المسؤولين عنه، ويستعيض عن العمل السياسي في العمق بالمناورات القصيرة النظر، والتي لا فائدة منها الا المنفعة الضيقة، بحيث لا يتردد في **«عقد التحالفات المضادة للطبيعة»**؛ وفي تنفيذ السياسة المناقضة لكل ما يدعو اليه فكره وبرنامجه السياسي، كما قلنا آنفاً. ويذهب أكثر من محلل سياسي فرنسي الى تحميل الشعبة وأمينها العام غي موليه مسؤولية انهيار الجمهورية الرابعة، **«لانها بممارستها السياسية، أعادت الجمهورية الرابعة إلى تقاليد الجمهورية الثالثة، فاغرقتها وأغرقت نفسها في مساومات وتنازلات لا حصر لها»**[١٥]. ويقول فيليب وليامس في كتابه «الحياة السياسية في فرنسا في ظل الجمهورية الرابعة» فيما

١٣- موريس دوفرجيه: «الاحزاب السياسية».
١٤- كريستيان هورتيغ: «من الشعبه الى الحزب الاشتراكي الجديد».
١٥- كريستيان هورتيغ: «من الشعبة الى الحزب الاشتراكي الجديد».

يتعلق بمسلك الشعبة السياسي، ان « سمعة الشعبة أصيبت بنزاهتها. وقد تبين ان بعض كبار معاوني الوزراء الاشتراكيين كانوا ضالعين في كل الفضائح الكبرى. وعندما عاد الاشتراكيون الى الحكم، عام ١٩٥٦، وزعوا من الوظائف والمنافع على انصارهم ما لم يتجرأ على الاقدام عليه أي حزب فرنسي آخر قبلهم ». ولا بعدهم. بانتظار الجيسكارديين.

ولعل أقسى تجربة عاشتها الشعبة وانزلتها بفرنسا، هي تجربة الحكومة التي شكلها غي موليه في عام ١٩٥٦. فقد كان فشله من الاسباب الاساسية التي ستقود الى تفتت الحزب، في مطلع الستينات، بانتظار أن يعيد توحيده فرنسوا ميتران في بداية السبعينات.

فبعد أن أنهى منديس فرانس الحرب الفرنسية في الهند الصينية[١٦]، اعتبرت الجمعية الوطنية ان المهمة التي أوكلت اليه قد انتهت، وان هذا « الطائر الذي يُغرد في غير سربه » من السياسيين المحترفين، قد تمادى في كشف اساليبهم، فاسقطوا حكومته. ودُعي ادغار فور لتشكيل الحكومة التالية، ولم يمضِ عليه وقت طويل (٩ أشهر) حتى أعلن حل الجمعية الوطنية، ودعا البلاد الى الانتخابات النيابية، في الثاني من يناير / كانون الثاني ١٩٥٦.

كانت الثورة الجزائرية قد انطلقت منذ عامين، وبدأت تستنزف فرنسا عسكرياً واقتصادياً ومعنوياً، حتى صارت قضيتها الاولى. وتحالفت الشعبة مع الحزب الراديكالي برئاسة بيار منديس فرانس واتحاد الديمقراطيين والاشتراكيين للمقاومة برئاسة فرنسوا

١٦- بعد هزيمة ديان بيان فو (١٩٥٤) دُعي منديس فرانس لتشكيل حكومة تكون مهمتها الاولى انهاء الحرب الفرنسية في الهند الصينية (فيتنام). وقد تمكن من توقيع معاهدة السلام في جنيف بعد شهر واحد من توليه رئاسة الوزارة.

ميتران، وجناح الديغوليين التقدميين بزعامة جاك شابان دلماس، وشكلوا جميعاً «الجبهة الجمهورية». وخاضت هذه الجبهة الانتخابات على أساس برنامج يدعو بالدرجة الاولى الى انهاء الحرب في الجزائر. وكانت الجبهة برئاسة منديس فرانس، وباسمه فازت لوائحها، وحصلت على الاكثرية داخل الجمعية الوطنية. لكن غي موليه المناور البارع، عرف كيف يستبعد منافسه، وكلفه رئيس الجمهورية رينه كوتي بتشكيل الحكومة، مفوتاً الفرصة على فرنسا لتكرار تجربة منديس فرانس. وشكل غي موليه حكومته، فجعل من منديس فرانس وزيراً للدولة من دون حقيبة، أي الرجل الثاني في الحكومة، واختار فرنسوا ميتران ليكون وزيراً للدولة وزيراً للعدل، أي الشخصية الثالثة. ومن الوزراء الآخرين الديغولي شابان دلماس للمحاربين القدامى وكريستيان بينو للخارجية وبورجيس مونوري للدفاع والاشتراكيان غاستون ديفير لما وراء البحار والآن سافاري للشؤون التونسية والمغربية. وفي الجلسة الاولى لمجلس الوزراء، قرّ الرأي على أن يتوجه رئيس الوزراء غي موليه الى الجزائر لينصّب الحاكم الجديد، الجنرال كاترو[17]، وليطّلع على الاوضاع بنفسه. وكان ان استقبله الفرنسيون المقيمون في الجزائر بتظاهرة عنيفة، ورشقوه بالبندورة المهترئة وبالحجارة، مطالبين باستبدال الحاكم الجديد كاترو رجل الحوار والانفتاح على العرب والحضارة العربية، بحاكم آخر لا يرى غير الحرب طريقاً للحوار والتفاوض مع الثوار. وبدلاً من أن يقف غي موليه، كما يجدر بكل رئيس حكومة يليق بهذا المقام، أن يقف، وبدلاً من أن يرفض الاذعان للشارع، إذا به يستسلم وينهار ويعين روبير لاكوست بدلاً من كاترو حاكماً للجزائر.

١٧- الجنرال كاترو (١٨٧٧-١٩٦٩) من اوائل المنضمين الى حركة الجنرال ديغول عام ١٩٤٠، معروف بانفتاحه على الحضارة العربية. قاد المفاوضات التي ادت الى استقلال لبنان وسوريا

فكانت ضربة قاضية لهيبته كرئيس للحكومة وقاسية للوطنيين والثوار الجزائريين. وبادر لاكوست فوراً الى طلب مزيد من قوات الجيش وإلى تصعيد الحرب. وسيبلغ عدد القوات الفرنسية المقاتلة في الجزائر في أيام غي موليه (وفرنسوا ميتران) ... ٤٠٠ الف جندي. وفي عهده ايضاً، بدأ التعذيب في السجون وأخْذ الرهائن والانتقام الجماعي في القرى والارياف. وهكذا تكون الشعبة الفرنسية للأممية العمالية، متمثلة بشخص أمينها العام، قد تخلت عن كل معتقداتها. وبينما كان غي موليه الاشتراكي يرسل العساكر الى الجزائر، كان منديس فرانس يحتج على هذه السياسة. وبعد مضي ثلاثة أشهر فقط على تشكيل الحكومة، قدم منديس فرانس استقالته، وكتب في خطاب الاستقالة يقول: «كل سياسة تتجاهل مشاعر الشعب الجزائري ومآسيه، ستؤدي، شيئاً فشيئاً الى خسارة الشعب الجزائري أولاً ثم الى خسارة الجزائر. كما ستؤدي، لا محالة، الى خسارة افريقيا كلها. هذه هي سياسة التخلي»[١٨]. ولم يستقل فرنسوا ميتران، بل أصبح الشخصية الثانية في الحكومة.

مسلسل التناقضات الاشتراكية، اثناء حكومة غي موليه، طويل. وسنقتصر على قضيتين اخريين، ترتبطان ارتباطاً مباشراً بالثورة الجزائرية.

في الثاني والعشرين من اكتوبر /تشرين الاول ١٩٥٦، اعترضت الطائرات الفرنسية طائرة مغربية تقل ابرز زعماء الثورة الجزائرية في طريقهم من الرباط الى تونس، وأرغمتها على النزول في الجزائر. كان على متن الطائرة أحمد بن بللا ومحمد بوضياف وحسين آيت احمد ومحمد خيضر. لا يمكن وصف هذه العملية الا

١٨- جان لاكوتور: منديس فرانس- ١٩٨١.

بانها قرصنة جوية. وهكذا فهمها الوزير الاشتراكي الان سافاري الذي رمى باستقالته في وجه غي موليه، لأنه رفض ادانة العملية والإفراج عن المعتقلين. وأضاف سافاري الى وصف القرصنة بأنها «لصوصية»[١٩]. وبلعها فرنسوا ميتران، وان على مضض كما ذكرنا آنفاً.

القضية الثانية، وهي أخطر بكثير من الاولى، هي العدوان الثلاثي على مصر، وقد كان غي موليه وكبار معاونيه ووزرائه، ومن بينهم فرنسوا ميتران، المخططين الرئيسيين لها، وهم الذين جروا الانكليز للاشتراك معهم. ولن نستفيض في ذكر هذه **«العملية الهستيرية التي يحق لأي انسان يتمتع بذرة من العقل ان يتساءل كيف تمكن رجال مسؤولون من أن يحلموا بها وأن يُعدوا لها العدة وأن يبادروا الى تنفيذها»**[٢٠]، ولقد بلغ التناقض بغي موليه حداً أجاز لنفسه الاستشهاد بكارل ماركس لتبرير عدوانه على مصر، في حين ان حكومته كانت من **«الوضاعة بحيث انها ضاعفت أخطار الوضع في الجزائر... وارسلت الجيش ليَقتُل ويُقتَل، واندفعت في عملية السويس المجنونة... وباختصار، أضاعت الجمهورية الرابعة وشيئاً من شرف فرنسا»**[٢١].

لم يكن بوسع الاشتراكيين الاستمرار بالسكوت امام هذا الانحلال في «شعبتهم» فبدأوا ينسحبون منها، سيّما وان غي موليه كان يسيطر عليها سيطرة تامة، بحيث لم يكن بالامكان عمل أي شيء من الداخل. فبدأ التفتت والتشرذم. وقامت الفرق والاحزاب الاشتراكية الصغيرة، التي كان يجب أن تكون الشعبة

١٩ـ المصدر نفسه.

٢٠ـ المصدر نفسه.

٢١ـ سرى ديجاردين: «فرانسوا ميتران ـ اشتراكي ديغولي النزعة».

اطارها الطبيعي وملجأها الامين. فتأسس حزب اتحاد اليسار الاشتراكـي (جيـل مـارتينـه ـ ١٩٥٧) ثم الحزب الاشتراكـي المستقل (آلان سافاري ـ ١٩٥٨) الذي انشق عن الشعبة بعد عودة ديغول الى الحكم وتأييد غي موليه له. ثم تأسس الحزب الاشتراكي الموحد (عام ١٩٦٠) الذي تألف من اتحاد اليسار الموحد والحزب الاشتراكي المستقل و«المنبر الشيوعي» المنشق عن الحزب الشيوعي بقيادة جان بوبرن. وفي عام ١٩٦٤، حاول غاستون ديفير جمع شمل اليسار غير الشيوعي في اتحاد واحد، لكن تجربته باءت بالفشل. وفي العام التالي، تمكن فرنسوا ميتران من أن يوحد اليسار، بما فيه الحزب الشيوعي، وراء اسمه كمرشح ضد الجنرال ديغول لرئاسة الجمهورية. وبرغم فشله فقد اجمع المراقبون السياسيون من كل الاطراف على القول انه حقق نجاحاً كبيراً بمنعه الجنرال ديغول من الفوز منذ الدورة الاولى، ثم بحصوله على أكثر من ٤٤ بالمئة من الاصوات في الدورة الثانية. وقد أدرك فرنسوا ميتران منذ ذلك الحين انه لن يكون بوسع اليسار أن ينتصر الا بشرطيين: الاول توحيد صفوف الاسرة اليسارية غير الشيوعية في تنظيم واحد، والثاني ان يتفق هذا التنظيم «القوي» مع الحزب الشيوعي على برنامج حكم مشترك. وانطلق يعمل على هذا الاساس. الا ان احداث مايو/ايار ١٩٦٨، أعاقت تحقيق هذا الهدف. وزاد في العرقلة ان ميتران اخطأ في حساباته وفي المناورة، وتسرع باعلان الفراغ في الحكم وبترشيح نفسه للرئاسة. وعندما فرغ منصب الرئاسة بالفعل، بعد استقالة الجنرال ديغول عام ١٩٦٩، كان ميتران لا يزال يعاني من آثار سوء تقديره لأحداث مايو /ايار، فلم ينجح في توحيد كلمة اليسار على اسمه. وترشح غاستون ديفير عن الشعبة، فلم يجمع الا ٥،٠٧ بالمئة من الاصوات، وهي ادنى نسبة أصوات تسجلها

الشعبة في تاريخها، حتى بعد الانشقاق الكبير عام ١٩٢٠.
أمام هذا التردّي الكبير، لم يكن بد من الاتحاد.

جرت المحاولة الاولى في مايو / ايار في مؤتمر الفورفيل عام ١٩٦٩، ولكنها لم تتكلل بالنجاح، لأن غي موليه كان يريد الاستمرار في الهيمنة على التنظيم الذي سيولد من هذا الاتحاد. وعاد الاشتراكيون الى بذل محاولة ثانية في سبيل الاتحاد وعقدوا مؤتمراً عاماً في ايسي ليه مولينو في يوليو / تموز من العام نفسه. وعندما تأكَّد ان غي موليه لن يفوز بالامانة العامة، تسهلت الامور، واتفق المؤتمرون، فاختاروا اسماً جديداً يغطي الشعبة وسائر الاحزاب والاندية التي وافقت على الاتحاد، وأصبح الاسم هو «**الحزب الاشتراكي الجديد**»، كما ادخلوا تعديلات كثيرة على النظام الداخلي للحزب وعلى اعلانه المبدئي. واختار المؤتمرون آلان سافاري، اميناً أولاً لهم.

وهذا ما يُعرف بالولادة الثانية للحزب الاشتراكي.

اما الولادة الثالثة فقد جاءت بعد سنتين، لأن كثيرين من الاشتراكيين لم يكونوا قد التحقوا بمؤتمر ايسي ليه مولينو، وبنوع خاص جماعة فرنسوا ميتران. وتقرر أن يُعقد مؤتمر عام لتوحيد الاشتراكيين في ابيني سور سين في حزيران / يونيو من عام ١٩٧١. واستبدل الحزب للمرة الثالثة اسمه، فأصبح «**الحزب الاشتراكي**»، كما استبدل أمينه الاول واختار فرنسوا ميتران بدلاً من آلان سافاري.

وسرعان ما أخذ الحزب ينمو ويستعيد قواه. وانصرف فرنسوا ميتران الى تحقيق الشرط الثاني، وفتح باب التفاوض مع الحزب الشيوعي من أجل التوصل إلى برنامج مشترك للحكم. فكان له ذلك في صيف ١٩٧٢. وانضم حزب الراديكاليين

اليساريين الى الحزبين الشيوعي والاشتراكي لتوقيع برنامج الحكم المشترك. وفي العام التالي، جرت الانتخابات النيابية، فحصل الحزب على ١٩،٣ بالمئة من الأصوات، وعاد ليحتل مكانه كأحد أكبر الاحزاب الفرنسية، والحزب الثاني في اليسار بعد الحزب الشيوعي بانتظار أن يصير الحزب الاكبر.

وكان لفرنسوا ميتران موعد ثانٍ مع الانتخابات الرئاسية، بعد وفاة جورج بومبيدو في عام ١٩٧٤. وخسّر أمام جيسكار ديستان باقل من نصف واحد بالمئة (٠،٥ بالمئة) من الأصوات. في السنة ذاتها، ترك ميشيل روكار الحزب الاشتراكي الموحد لينضم الى الحزب الاشتراكي مع عدد كبير من اصدقائه. وأخذ الحزب يستعد للفوز بالانتخابات النيابية في عام ١٩٧٨. وزاد من أمله بالفوز انه سجل تقدماً بارزاً في الانتخابات القضائية والبلدية التي جرت في عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧، فبات الحزب الاول في اليسار. كما ان «اتحاد اليسار» حصل على الاكثرية المطلقة من أصوات الناخبين الفرنسيين، وأصبحت الاكثرية الحاكمة غير منسجمة مع الاكثرية في البلاد.

ويبدو ان الحزب الشيوعي لم يكن يتوقع مثل هذا التطور، وأخذ يعمل لاعادة «توازن» اتحاد اليسار لمصلحته، بحيث يبقى الحزب اليساري الاول في فرنسا. وظلت الخلافات تتصاعد بين الشركاء الثلاثة في اتحاد اليسار، الى حين اعلان حله في نهاية فشل مفاوضات تجديد برنامج الحكم المشترك، في عام ١٩٧٧.

ومرة ثانية، أخطأ الحزب الشيوعي في تحليله، إذ جاءت الانتخابات النيابية، في العام التالي لتؤكد استمرار تقدم الحزب الاشتراكي وتراجع الحزب الشيوعي. وبدلاً من أن يستفيد من الدرس، راح الحزب الشيوعي يصعّد حملاته على فرنسوا ميتران شخصياً وعلى الحزب الاشتراكي، متهماً اياه بالانعطاف نحو

اليمين، الخ . . . وظل يزايد ويُهرّج ويُخوّف، الى أن جاءت نتائج الدورة الاولى لانتخابات الرئاسة في عام ١٩٨١ ، لتثبت انه اخطأ للمرة الثالثة، ثم كان ما كان. وانتخب فرنسوا ميتران رئيساً للجمهورية . ثم فاز الحزب الاشتراكي بالاكثرية المطلقة في الجمعية الوطنية، وهي المرة الثانية في تاريخ الحياة النيابية في فرنسا ، التي يحصل فيها حزب واحد على الاكثرية المطلقة من النواب .

٢ـ أيديولوجيا الحزب الاشتراكي

لا نأتي بشيء جديد عندما نقول ان الحزب الاشتراكي حزب له ايديولوجيا، شأنه في ذلك شأن كل الاحزاب اليسارية. لكن هذا لا يعني انه يعمل على تطبيقها في كل مرة يتسلم زمام الحكم. بل انه قد يُنفذ السياسة المناقضة لها تماماً، كما رأينا في اللمحة التاريخية السريعة، دون ان يمنعه ذلك من أن يعلن امتلاك **«حصته من الحقيقة»** التي ترسم له حدود عمله السياسي، والتي تستهوي الجماهير أو تنفّرها فتنضم اليه أو تحاربه.

والحزب الاشتراكي يدّعي لنفسه الثورية. فهو **«حزب ثوري»** لأنه يعمل على استبدال النظام الرأسمالي بنظام آخر تسود فيه الحرية والمساواة والاخاء، وذلك بالطرق الديمقراطية، لأن الحزب **«يعتبر انه لا يمكن أن يكون هناك ديمقراطية فعلية في المجتمع الرأسمالي»**. لكن عدداً من الباحثين السياسيين لا يبادلون الاشتراكيين رأيهم بثورية حزبهم، ويقولون ان الحزب الاشتراكي هو مجرد حزب اصلاحي، وانه نشأ وظل اصلاحياً، وان الاصلاح، لا الثورة، هو جوهر كيانه.

ولا نعتقد ان مثل هذا النقاش العقائدي سيؤدي الى نتيجة حاسمة، أو سينتهي في المستقبل المنظور. واياً كان رأينا بالحزب الاشتراكي، فيمكن القول انه ينهل من مصدرين رئيسيين هما: الماركسية العلمية والثورة الفرنسية. بالاضافة الى تجارب الحزب

على مدى المئة سنة الماضية، والى ما أغناه به من فكر رواد الحزب من أمثال جان جوريس وليون بلوم. كما يمكن القول ان لديه تحليلاً علمياً دقيقاً للنظام الرأسمالي وللمجتمع الوفرة المتولد عنه، ورؤيا واضحة للوسائل والاساليب التي ستغير هذين النظام والمجتمع، واقتناعاً راسخاً بانه يجسّد التعبير الجماهيري عن الامل بالتغيير.

اما المبادىء الاساسية لهذه الايديولوجيا فقد ضمنها الحزب في «اعلان المبادىء» الذي يشترط على كل منتسب اليه الأخذ بها كلها، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

الحزب الاشتراكي حزب ثوري يعمل على استبدال النظام الرأسمالي بالطرق الديمقراطية، لأنه يعتبر ان الديمقراطية الفعلية لا يمكن أن تسود في المجتمع الرأسمالي. ويؤكد الحزب ان الملكية الخاصة هي حق من حقوق كل مواطن، وانه لا يتدخل بالمعتقدات الفلسفية والدينية، ويضع الحزب المصلحة العامة والمشتركة قبل الربح الخاص. ويدعو الى تأميم وحيازة وسائل الانتاج والتبادل، باعتبار انها أساس السلطة. ويعلن ضرورة استبدال ايديولوجيا الطبقة المسيطرة بايديولوجيا اشتراكية، تضمن ممارسة كل الحريات الديمقراطية ووسائل التعبير عنها.

ويؤكد الحزب الاشتراكي انه حزب قومي وأممي في الوقت نفسه، وانه يسعى ويناضل من أجل السلام، المهدد من قبل الرأسمالية والامبريالية، وانه منفتح على الاشكال الحديثة للفكر والمعرفة. ويرى الحزب ضرورة انخراط الجماهير في الاعمال والممارسات، وان تنظّم نفسها لأن مسألة تحررها هي مهمة لا يضطلع بها احد سواها.

ويعبر اعلان المبادىء بوضوح كلي عن ارادة الحزب

الاشتراكي ان يكون حزب العمال، وأن يكون محور تنظيمهم وعملهم من أجل القضاء على الاستغلال الذي يتعرضون له، وعلى التمزق الطبقي.

اعــلان البــادئ[22]

يهدف الحزب الاشتراكي الى تحرير الفرد الانساني من جميع الاستلابات التي تقهره، كي يضمن بالتالي للرجال والنساء والاطفال ممارسة حرة لحقوقهم، وتفتحاً تاماً لطاقاتهم الطبيعية، ضمن مجتمع مبني على المساواة والاخاء وضمن احترام واجباتهم تجاه الجماعة.

يضم الحزب الاشتراكي اذن، دونما تمييز مبني على المعتقدات الفلسفية او الدينية، جميع الذين يؤدون عملاً ذهنياً أو يدوياً، مدنيّين كانوا أم ريفيين، ممن يتبنون المثال الاشتراكي ومبادئه.

ويؤكد الحزب الاشتراكي اقتناعه بأن تحرير الانسان لا يتوقف فقط على الاعتراف الشكلي بعدد معين من الحقوق السياسية أو الاجتماعية، بل يتوقف ايضاً على تحقيق الشروط الاقتصادية التي من شأنها أن تمكنه من ممارسة هذه الحقوق ممارسة تامة. ولأن الاشتراكيين ديمقراطيون اقحاح، فهم يعتبرون انه لا يمكن أن يكون هناك ديمقراطية فعلية في المجتمع الرأسمالي. وفي هذا السياق يمكن القول ان الحزب الاشتراكي هو حزب ثوري.

تضع الاشتراكية نصب اعينها المصلحة المشتركة، لا الربح الخاص. ويشكل «التشريك» التدريجي لوسائل الاستثمار والانتاج

٢٢- ترجمه حسن قبيسي.

والتبادل القاعدة الاساسية التي لا غنى عنها لتحقيق المصلحة المشتركة. والواقع ان الديمقراطية الاقتصادية هي الطابع الخاص الذي تتميز به الاشتراكية.

غير ان هدف النضالات لا يتعلق فقط بتملك وسائل الانتاج، بل يتعلق ايضاً بالسلطات الديمقراطية التي تتناول التسيير والادارة والاشراف واتخاذ القرار. ان الاشتراكية تستوجب تنمية مجتمع الوفرة وضبطه، وازالة التبذير المتولّد من الرأسمالية.

ولكي يتحرّر الانسان من الاستلابات التي تفرضها الرأسمالية عليه، لكي يخرج عن طوق الشروط التي تمليها عليه الاشكال الجديدة لهذه الرأسمالية فتحوله الى شيء من الاشياء، ولكي يصبح منتجاً، ومستهلكاً، وطالباً ومواطناً حراً، عليه أن يضطلع بالمسؤولية في نطاق المؤسسات والجامعات، كاضطلاعه بها ضمن نطاق الجماعات والهيئات الجماعية على كافة المستويات.

إن نظام الحكم الاشتراكي هو وحده الكفيل بأن يحلّ المشكلة التي تطرحها سيطرة الاقليات، وراثية كانت أو منتخبة، عندما تعتمد على التكنوقراطية أو البيروقراطية، وتمضي في تركيز الارباح وسلطات اتخاذ القرار في ايديها، باسم ثرواتها المكتسبة، أو باسم مولدها ومنشئها، أو باسم تمرسها التقني.

إن الحزب الاشتراكي يقترح على العاملين ان ينظموا انفسهم في سبيل العمل. إذ ان تحرّر العاملين مهمة يضطلع بها العاملون انفسهم. وهو يدعوهم لأن يعوا كونهم أكثرية المجتمع. وان بوسعهم بالتالي أن يقضوا بصورة ديمقراطية على الاستغلال ـ ومن ثم على الطبقات ـ بأن يعيدوا للمجتمع وسائل الانتاج والتبادل، التي تظل حيازتها في نهاية التحليل، أساس السلطة ودعامتها الرئيسية.

والحزب الاشتراكي لا يعتبر وحسب، ان حق كل امرىء في حيازة ممتلكاته الخاصة والدائمة التي جناها عن طريق عمله، أو الادوات التي يستخدمها في نتاجه، مسألة لا جدال فيها، بل يضمن لكل امرىء ممارسة هذا الحق. وهو يرى، بالمقابل، أن تستبدل الملكية الرأسمالية، تدريجياً، بالملكية الاجتماعية التي قد تتخذ اشكالاً عديدة والتي ينبغي للعاملين أن يتهيأوا لتسيير أمورها.

كما ينبغي أن يكون اضفاء الديمقراطية على المجتمع، اقتصادياً وسياسيا، مصحوباً باشكال ثقافية جديدة لتحل محل ايديولوجيا الطبقة المسيطرة. وعلى هذه الاشكال الجديدة أن تكون متحررة من جميع الاستلابات الفكرية أو التجارية، وأن تساعد على استقلال العمل الابداعي استقلالاً مادياً ومعنوياً.

إن الحزب الاشتراكي ديمقراطي في جوهره، لأن جميع حقوق الفرد الانساني وجميع أشكال الحرية تشكل وحدة لا انفصام فيها. فالحريات الديمقراطية ووسائل التعبير عنها التي تشكل العنصر الضروري لكل نظام اشتراكي، ينبغي أن تتحسّن وتتوسع بالقياس على ما هي عليه الآن، حتى يتمكن العاملون من تحويل المجتمع بصورة تدريجية.

لهذا يؤكد الحزب الاشتراكي عزمه على توفير جميع الشروط الاساسية الكفيلة باقامة نظام ديمقراطي: الاستفتاء العام، التربية والتعليم، الثقافة والاعلام المنظم تنظيماً ديمقراطياً، فضلاً عن احترام حرية الضمير واحترام علمنة المدرسة والدولة.

إن استعمال الاصلاحات ينطوي على وعي المرء لقيمتها ولحدودها. والحزب الاشتراكي على علم بالقيمة الكاملة للاصلاحات التي عملت حتى الآن على التخفيف من بؤس البشر.

كما أدت بالنسبة للكثيرين منهم الى رفع طاقاتهم الثورية. لكنه يحرص على تنبيه العاملين الى أن التحول الاشتراكي لا يمكن أن يكون نتاجاً طبيعياً أو محصلة نهائية للاصلاحات التي تصحح مؤثرات الرأسمالية ومفاعيلها. فالمسالة ليست مسألة اصلاح نظام معين أو اعادة تنظيمه، بل هي مسألة استبدال نظام بنظام آخر.

يعتبر الحزب الاشتراكي ان عملية البناء الدائم للمجتمع الاشتراكي تمرّ عبر الطريق الديمقراطي: فالجمع بين مختلف الامكانات الديمقراطية، من سياسية ونقابية، هو الذي من شأنه أن يولّد ظروف الانتقال من نظام حكم إلى آخر. من هذا المنظور، ترى الحركة الاشتراكية ضرورة انخراط الجماهير بالاعمال التي يُقام بها وضرورة موافقتها عليها. كما ترى ان على مناضلي هذه الحركة أن يعملوا باستمرار على تبديل موازين القوى التي تفرضها الآن الطبقة المسيطرة، متوسلين الى ذلك كافة السبل الديمقراطية.

الحزب الاشتراكي حزب قومي وأممي في نفس الوقت.

فهو حزب قومي لأنه لا وجود لانسان حرّ في أمة مستعبدة أو خاضعة لغيرها، حيث تأتي سيطرة احدى القوى الاجنبية للتضافر مع السيطرة التي تمارسها الرأسمالية القومية، ولأن لكل بلد من البلدان أن يتمتع بالقدرة على بلورة نموذجه الاشتراكي بحرية.

وهو حزب أممي لأن الوطن ليس الا جزءاً من البشرية جمعاء. لأن الاشتراكية لا يمكن أن تتحقق في جو من العزلة. ولأن العلاقات بين الشعوب قد اتخذت طابعاً شاملاً عالمياً. ولأن الاشتراكية لا يسعها أن تقبل بالتمييزات الناجمة عن اللون أو العرق أو الحدود أو درجة النمو، بل تقتضي أن يكون هناك

تضامن نشيط بين الامم الغنية والأمم الفقيرة، وحيال الشعوب المحرومة من حق ادارة شؤونها الخاصة بصورة ديمقراطية.

بالتالي، فالحزب الاشتراكي يساهم في توسيع وتدعيم منظمة الاشتراكيين الأممية. وهو سيناضل من أجل احلال السلام المهدّد من قبل الرأسمالية والامبريالية والاستعمار، ومن أجل الحفاظ عليه. كما انه سيعمل، في هذا السبيل، على انشاء علاقات جديدة مع الامم، مبنية على وجود منظمة دولية ذات سلطات فعلية، تتناول التحكيم ونزع السلاح بصورة معممة ومراقبة وانشاء قوة دولية وهيئات دولية عليا.

إن الحزب الاشتراكي حزب منفتح على الاشكال الحديثة للفكر والمعرفة.

لذلك فإن على جميع العاملين في هذه المجالات والذين يريدون خدمة المثل الاعلى الاشتراكي أن ينضموا الى ركبه ليعززوا جهوده حول البحث وعمله في هذا السبيل.

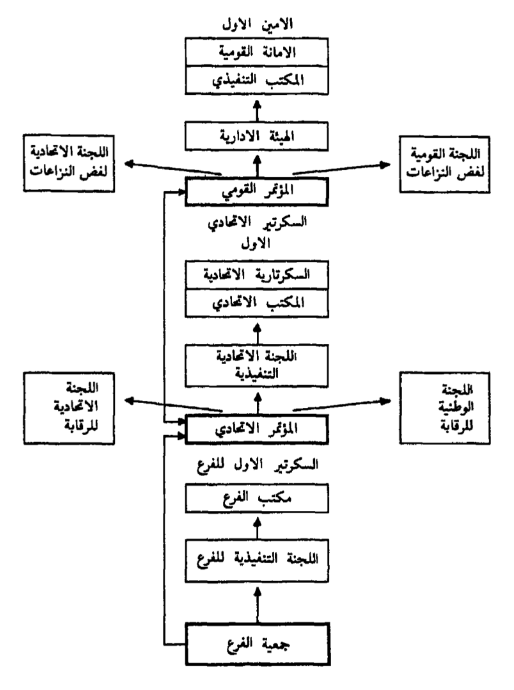
تجاه التغيرات الدائمة في المجتمع، وحيال التسارع في التقدم التقني، وأمام الاخطار التي قد يسلّطها على الانسان سوء استعماله للاكتشافات الحديثة (في مجال العلوم الذرية مثلاً، أو في ميادين البيولوجيا أو علوم النفس الاجتماعية) يصبح من واجب الاشتراكيين أن يعملوا على انشاء توافق دائم بين المجتمع في حركيّته والنشاط المتلائم مع المبادىء الاشتراكية الدائمة.

٣ - هيكلية الحزب الاشتراكي ومؤسساته الرئيسية

نظام الحزب الاشتراكي يجعل منه حزباً جماهيرياً يسعى ويأمل في أن تنطوي تحت لوائه اعداد كبيرة من العمال، وأن يكونوا منضبطين ونظاميين، توصلاً لتحقيق اهدافهم. ويمنع هذا النظام اعضاء الحزب من الانتماء المزدوج. ويفرض عليهم بالمقابل الانتساب الى النقابات، كل في ميدان عمله، كما يفرض عليهم تسديد الاشتراكات. وبموجب هذا النظام، يتعهد كل مرشح باسم الحزب بأن يتخلى عن المركز التمثيلي الذي يفوز به في حال اختلافه مع الحزب وتركه صفوفه. كما يلتزم النواب بالخضوع لمقررات الحزب وعدم مخالفة توصياته بشأن التصويت داخل الجمعية الوطنية. ولا يخرج الصحافيون الاشتراكيون عن قاعدة الانضباط هذه.

ويتبين من قراءة هذه الاحكام ان الحزب الاشتراكي يحرص على ان تظل السلطة المركزية في الحزب مُمسِكة بزمام الامور على كل المستويات. وبرغم جماهيريته والروح الديمقراطية التي تسود اعماله واجتماعاته ومناقشاته، وبرغم الالفة التي يحرص القياديون بنوع خاص على وضعها في مخاطبتهم الرفاق، فإن الحزب الاشتراكي يظل حزباً هرمياً، لا يخرج عن قاعدة التسلسل في الرتب والوظائف والمهمات ويبرز هذا التنظيم الهرمي في هيكلية الحزب وفي مختلف الهيئات والمؤسسات.

هيكلية الحزب



ليس هناك نص يحدد عدد اعضائها، لذلك تراوحت بين ١٥ اميناً قومياً اثناء ولاية فرنسوا ميتران و ١٢ أميناً قومياً الآن. عملياً، يختارهم الامين الاول باعتبار انهم سيكونون، رسمياً، أقرب المتعاونين معه. وقد تجددت الامانة القومية كلها تقريباً، بعد فوز فرنسوا ميتران لأن العدد الأكبر من اعضائها صاروا وزراء.

اجتماعات الامانة القومية اسبوعية وبرئاسة الامين الاول (ليونيل جوسبن) وقد اختارت بعد ظهر الاربعاء من كل اسبوع موعداً لهذه الجلسة. ويرى مراقبون فرنسيون في هذا الاختيار ارادة واضحة في تأكيد دور «حكومة الظل»، باعتبار ان مجلس الوزراء يعقد اجتماعاته قبل ظهر الاربعاء. فاذا لزم الأمر، تستطيع الامانة القومية ان ترد على بيانه بأسرع وقت ممكن. فهل تستمر الامانة على هذا التقليد، بعد أن خرجت من «الظل» لتحتل قصر الاليزيه؟ وهل يأتي يوم تجد فيه الامانة القومية للحزب الاشتراكي نفسها مضطرة للرد على بيان حكومي صادر عن جلسة برئاسة فرنسوا ميتران، زعيمها السابق؟ لا يزال الوقت باكراً للرد على هذا السؤال. لكن الامين الاول ليونيل جوسبن يؤكد لمن يريد أن يسمعه انه لن يتردد في توجيه الانتقاد.... إذا كان هناك شيء تُنتقد الحكومة عليه.

عشية انعقاد الجلسة، تتصل السكرتيرة (موظفة) بالامناء فرداً فرداً، وتسألهم عن القضايا التي يتمنون ادراجها على جدول الاعمال. وقد يتصل بها مسؤولون في الحزب، من خارج الامانة، معربين عن رغبتهم بادراج موضوع معين على هذا الجدول، أو عن الاشتراك في مناقشة الموضوع. وبعد أن تنتهي من وضع جدول الاعمال، ترفعه إلى الامين الاول، الذي يوافق أو لا يوافق. فرنسوا ميْتران لم يكن يشترك دائماً في الجلسة، وكان يتعمد أحياناً ترك رئاستها للرجل الثاني في الحزب، آنذاك، بيار مورروا. ولكنه كان يظل حاضراً في المبنى، حتى اذا احتدم النقاش أو ظهر خلاف شديد، لجأوا اليه للتحكيم والفصل.

ولا تستغرق الجلسة عادة أكثر من ساعتين، وتتبعها على الفور جلسة المكتب التنفيذي.

هذه الهيئة، على أهميتها القصوى في تسيير الحزب وتقرير سياسته، تكاد لا تكون هيئة رسمية ولا يوجد في النظام الداخلي للحزب نص مكرس لها، وقد وردت عرضاً في المادة ٣٩ المتعلقة بانتخاب المكتب التنفيذي. وبرغم ذلك، فإن الامانة القومية هي بنظر كل اشتراكي، قدس الاقداس ومحط الانظار، ومهوى القلوب. لأن الوصول اليها يعني انفتاح الباب العريض أمام احتمالات الحصول على حقيبة وزارية، بالاضافة الى امكانية التأثير على مجرى الاحداث داخل الحزب.

يتم اختيار الامناء القوميين من داخل المكتب التنفيذي، والامانة القومية هي التي تحدد جدول اعمال المكتب التنفيذي.

وفيما يلي اسماء الامناء القوميين بحسب تسلسل مراكزهم، والشؤون المسؤولين عنها:

ليونيل جوسبن	الامين الاول
جان بوبرين	العلاقات الخارجية، الانتخابات وفض النزاعات

بول كيليس	التنظيم والاتحادات
فيرونيك نييرتس	نضال المرأة، مكلفة بالقطاع الدولي
جيرار دلفو	التدريب والاعداد
جان برونتو	الدراسات
كريستيان مورا	الاتصالات والدعاية
كلود جيرمون	المؤسسات
ميشيل شارزا	القطاع العام، الخدمة العامة، التأميم
بيار غويدوني	المجموعات والهيئات المحلية
ديديه موتشان	

الامناء القوميون المساعدون.

برتران ديلانو	الصحافة
آن تريفويه	المؤسسات
جان بيس	المؤسسات
آلان بونيل	القطاع العام
غي بيش	الشباب

تنص المادة ٤٠ من النظام الاساسي للحرب على أن:**يؤمن المكتب التنفيذي قيادة الحزب وادارة شؤونه في اطار الصلاحيات والمهمات التي توكلها اليه الهيئة الادارية، كما يتولى في الشروط ذاتها، تسوية وتصريف المسائل التي تحيلها اليه الهيئة الادارية.**

وبتعبير آخر، فالمكتب التنفيذي هو السلطة الفعلية في الحزب. فهو يضم الامناء القوميين. بالاضافة إلى ١٦ شخصية اشتراكية أخرى. وإذا أردنا المقارنة والتشبيه، لامكن القول ان المكتب التنفيذي هو «الحكومة»، أو «المكتب السياسي» في الحزب الشيوعي. فهو الذي يرسم سياسة الحزب، في ضوء مقررات وتوجيهات المؤتمرات القومية، وهو الذي يضع الخطط لتحقيق هذه السياسة، ويعقد التحالفات ويتخذ القرارات التي تُلزم الحزب.

الهيئة الادارية هي التي تنتخب أعضاء المكتب التنفيذي انتخاباً ديمقراطياً، لكن الامين الاول يلعب دوراً حاسماً في «انتخاب» الاعضاء الذين يتمنى التعاون معهم، وفي «تفشيل» من يريد ابعادهم. الا ان فرنسوا ميتران لم يُفرط كثيراً بتأثيره، وكان يحرص دائماً على أن تتمثل مختلف التيارات في هذا المكتب، حتى المنافسة له شخصياً. وما اعادة انتخاب ميشال روكار كعضو في

المكتب التنفيذي وأمين قومي، برغم اعلانه الواضح عن عزمه على ترشيح نفسه للرئاسة ومنافسة ميتران، سوى دليل آخر على ذلك.

وفيما يلي اسماء اعضاء المكتب التنفيذي، بمن فيهم الامناء القوميون:

التيار ـ أ: جان بول باشي، آلان بونيل، جيرار دلفو، كلود جرمون، ليونيل جوسبن، اندريه لينيل، كريستيان مورا، فيرونيك نيرتس، ميشيل بيزيه، جان بوبرن، جان برونتو، بول كيليس آن تريفويه.

رديف: غي بيش، برتران ديلانو، ايف دوران، فرانسواز سيليغمان، لوك سوبريه، كلود فيلكن.

التيار ـ ب: برنار ديروزيه، روجيه فاجاردي، دانيال برشرون، ماري جو بونتيون، مارتين بورون، جان كلود روتيه.

التيار ـ ج: بيار برانا، ايرين شاراماند، روبير شابوي، ميشيل دي لافورنيار، ماري فرانس لوكوير، دومينيك تاديي.

رديف: دانيال فرانشون، جيرار فوش، ماري نوال لينمن.

التيار ـ د: جان بيس، ميشيل شارزا، بيار غويدوني، ديديه موتشان.

رديف: آنيت شيبي، ميشيل كوفينو

الهيئة الادارية في النظام الاساسي:

المادة ٣٢ تتولى الهيئة الادارية قيادة الحزب وادارة شؤونه، تحت مراقبة واشراف الجمعية القومية.

المادة ٣٣ تنفذ الهيئة الادارية وتسهر على تنفيذ مقررات المؤتمرات القومية والأممية ومقررات الجمعية القومية. وتتخذ اللجنة كل التدابير، بما فيها التدابير الاستثنائية، التي تحتمها الظروف والاوضاع.

وهي مسؤولة عن الدعاية: تشرف على المناضلين والمنتخَبين وعلى صحافة الحزب، تعين المدير السياسي وأعضاء مجلس ادارة الجريدة المركزية الناطقة باسم الحزب. وتختار أكثرية هؤلاء من بين أعضائها.

تسهر على حسن استعمال الوسائل التي لدى الحزب لضمان نموه وتوسعه، وبنوع خاص في المجالات التي يكون وجوده فيها ضعيفاً.

تعين لجنة لادارة «الدراسات الاشتراكية»، وتكون هذه اللجنة مسؤولة تجاهها..

في اطار دعم الدعاية والاعلام والتربية الاشتراكية، تنظم الهيئة الادارية الاجتماعات والمهرجانات في المناطق والاقاليم بمساهمة

وحضور أعضاء منها ومن البرلمانيين الاشتراكيين.

المادة ٣٤: تتألف الهيئة الادارية من ١٣١ عضواً أصيلاً ومن ٢٦ رديفاً، ويتم انتخابهم جميعاً وفقاً للشروط المنصوص عليها في المادة ٥، لمدة سنتين. كما تضم مندوبيْن قوميين اثنين، ولكل من الهيئات المنصوص عليها في المواد ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، صوت استشاري. (هذه الهيئات، هي، بشكل عام، حركة الشبيبة الاشتراكية، والمجموعة الاشتراكية الجامعية، والهيئات والنوادي التي يشكلها الحزب).

يحضر رئيس اللجنة القومية للرقابة ورئيس اللجنة القومية لفض النزاعات، اجتماعات الهيئة الادارية، ويكون لهما فيها صوت استشاري.

المادة ٣٥: تجتمع الهيئة الادارية مرة كل شهرين، وفي كل مرة ترى ضرورة لذلك.

المادة ٣٦: تعد الهيئة الادارية التقارير التي ترفع كل سنتين الى المؤتمر القومي. وتنشر هذه التقارير وترسلها الى الفروع والاتحادات قبل ستة اسابيع على الأقل من تاريخ افتتاح المؤتمر.

المادة ٣٧: تجتمع الهيئة الادارية والمجموعة البرلمانية للتداول والاقتراع معاً في كل مرة تطلب ذلك الهيئة الادارية أو المجموعة البرلمانية.

المادة ٣٨: كل قرار تتخذه وتصوت عليه الهيئتان المجتمعتان بالاكثرية البسيطة، يصبح نافذ المفعول فوراً. وفي حال عدم توفر هذه الشروط، تضع الهيئة الادارية يدها على المسألة وتتخذ بشأنها قراراً بالاكثرية المطلقة.

المادة ٣٩: تنتخب الهيئة الادارية من بين اعضائها مكتباً يتألف

من ٢٧ عضواً، منهم الأمين الاول، الناطق الرسمي باسم الحزب والمكلف بالتنسيق والتنشيط، والمسؤولون عن مختلف قطاعات العمل والنشاط، والذين تتألف منهم الامانة العامة الجماعية للحزب. ان أمانة التنظيم هي مهمة جماعية.

فالهيئة الادارية هي أقرب ما تكون الى «السلطة التشريعية» أو إلى «اللجنة المركزية» في الحزب الشيوعي. واعضاؤها منتخبون من قبل القاعدة. وتتمثل فيها كل اتجاهات وتيارات الحزب. وبطبيعة الحال، فالتيار الاقوى هو الذي يفوز بمنصب الامين الاول وبالعدد الاكبر من مناصب الامناء القوميين وسائر اعضاء المكتب التنفيذي. ويتمثل تيار الاقلية بنسبة ما يحصل عليه من أصوات.

ينص نظام الحزب على ان أعضاء الحزب، أي القاعدة، هم الذين يختارون المرشحين الذين يخوضون المعارك الانتخابية باسم الحزب على مختلف المستويات: النواب، الشيوخ، رؤساء وأعضاء المجالس البلدية... لكن الهيئة الادارية تلعب دوراً رئيسياً في تعيين هؤلاء المرشحين، لا سيما الذين يخوضون المعارك النيابية، نظراً لأهمية هذه الانتخابات. فهي التي تحدد الاجراءات والطرق التي يجب أن تلجأ اليها الفروع والاتحادات في مختلف الدوائر الانتخابية لاختيار المرشح العتيد. كما ان الترشيح لا يصبح نهائياً الا بعد موافقة الجمعية القومية التي تسيطر عليها، عملياً الهيئة الادارية. وليس المقصود من هذا القول ان الهيئة الادارية «تتلاعب» بارادة الفروع والاتحادات، انما نحاول ان نفسر بعض العمليات الانتخابية التي تثير الدهشة، كأن يرشح الحزب عن منطقة ما شخصاً ليس من هذه المنطقة ولا يسكن فيها، ولا يمارس فيها نشاطاً معروفاً. والامثلة على ذلك كثيرة: جورج فيو،

نائب منطقة دروم في الجنوب، باريسي، واديت كريستون بورجوازية باريسية رشحها الحزب عن مدينة شاتلرو، وشارل هرنو، نائب مدينة فيلوربان اليوم، كان نائباً عن دائرة السين (ضواحي باريس) عام ١٩٥٦ . . .

ومن مهمات الهيئة الادارية ايضاً، الاشراف على تقيد النواب الاشتراكيين بنظام الحزب وامتثالهم لتعليماته وتوصياته، لا سيما فيما يختص بالتصويت على الثقة بالحكومة أو بحجب الثقة عنها، والاقتراع على القوانين أو ضدها.

تدوم اجتماعات الهيئة الادارية ٤٨ ساعة، ويفد اليها المندوبون الاتحاديون من كل أنحاء فرنسا. والمكتب التنفيذي هو الذي يضع جدول أعمال الاجتماعات. لكنه غالباً ما يكون جدول عمل مثقلاً بالمشاريع والتقارير، ولا تتمكن الهيئة من دراستها أو الاستماع اليها كلها، مما يترك اثراً في نفوس الذين «صعدوا» الى باريس دون ان يتمكنوا من اسماع صوتهم. ولا تنقسم الهيئة الى لجان، بل قد تشكل مجموعات لقراءة بعض التقارير الطويلة والمهمة.

للحزب الاشتراكي، كما لسائر الاحزاب الفرنسية الكبيرة، مجموعة برلمانية تتألف في الواقع من مجموعتين، نظراً لوجود المجلسين في فرنسا: المجموعة الاولى هي مجموعة النواب الاشتراكيين في الجمعية الوطنية، والمجموعة الثانية هي مجموعة الشيوخ الاشتراكيين في مجلس الشيوخ. ويخضع اعضاء المجموعتين لنظام حزبي واحد فيما يختص بالالتزامات والواجبات تجاه الحزب. وقد نص عليها النظام الاساسي بشكل واضح لا يقبل التفسير والتأويل. ويتعرض من يخالف احكامها لعقوبات قد تصل الى الطرد وبالتالي، الى اكراهه ـ ادبياً ـ على تقديم استقالته. وفيما يلي أهم المواد في النظام الاساسي التي تحدد مسلك النواب والشيوخ الاشتراكيين.

المادة ٥١ : كل شخص يرشحه الحزب يقطع على نفسه عهد شرف خطياً بتقديم استقالته إلى رئيس الهيئة التي ينتسب اليها (مجلس النواب، مجلس الشيوخ، مجلس البلدية...) فيما لو ترك الحزب لاي سبب من الاسباب بعد انتخابه.

المادة ٥٢ : ... يخضع النائب أو الشيخ لكل التزامات وواجبات المناضل في فرعه وفي اتحاده. الا ان نشاطه البرلماني وتصويته في البرلمان لا يخضعان الا للمجموعة البرلمانية الاشتراكية، والهيئة الادارية، والجمعية القومية.

المادة ٥٣ : ... النواب والشيوخ الاشتراكيون ملزمون بتسجيل انفسهم في لجان الحزب وفي مجموعات الدراسات التابعة له، التي تتفق مع اللجان والمجموعات البرلمانية التي ينتمون اليها .

المادة ٥٤ : يقبل أعضاء المجموعة البرلمانية الاشتراكية نظام الحزب ويتقيدون بخطته . ويجب عليهم، في كل الظروف والاحوال، أن يتقيدوا بنظام وحدة التصويت في مجموعتهم.

اذا خالف احدهم هذه القاعدة، يحق للهيئة الادارية ان تنفذ بحقه الاحكام المنصوص عليها في المادة ٧٢ .

المادة ٥٥ : يلتزم أعضاء المجموعة الاشتراكية في البرلمان بدفع اشتراك شهري يتولى المؤتمر القومي تحديد قيمته وكيفية توزيعه . ويسلمون امين الصندوق العام في الحزب تفويضاً يخوله ان يقبض هذا الاشتراك مباشرة من صندوق مجلس الشيوخ أو النواب . كما يحدد المؤتمر القومي قيمة الاشتراك الاضافي الذي يدفعه البرلمانيون لاتحاداتهم في دوائرهم الانتخابية .

المادة ٧٢ : الاعضاء المُنتخبون والمجموعات البرلمانية، يخضعون، كأفراد وكهيئات، للهيئة الادارية وللجمعية القومية . والمُنتخَبون الذين يرتكبون مخالفات بحق النظام، تتولى الهيئة الادارية ردعهم وتذكيرهم بمقررات الحزب . كما يحق لها أن تحيلهم امام الجمعية العمومية . بل يصبح من واجبها أن تفعل ذلك اذا كرّر المخالفة... مقررات الجمعية القومية مقررات نهائية .

هذا الوضوح في تحديد مسلكية النواب وسائر المنتخبين لا يقتصر على الاشتراكيين وحدهم . بل انه يعم سائر الاحزاب والتنظيمات السياسية في فرنسا . وربما كان حازماً أكثر في بعض منها . ويتطلب، من النواب خصوصاً، درجة عالية من الوعي السياسي ومن الانضباطية، لأنه قد يحصل أن يتخذ الحزب قراراً

يخالف رأي أحد النواب بشأن الاقتراع الى جانب أو ضد أحد القوانين. وعلى هذا النائب أن يتقيد بقرار الحزب، والا فانه ملزم ادبياً ـ بموجب عهد الشرف الخطي ـ بتقديم استقالته. ولا يجوز هنا التحدث عن «تقييد لحرية النائب»، لأن هذا النائب الذي يعرف سياسة الحزب ـ أي حزب ـ ويعرف برنامجه وتوجهاته الاساسية، لا يحق له ترشيح نفسه على لوائحه، وبالتالي الاستفادة من كل العون المادي والمعنوي الذي يقدمه له الحزب، اذا لم يكن متفقاً معه في الاساس. وهذا «التقييد لحرية النواب»، هو الذي كان يقصده الجنرال ديغول عندما كان ينتقد سياسة الاحزاب، ويقول ان هذه السياسة أدت الى اضعاف فرنسا اثناء الجمهورية الرابعة.

٤ ـ مَن يقود الحزب الاشتراكي

تمتد جذور الحزب الاشتراكي بعيداً في عمق الحركة العمالية الفرنسية والأممية. ويحرص الاشتراكيون على تقديم حزبهم على انه حزب العمال والمدافع العنيد عن مصالحهم، والتعبير المنظم عن أمانيهم وعن تطلعهم الى مجتمع افضل. وينظم الحزب نفسه وجاهيره لتشكل سداً منيعاً في وجه العدو الطبقي المتمثل ـ بطبيعة الحال ـ بالبورجوازية المتحالفة مع الرأسمالية والامبريالية.

هذه الصورة المبسطة والزاهية التي يعطيها الاشتراكيون عن انفسهم لا تنطبق دائماً على الواقع، وتخضع لتقويم اشد دقة ولتعديلات عديدة، لا سيما اذا نظرنا عن قرب الى قياديي الحزب ودوائره العليا وكوادره. فالحزب الاشتراكي هو في الواقع حزب جماهيري عمالي، تزيد نسبة العمال في صفوف المنتسبين اليه عن ٥٧،٧ بالمئة. ولكن الاكثرية الساحقة من القياديين والكوادر العليا تكاد لا تختلف في شيء، من حيث الانتماء الاجتماعي والتربية والمهنة والجنس، عن قيادات الاحزاب الاخرى المسماة بالبورجوازية. ونكاد لا نجد عاملاً واحداً في صفوف قياديي الحزب. كما اننا نادراً ما نجد ممثلاً أو ممثلة للفئات الاجتماعية الاخرى التي درج المجتمع البورجوازي ـ الذي يريد ويعمل الاشتراكيون على تغييره ـ على حرمانها واقصائها عن مواقع المسؤولية، كالنساء والعمال وصغار الموظفين، وصغار الفلاحين...

ولا نريد أن نقول ان الاشتراكيين يُقصون العمال والنساء وصغار الموظفين عن دوائر المسؤولية. بل ان الديمقراطية، العزيزة على قلب كل اشتراكي، هي التي تعزز هذا النوع من التمييز. بل يجب الاعتراف لقيادة الحزب بأنها لجأت الى اتخاذ نوع من التدابير والقرارات «القسرية»، لتصحيح الآثار السيئة التي تتركها البيئة البورجوازية التي يعيش فيها الحزب، على الحزب. وقد اقتصرت هذه التدابير القسرية حتى الآن على تحسين تمثيل النساء في صفوف المسؤولين وعلى لوائح مرشحي الحزب للانتخابات السياسية. وينص النظام الداخلي للحزب، في صيغته الاخيرة المعدلة في مؤتمر نانت (يونيو / حزيران ١٩٧٧) على وجوب تخصيص ١٥ بالمئة على الاقل من مناصب المسؤولية على كل مستويات هيئات الحزب للنساء، وكذلك على وجوب تخصيص ١٠ بالمئة على الاقل للنساء من المرشحين على لوائح الحزب للانتخابات النيابية والبلدية ومجلس الشيوخ. وتشير الدراسات الى ان مثل هذه التدابير القسرية سرعان ما تعطي نتائج ايجابية جداً. وبفضلها، ارتفعت نسبة تمثيل المرأة في مناصب المسؤولية داخل الحزب، وكذلك الامر في المجالس التي يتم اختيارها عن طريق الاقتراع على صعيد فرنسا ككل. في حين تبقى الامور سائرة في «مجراها البورجوازي» ، ترعاها قواعد المجتمع السائد، عندما لا يبادر الحزب الى التغيير الفعلي. فهل يحزم الحزب الاشتراكي امره ويتخذ قرارات مماثلة فيما يتعلق بتمثيل العمال وصغار الموظفين وصغار الفلاحين وسائر الضعفاء والمنسيين؟ وبانتظار انبلاج فجر ذلك اليوم السعيد، سنحاول أن نتعرف على الطبقة التي تتولى قيادة الحزب الاشتراكي.

· من يقود الحزب الاشتراكي الفرنسي؟ المنطق يفرض أن يكون الجواب: العمال هم الذين يقودون هذا الحزب، باعتبار انه حزب

عمالي. لكن الواقع غير ذلك. والقياديون الذين خرجوا من صفوف العمال نادرون. واندر منهم العمال النواب أو الشيوخ أو رؤساء بلديات المدن الكبرى. ففي الانتخابات النيابية عام ١٩٧٨، لم تتجاوز نسبة العمال وصغار الموظفين من المرشحين الاشتراكيين ٦،٤ بالمئة منهم ١،٨ من العمال، في حين كانت نسبة المرشحين من خريجي المدرسة الوطنية للادارة (اينا) يساوي ضعف نسبة العمال[٢٣]. ولم يكن اختيار الدوائر التي تُركت للعمال يترك أي مجال للامل بفوز أحدهم. بينما فاز الآخرون تقريباً كلهم. والنائب الاشتراكي العامل الوحيد لم يدخل الجمعية الوطنية الا بنتيجة انتخابات فرعية جرت في مقاطعة مورت وموزيل في سبتمبر / ايلول ١٩٧٨، ويدعى ايفون توندون. وقد عاد إلى المجلس بنتيجة الانتخابات الاخيرة التي عقبت فوز ميتران.

ولم يكن حظ العمال بأحسن منه في مجلس الشيوخ، حيث لا يجلس سوى عامل واحد مع مجموعة الشيوخ الاشتراكيين.

والعمال ليسوا وحدهم ضحية «التمييز الطبقي» الذي يرافق اختيار القياديين الاشتراكيين. بل ان الفئات ذاتها التي تعاني من الحرمان والقهر في المجتمع الرأسمالي، تعاني ايضاً من الاجحاف داخل الحزب الذي يقوم على أساس الدفاع عن مصالحها.

ولا تقود النساء الحزب الاشتراكي، وان كانت نسبة تمثيلهن تفوق بكثير نسبة تمثيل العمال، مع العلم ان أكثر من ٥٠ بالمئة من الفرنسيين الذين يقترعون للحزب الاشتراكي هم من النساء. وقد تحسن وضع المرأة كثيراً، بعد ادخال مادة في صلب النظام الداخلي للحزب تنص على وجوب تخصيص ١٥ بالمئة من مناصب المسؤولية للمرأة. وفي عام ١٩٧٨، فاجأ الحزب الاشتراكي نفسه

٢٣- بول باكو «قادة الحزب الاشتراكي» - ١٩٧٩.

والفرنسيين، عندما قرر مؤتمره القومي تخصيص نسبة ٣٠ بالمئة من المقاعد التي يحصل عليها في الانتخابات للمجلس الاوروبي، للنساء. ومع ان ليون بلوم كان أول رئيس وزراء يجرؤ على ادخال المرأة الى الحكومة (عام ١٩٣٦) فإن الاشتراكية الاولى لم تدخل الى الجمعية الوطنية الا في عام ١٩٧٨، وهي ماري جاك، التي يبدو انها قررت أن تعود في كل دورة، كما فعلت في الانتخابات الاخيرة. ثم تبعتها ادويج افيس التي اصبحت فيما بعد وزيرة.

النسبة الكبرى من القياديين الاشتراكيين نجدها في صفوف المعلمين والمدرسين وأساتذة الجامعات، وقد بلغت هذه النسبة ٤٥ بالمئة داخل الهيئة الادارية، و٤٥ بالمئة من النواب الاشتراكيين، في عام ١٩٧٨. ولكن يجب الانتباه الى هذه الملاحظة الاساسية: كلما ارتفعنا في سلم المناصب والمسؤولية داخل الحزب، نجد انفسنا أمام حزبيين يأتون من فئة اجتماعية مرتفعة. بتعبير آخر، كلما ارتفع المنصب، تراجع المعلمون والمدرسون ليأتي مكانهم اساتذة الجامعات. ففي انتخابات ١٩٧٨، كانت نسبة المرشحين الاشتراكيين من المعلمين والمدرسين ٧ بالمئة ومن الاساتذة الجامعيين ٣٢ بالمئة. وقد فاز ١١ بالمئة من الفئة الاولى و٢٧ بالمئة من الفئة الثانية[٢٤].

وهذه الظاهرة لا تثير العجب، لأن الحزب الاشتراكي مرتبط تاريخياً بالحركة العلمانية وبالمدرسة العلمانية، الى جانب ارتباطه بالحركة العمالية. ويشكل الاساتذة والمعلمون قسماً كبيراً، من قاعدته. وربما كانوا يشكلون الفئة الاجتماعية الوحيدة التي يتناسب تمثيلها في قيادات الحزب مع حجمها في فروعه.

٢٤- المصدر السابق نفسه.

والفئات الاخرى التي تتولى قيادة الحزب تتوزع على: ابناء العمال، الكوادر العليا في الدولة والمؤسسات، المهن الحرة، والباريسيين. وبرغم ان عدد الباريسيين الذين ينتسبون الى الحزب لا يزيد عن ١١ بالمئة (عام ١٩٧٧)، فانهم يتمثلون في الهيئة الادارية بنسبة ٢٨ بالمئة وفي المكتب التنفيذي بنسبة ٤٤ بالمئة، وفي الامانة القومية بنسبة ٣٨ بالمئة وهي أعلى سلطة في الحزب.

اما ابناء العمال فانهم يعوّضون قليلا عن الاجحاف اللاحق بآبائهم، إذ انهم يمثلون نسبة مرتفعة في صفوف القياديين. وفي عام ١٩٧٤، وصلت نسبتهم داخل الهيئة الادارية الى ٢٨ بالمئة، وداخل الامانة القومية ١٧ بالمئة ولا تتوفر لدينا أرقام عن السنوات التالية[٢٥].

بالنسبة للكوادر العليا في الدولة أو في المؤسسات والشركات الخاصة، فقد اتفقت كل التحقيقات التي تناولت الحزب الاشتراكي والتركيب الاجتماعي لقيادييه على ان هذه الفئة هي الفئة الاولى التي تتمثل في الدوائر القيادية بنسبة تفوق بكثير نسبة تمثلها في صفوف الحزب. ففي عام ١٩٧٨، بلغت نسبة النواب الاشتراكيين الذين ينتمون الى هذه الفئة ٢٣ بالمئة. كما سجلت تقدماً ملحوظاً في الهيئة الادارية وفي الامانة القومية. واذا استثنينا النضال في الوسط الطلابي، فإن ابناء هذه الفئة لم ينخرطوا في العمل النقابي الجدي، برغم تسجيلهم في النقابات العمالية، كما يفرض ذلك عليهم نظام الحزب. فقد صرفوا وقتهم في التحصيل العلمي، وفي تجميع الشهادات والالقاب، وفي الكتابة والتأليف.

وفئة المهن الحرة، هي الفئة الثانية التي لا يوجد توازن بين تمثيلها في صفوف الحزب وتمثيلها في قيادته. وفي عام ١٩٧٨،

٢٥- تيري بفيستر: «الاشتراكيون» ١٩٧٧.

كان أصحاب الفئتين: الكوادر العليا والمهن الحرة يمثلون مجتمعين: ١٠ بالمئة من مجموع الناخبين الاشتراكيين و١٧ بالمئة من مجموع المرشحين، و٣٤ بالمئة من مجموع المنتخَبين[٢٦]. وكان أصحاب المهن الحرة يمثلون وحدهم ١٢ بالمئة من مجموع النواب الاشتراكيين. ويبدو ان هذه الفئة قد تراجعت كثيراً أمام الكوادر العليا. فالكلمة لم تعد للخطباء وأصحاب الهمّة والخدْمة. بل أصبحت للاختصاصيين وأصحاب العلم الذين حفظوا الارقام وهضموا التقنيات الحديثة، والذين يتقنون فن استعراض معلوماتهم ومعارفهم.

من ناحية التوزيع الديني، ذكرنا ان الحزب الاشتراكي لا يعتبر «الدين افيون الشعوب»، ولا يتدخل اطلاقاً في المعتقدات. لكنه ليس البيئة المثالية لتنمية الحس الديني والتشجيع على ممارسة شعائره. وقد أعطت الاستقصاءات ان ٧٠ بالمئة من القياديين يعلنون ان لا دين لهم. مع ان الاكثرية الساحقة منهم تأتي من الاوساط الكاثوليكية. والذين يقولون انهم مؤمنون، فإن ٨٤ بالمئة منهم لا يمارسون واجبات دينهم.

ومع ان الدين اليهودي يأتي في المرتبة الثالثة، بعد المسيحية والاسلام، من حيث عدد الفرنسيين الذين يعتنقونه، فان ٢ بالمئة من القياديين الاشتراكيين هم من اليهود، ويعلنون انهم يمارسون شعائر دينهم[٢٧]. وعبثاً حملنا مصباح ديوجين ورحنا نفتش عن ذلك المسلم، مؤمناً ورعاً كان أم غير ذلك، الذي تكون الصدفة او الواسطة او النضال واي شيء آخر قد رفعه في سلّم المسؤولية،

٢٦- بول باكو: ١.

٢٧- المصدر السابق نفسه.

ليصل الى احدى الهيئات التي تحدثنا عنها، فلم نعثر له على أثر. وطبعاً، سيجد الاشتراكيون أكثر من شرح ديكارتي عقلاني منطقي مفحم يفسر هذا الغياب.

الفصل الرابع

المعاونون الرئيسيون

١ ـ بيار موروا

٥٣ سنة ـ من مواليد ٥ يوليو / تموز ١٩٢٨

اول رئيس وزراء في عهد ميتران

نائب وعمدة مدينة ليل منذ ١٩٧٣

الرجل الثاني في الحزب الاشتراكي من ١٩٧١ الى ١٩٧٩، أمين قومي وعضو المكتب التنفيذي، زعيم التيار المعارض لفرنسوا ميتران من ١٩٧٩ إلى بدء المعركة الرئاسية، عندما اختاره فرنسوا ميتران ليكون الناطق الرسمي باسمه. ويقول عنه أحد معلقي جريدة لوموند: «لا أحد ينطق بكلمة «اشتراكية» كما ينطق بها بيار موروا. فانها تصعد من أعمق احشائه، مع هذه الثقة الهادئة التي يعطيها الوعي بأنه ليس الا حلقة في سلسلة طويلة».

كاد يصبح الامين العام للشعبة الفرنسية للأممية العمالية، عام ١٩٦٩، بعد ان كان الامين العام المساعد منذ ١٩٦٦، لو لم يُعرقل مسيرته غي موليه. وبفضله تمكن فرنسوا ميتران من استبعاد غي موليه والمنافسين الآخرين، عام ١٩٧١. وقبل ذلك، كان بيار موروا الامين العام للشبيبة الاشتراكية من ١٩٥٠ الى ١٩٥٨. وهو مؤسس «اتحاد أندية ليو ـ لاغرانج» التي تعتبر من المشاريع الناجحة النادرة جداً في عهد سيطرة غي موليه على

الشعبة .

شارك ميشال روكار لفترة من الزمن تحليله بأن ميتران يشكل عقبة أمام فوز اليسار.

صديق وحليف ميشال روكار، فهو الذي كان يمنع روكار من قطع الجسور مع جهاز الحزب، كما كان يحول دون أن يعمل جهاز الحزب على التقليل من أهمية روكار وأبعاده والقائه على الهامش.

وهو نجل استاذ من مقاطعة الشمال، وكان بدوره استاذاً في التعليم التقني قبل أن يصبح نائباً وعمدة عن مدينة ليل احدى أكبر المدن الفرنسية .

خطيب، انه من أكثر الشخصيات الاشتراكية شعبية في أوساط الحزب وفي الاوساط الفرنسية عموماً، لصراحته ونزاهته واستعداده للخدمة . وهو خير نموذج لفئة الاساتذة والمعلمين الذين يعتبرون الحزب الاشتراكي حزبهم والذين يحتلون فيه مناصب كثيرة من المسؤولية .

متزوج وله ولد تزوج بدوره .

٢ ـ ليونيل جوسبن

٤٤ سنة، من مواليد باريس ١٩٣٧

نائب، الامين الاول للحزب الاشتراكي منذ ٢٤ يناير / كانون الثاني ١٩٨١.

خريج المدرسة الوطنية للادارة، موظف كبير سابق في وزارة الخارجية، استاذ اقتصاد في جامعة باريس.

انتسب إلى الحزب الاشتراكي عام ١٩٧١، وبرغم حداثة سنه الحزبية، اختاره فرنسوا ميتران ليخلفه في منصب الامين الاول للحزب، لأنه يرى فيه نموذج الجيل الجديد من الاشتراكيين الذين جاؤوا إلى الحزب مباشرة دون المرور بأحد روافده العديدة. ولأنه اختبر حدة ذكائه وطاقته الكبيرة على العمل ووضوح أفكاره. ولأنه جعله يتمرس بالمسؤوليات الحزبية. ولأنه أخيراً وخصوصاً من أوفي الأوفياء. فمنذ اللحظة الأولى لانتسابه إلى الحزب، اختار ليونيل جوسبن أن يعمل في ظل ميتران، يعاونه ويقوم بالمهمات الدقيقة، ويرد عنه الضربات التي توجه اليه من داخل الحزب ومن الخارج. واستحق على هذا الموقف هذا الصعود الصاروخي في سلم المسؤوليات. بعد سنتين فقط من دخوله إلى الحزب، وجد نفسه أميناً قومياً مسؤولاً عن اعداده وتكوين «الرفاق والمناضلين». ومنذ ذلك التاريخ، لم تعد تستغني عنه الامانة القومية: أمين قومي، عام ١٩٧٥، مسؤول عن العلاقات

مع العالم الثالث، ثم أمين قومي مسؤول عن العلاقات الخارجية. وفي هذا المنصب، عمّق جوسبن معرفته بقضايا العالم الثالث وأقام علاقات متواصلة مع مختلف الحركات التحررية. وهو صاحب مبادرة دعوة منظمة التحـريـر الفلسطينيـة إلى حضـور المؤتمرات القومية للحزب الاشتراكي.

يشهد له اصدقاؤه وخصومه بأنه بعيد كل البعد عن الفردية والطموح الشخصي، وعن المناورات السيـاسيـة الضيقـة. رفـض باصرار أن يرشحه الحزب عن احدى الدوائر المضمونة، واختار أن يتصدى، في الانتخابات الاخيرة التي تلت فوز ميتران، لأحد أبرز وجوه الأكثرية السابقة في باريس النائب السابق جان ـ بيار، بيـار ـ بلـوك، رئيس اتحاد الجمعيـات والتنظيمات اليهـوديـة في فرنسا. وهزمه.

يستقبله الرئيس فرنسوا ميتران أكثر من مرة في الاسبوع

متزوج وله ولدان.

٣- جاك أتالي

٣٨ سنة - من مواليد الجزائر العاصمة.
المستشار الاول لرئيس الجمهورية.

تخرج من مدرسة بوليتكنيك وهو في العشرين من عمره، ثم دخل المدرسة الوطنية للادارة ثم مجلس الدولة، قبل أن يجد نفسه استاذاً في جامعة دوفين ثم في مدرسة بوليتكنيك وهو دون الثلاثين.

متوقد الذكاء ومتعدد الاختصاصات، تنسّم فيه جورج دايان[1] الفطنة والخيال المبدع، فقدمه لصديقه فرنسوا ميتران، ومنذ ذلك التاريخ ربطت الاثنين صداقة قبل أن تربطهما علاقة النضال في الحزب، اذ جعل منه ميتران مستشاره الاقتصادي ثم مدير مكتبه. وهو يجلس الآن في قصر الاليزيه في المكتب المجاور تماماً لمكتب الرئيس. واليه يعود الفضل في تلقين ميتران بعض الدروس الاقتصادية التي كان يتغلب عليه فيها جيسكار ديستان. وهو صاحب المهمات الدقيقة، ففي عام ١٩٧٤، كلّفه ميتران بالسفر الى بون للحصول من المستشار الالماني هلموت شميدت على وعد بدعم الفرنك في حال فوز ميتران بالرئاسة. وبعد فوزه هذه المرة، أوفده ميتران الى اسرائيل للتحضير للزيارة التي سيقوم بها الرئيس الفرنسي الى تل أبيب في مطلع عام ١٩٨٢. وفي هذه الاثناء كان ميتران يقوم بزيارة رسمية للمملكة العربية

السعودية .

غزير الكتابة وسهل الكلام يستطيع أن يتحدث في أي موضوع مدة ساعة على الاقل دون العودة الى مذكراته أو أوراقه . وقد أصدر حتى الآن الكتب التالية: التحليل الاقتصادي للحياة السياسية (١٩٧٣)، النماذج السياسية (١٩٧٣)، المضاد للاقتصاد (١٩٧٤) الكلمة والاداة (١٩٧٥) ضوضاء (١٩٧٧) الاقتصاد الفرنسي الجديد (١٩٧٨) فصيلة أكلة لحم الانسان (١٩٧٩) العوالم الثلاثة (١٩٧٩).

ولا يقتصر جاك اتالي في نضاله على الحزب الاشتراكي، فهو ايضاً عضو في الهيئة الادارية للصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد، وعضو مؤسس في الرابطة الدولية لمكافحة الجوع. ولا يرفض دعوة للاشتراك في حلقة دراسية أو ندوة أو لالقاء محاضرة .

وهو أيضاً من الذين لا يمكن الاتكال عليهم فيما يختص بالقضايا العربية . فهو مناضل يهودي نشيط، ويشترك في المظاهرات ويوقع المقالات ويحاضر مدافعاً عن مواقف اسرائيل .

٤ ـ غاستون ديفير

٧١ سنة

رئيس مجموعة النواب الاشتراكيين في الجمعية الوطنية قبل انتخاب فرنسوا ميتران، أمين قومي، عضو في المكتب التنفيذي، عضو في الهيئة الادارية، ووزير دولة حالي للداخلية واللامركزية.

انتسب إلى نقابة المحامين في مرسيليا في العشرين من عمره، وانضم الى الحزب الاشتراكي في الثالثة والعشرين. وعندما وقعت فرنسا تحت الاحتلال الالماني، انضم الى صفوف المقاومة وترأس الفروع والخلايا الاشتراكية السرية في منطقة الجنوب. سافر أكثر من مرة بالخفاء الى لندن والى الجزائر لمقابلة الجنرال ديغول الذي كلفه بعدة مهمات دقيقة. عند التحرير، انتزع رئاسة بلدية مدينة مرسيليا، وكانت آنذاك المدينة الثانية في فرنسا، ثم فاز بالمقعد النيابي الذي حافظ عليه منذ عام ١٩٤٤ والى يومنا هذا، باستثناء فترة أربع سنوات، ١٩٥٨ الى ١٩٦٢، مباشرة بعد عودة ديغول الى الحكم.

غاستون ديفير هو في الوزارة الحالية «شيخ الشباب»، الا انه تسلم مناصب وزارية وهو دون الاربعين. فقد عين امين الدولة لدى رئاسة الحكومة عام ١٩٤٦، ثم وكيل وزير في حكومة ليون بلوم (١٩٤٦ ـ ١٩٤٧). واختاره رينه بليفين ليكون وزيراً للبحرية التجارية عام ١٩٥٠، وعندما شن غي موليه

« حرب السويس »، عام ١٩٥٦، كان غاستون ديفير وزيراً في حكومته لشؤون فرنسا ما وراء البحار.

عام ١٩٦٩، استقال الجنرال ديغول من رئاسة الجمهورية، فسارع غاستون ديفير الى ترشيح نفسه للرئاسة. وفشل في تحقيق اجماع اليسار على اسمه لكي يكون المرشح الوحيد، وخاض المعركة ضد الرئيس الراحل جورج بومبيدو ورئيس مجلس الشيوخ آلان بوهير والمرشح الشيوعي جاك دوكلو. ولم يحصل الا على ٥،٠٧ بالمئة من أصوات الناخبين في حين تخطى مرشح الحزب الشيوعي العشرين بالمئة. وكانت النتيجة فشلاً شخصياً لغاستون ديفير وفشلاً أكبر للحزب الاشتراكي الذي رشحه والذي سجل في المناسبة ادنى كمية من الاصوات جمعها في تاريخه الانتخابي.

غاستون ديفير كاتب وصحافي، يتولى ادارة الجريدة الاشتراكية « لو بروفانسال » منذ عام ١٩٥١، وهي احدى أكبر الجرائد اليومية الصادرة خارج باريس. ويتمتع بشخصية قوية، وبقدرة فائقة على اتخاذ القرارات بسرعة، ويحب التسلط. وهو مشهور بكرهه للشيوعيين الذين يبادلونه الكره كرهين، ويعملون باستمرار على انتزاع رئاسة بلدية مرسيليا منه، حيث ان لهم وجوداً قوياً في هذه المدينة. « ولا يحمل غاستون ديفير العرب في قلبه » كما يقولون بالفرنسية، وبالتحديد باللهجة الجنوبية التي يتكلم بها ديفير. لا سيما العمال منهم، ويتهمه عرب شمال افريقيا، وعددهم كبير جداً في مرسيليا وضواحيها، بانه لا يعمل شيئاً لكشف نتائج التحقيقات في الحوادث العنصرية المعادية للعرب.

متزوج من الاديبة ادموند شارل رو، وهو من اصدقاء فرنسوا ميتران المقربين جداً.

٥ ـ كلود شيسون

٦١ سنة ـ من مواليد ١٣ ابريل / نيسان ١٩٢٠

وزير حالي للعلاقات الخارجية

متخرج من أكبر ثلاثة معاهد في فرنسا: بوليتكنيك، المعهد الوطني للادارة والمدرسة الاعدادية العليا.

أحد العضوين الفرنسيين الاثنين في لجنة المجموعة الاوروبية منذ عام ١٩٧٣ وحتى اختياره وزيراً.

يمتاز بشخصية قوية تفرض نفسها دون تسلطٍ، وان كان لا يتحمل كثيراً معارضته ومخالفته في الرأي. لم يُخفِ انتماءه الى الحزب الاشتراكي عندما كان الحزب في المعارضة، ولم يتنكر لصداقاته اليسارية، ولكن نظراً لذكائه المتوقد ومواهبه الفذة والمتعددة الاتجاهات، ثابرت الحكومات المتعاقبة منذ عام ١٩٤٩، على تعيينه في مناصب حساسة وعلى تكليفه بالمهمات الدقيقة، فجمع الى علمه وثقافته خبرة واسعة في مختلف القضايا والمواضيع التي يمكن أن تواجه رجلاً سياسياً. لا سيّما ما يتعلق منها بدول افريقيا وجنوب شرق اسيا واميركا اللاتينية، باختصار، دول العالم الثالث. لأن كلود شيسون هو أولاً وقبل كل شيء «رجل العالم الثالث» ليس في الحزب الاشتراكي فحسب، انما ايضاً في السوق الاوروبية المشتركة وفي المنظمات الدولية، التي كثيراً ما يعتلي

منابرها للدفاع عن العالم الثالث وللدعوة الى قيام نوع جديد من العلاقات بين الدول الغنية والدول الفقيرة، محذراً الى ان «سلامة العالم ليست فقط في تكديس الاطنان من المتفجرات الذرية ولا في قوات التدخل السريع». ويرى شيسون في تنمية العالم الثالث ضرورة انسانية واقتصادية قصوى، ليس فقط للدول النامية بل أيضاً وخصوصاً للدول الصناعية. وتربطه علاقات الصداقة بعدد كبير من رؤوساء وزعماء تلك الدول. مما سيساعد فرنسوا ميتران في سياسته الخارجية الجديدة التي ستأخذ منحى مختلفاً عن السابق.

وعلاقة كلود شيسون بالعالم الثالث وتعاطيه بقضاياه تجعله مهيئاً وعلى استعداد لتفهم القضايا العربية ووجهة النظر التي قد لا تتفق مع ما يراه مستشارو ميتران الآخرون. وقد زار الدول العربية كلها تقريباً، وعمل باستمرار على ازالة العقبات التي تحول دون توقيعها اتفاقات تفضيلية مع السوق الاوروبية المشتركة. وهو من الشخصيات السياسية الفرنسية القليلة التي صافحت ياسر عرفات.

متزوج وله ستة أولاد.

٦ـ جاك ديلور

٥٦ سنة ـ من مواليد ٢٠ يوليو / تموز ١٩٢٥

وزير حالي للمال والاقتصاد

نائب في المجلس الاوروبي ومفوض الحزب للشؤون الاقتصادية الدولية منذ عام ١٩٧٦ .

العصاميون في فريق عمل فرنسوا ميتران قلائل، وجاك ديلور واحد منهم. كان والده موظفاً بسيطاً في أحد المصارف، واشتغل جاك من أجل أن يتمكن من متابعة دراسته الجامعية، ولم يحصل « الا » على ليسانس في العلوم الاقتصادية، وهي شهادة لا يُعتدُّ بها بالمقارنة مع الشهادات والالقاب التي يحملها زملاؤه الاشتراكيون الآخرون من أمثال اتالي وفابيوس وشيسون وروكار وغيرهم.. وانضم فتياً الى العمل النقابي عندما شغل بدوره وظيفة متوسطة في البنك المركزي، بنك فرنسا. ولكن سرعان ما أخذ يثبت كفاءته وشخصيته ونشاطه الكبير، في تأسيس النوادي وكتابة المقالات والاشتراك في المؤتمرات والقاء المحاضرات. وقد ركز اهتمامه منذ الاساس على القضايا الاجتماعية وعمّق تفكيره في الشؤون المالية والاقتصادية واعتنى عناية خاصة بالتدريب المهني، وعيّن أميناً عاماً للجنة الوزارية للتدريب المهني والتقدم الاجتماعي من عام ١٩٦٢ الى ١٩٦٩ .

وعندما خلف جورج بومبيدو الجنرال ديغول في منصب الرئاسة، واختار جاك شابان دلماس رئيساً للوزراء، استدعى هذا الاخير جاك ديلور ليجعل منه مستشاراً للشؤون الاجتماعية والثقافية، فوضع ديلور اسس «السياسة التعاقدية» بين النقابات وارباب العمل وارسى قواعد التدريب المهني المستمر، محققاً بذلك خطوة كبيرة على درب التقدم الاجتماعي وتحسين أوضاع العمال.

وجاك ديلور رجل فكر ورجل عمل. يؤمن بالصراع الطبقي دون ان يدعو الى الثورة، ويعمل على اصلاح المجتمع من خلال المؤسسات الديمقراطية. ويركز في عمله الاصلاحي على ثلاث نقاط: محاربة تسلّط الدولة، ومحاربة فردية المواطن، ومحاربة هيمنة رأس المال على النظام، لأن هذه الهيمنة تحول دون احداث التغييرات الجوهرية في العلاقات الانسانية.

يكن له فرنسوا ميتران احتراماً كبيراً، مع انه ليس من الذين عملوا دائماً ومنذ زمن طويل الى جانبه، ويعلق عليه امالاً كبيرة من أجل كبح التضخم والحد من تزايد عدد العاطلين عن العمل ودعم مركز الفرنك. فاذا نجح ديلور نجح العهد. ويتفق اصدقاؤه وخصومه على القول انه ينجح دائماً في المهمات الدقيقة والشاقة. لأنه يعرف كيف يشيع الثقة حوله، ولأنه منفتح يصغي باهتمام الى آراء الآخرين فيأخذ بما يراه مصيباً منها، دون أن ينسبه لنفسه. ولأنه من القلائل الذين يثق بهم كبار رجال المال والاعمال الفرنسيين.

٧- پول كيليس

٤٢ سنة - من مواليد ١٩٤٢

نائب عن الدائرة الرابعة عشرة في باريس

امين قومي، عضو في المكتب التنفيذي

خريج مدرسة البوليتكنيك، جاء الى الحزب الاشتراكي من العمل النقابي الكاثوليكي، دون أن يتخلى عن ايمانه ولا عن ورعه وممارسة واجباته الدينية. وهو من معارف فرنسوا ميتران الحديثة العهد نسبياً، ومن المعجبين به اذ انه كان يعمل دائماً لترجيح تياره منذ انتسابه الى الحزب عام ١٩٧٢، وحتى قبل الالتقاء به. عام ١٩٧٨، تمكن وهو المرشح الشاب والمغمور، من انتزاع المقعد النيابي عن دائرة باريس الرابعة عشرة ضد اثنين من كبار المرشحين: الشيوعي فيليب هرزوك والديغولي الكسندر سانغينتي، وذلك بفضل تنظيمه لمعركته تنظيماً اثار دهشة اصدقائه. وهذه الموهبة في التنظيم هي التي ستجعل فرنسوا ميتران يلجأ اليه من أجل أن ينظم له حملاته، في داخل الحزب الاشتراكي، في مرحلة اولى للتغلب على تيار بيار موروا وميشال روكار، وفي مرحلة ثانية لقطع الطريق على ترشيح ميشال روكار للرئاسة. ونجح بول كيليس ايّما نجاح فكان من الطبيعي ان يلجأ اليه ميتران للمرة الثالثة في تنظيم حملته الكبرى، فجعله مديراً لمعركة الرئاسة.

والى جانب الموهبة التنظيمية التي تجلت لديه، يهتم بول كيليس في الحزب بقطاع الطاقة، فقد استهل حياته المهنية كاحد الكوادر العليا في شركة شل. وأخذ على نفسه اثناء المعركة الاخيرة أن يجمع حـول مـرشحـه ابـرز زعماء حـركـة الدفـاع عـن البيئـة «ايكولوجيا».

لم «يكافئه» ميتران بوزارة، لكنه من أبرز مساعدي ليونيل جوسبن في قيادة الحزب الاشتراكي وهو ينتظر دوره بهدوء وبثقة المؤمن.

متزوج وله ثلاثة اولاد.

٨ ـ روبير بادنتر

٥٣ سنة ـ من مواليد ٣٠ مارس / اذار ١٩٢٨

وزير حالي للعدل

محامي واستاذ حقوق في جامعة باريس الاولى

رفيق نضال قديم لفرنسوا ميتران، ساعده في تأسيس حركة المؤسسات الجمهورية قبل أن ينضم الى الحزب الاشتراكي في عام ١٩٧١ . اختاره ميتران ليكون ممثله في هيئة المراقبة التي تُشرف على حسن استخدام وسائل الاعلام اثناء الحملتين الانتخابيتين ١٩٧٤ و١٩٨١ . جرّب حظه في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٧ فلم ينجح، ولم يعاود الكرة .

من المع محامي فرنسا ، ومناويء عنيد لعقوبة الاعدام، ارتبط اسمه بالحملة الكبيرة التي قادها لالغاء المقصلة، كما بادر فور تسلمه منصب وزير العدل الى الغاء هذه العقوبة . وهو عضو نشيط في منظمة العفو الدولية « امنستي انترناسيونال »، وعضو الهيئة الادارية لرابطة حقوق الانسان، وتولى رئاسة اللجنة التي اختارها الحزب الاشتراكي، عام ١٩٧٦ ، لتضع شرعة للحريات، وقد اصدرت هذه اللجنة ابرز مداولاتها وأفكارها في كتاب بعنوان « الحرية، حريات » . كما انه يتولى ادارة احد أهم مكاتب الاعمال في باريس . فهو محامي البارون امبان، ومحامي عائلة جان دوبروي

الوزير الجيسكاردي الذي اغتيل عام ١٩٧٥ ، ومحامي عائلة روبير بولان الوزير الديغولي الذي انتحر عام ١٩٧٩ ، ومحامي شركة جيفودان التي انتجت مسحوق مورهانج، المسحوق القاتل الذي تسبب بوفاة عدد من الاطفال.

الا ان الدعاوى الجنائية هي التي سببت له شهرته الواسعة. ففي عام ١٩٧٧ ، تمكن من انقاذ رأس المجرم باتريك هنري الذي خطف طفلاً وقتله. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح روبير بادنتر الملجأ الاخير لكل من يخشى عقوبة الاعدام. وعندما اخذت محاكم الاستئناف تكسر احكام الاعدام لاعادة النظر بها، اختار كل المحكوم عليهم بالاعدام روبير بادنتر ليكون المدافع عنهم في الاستئناف.

وروبير بادنتر من مستشاري واصدقاء ميتران الذين لا يمكن التعويل عليهم للدفاع عن وجهة النظر العربية. فهو يهودي مؤمن، يعمل بنشاط في الجمعيات والمنظمات اليهودية في فرنسا.

زوجته الثانية مجازة بالفلسفة، وصاحبة كتاب « زائد الحب » وله منها ثلاثة أولاد.

كتب مقالات وابحاثاً كثيرة وله كتاب « التنفيذ » حول عقوبة الاعدام.

٩ ـ شارل هرنو

٥٨ سنة ـ من مواليد يوليو / تموز ١٩٢٣

نائب ورئيس بلدية مدينة فيلوربان، عضو المكتب التنفيذي، امين قومي لشؤون الدفاع.

وزير حالي للدفاع.

صحافي وكاتب سياسي، جاء الى الصحافة والى السياسة من المقاومة. انتخب نائباً عن مدينة باريس عام ١٩٥٦، وعين اميناً للجنة البرلمانية للشؤون الخارجية. عمل مع بيار منديس فرانس قبل أن ينضم الى فرنسوا ميتران الذي اختاره لمساعدته في معركة عام ١٩٦٥ ضد الجنرال ديغول، ثم عينه رئيساً لحركة المؤسسات الجمهورية. وعندما اتحدت هذه الحركة مع الحزب الاشتراكي، بزعامة ميتران، اختاره هذا الاخير ليكون عضواً في المكتب التنفيذي وفي الهيئة الادارية، حيث عمل باستمرار على تدعيم موقف ميتران، وبنوع خاص على «توعية» زملائه الاشتراكيين على ضرورة الاهتمام بقضايا الدفاع الوطني وبالشؤون العسكرية، وعلى وجوب كسر «احتكار اليمين لقيم حب الوطن والدفاع عنه والذود عن سلامة اراضيه».

شارل هرنو هو الذي حسن علاقة الحزب الاشتراكي بكبار الضباط في مختلف الاسلحة في الجيش الفرنسي. ويعرفه الضباط

معرفة جيدة ويثقون به، لكن هذا لا يعني ان مهمته ستكون سهلة، لأن « فلسفة » الحزب بالنسبة للدفاع والجيش والتسلح لا تتفق كلياً مع « الفلسفة » السائدة داخل المؤسسة العسكرية. ولان كبار الضباط يخشون أن تحرمهم الحكومة الاشتراكية من « الافضلية » التي عودهم عليها فاليري جيسكار ديستان، وأن تولي أفضلية التمويل والاسراع في التنفيذ للقضايا الاجتماعية.

انتُخب رئيساً لبلدية فيلوربان عام ١٩٧٧، ثم نائباً عنها عام ١٩٧٨. وهو ابن دركي من مدينة كيمبر، عصامي، صنع نفسه بنفسه ولم يتخل يوماً عن صداقاته ولا عن وفائه لفرنسوا ميتران. وتعيينه وزيراً للدفاع ليس مجرد مكافأة، بقدر ما هو اعتراف بكفاءته في الميدان العسكري.

١٠ـ لوران فابيوس

٣٥ سنة ـ من مواليد ٢٠ اغسطس ١٩٤٦

نائب، امين قومي والمتحدث الرسمي باسم الحزب.

وزير حالي لشؤون الموازنة

مجاز بالآداب من المدرسة الاعدادية العليا وخريج المعهد الوطني للادارة.

انضم الى الحزب الاشتراكي عام ١٩٧٤، وخلال المعركة الرئاسية، لاحظه فرنسوا ميتران، فجعل منه مستشاره الاقتصادي، عام ١٩٧٥، ثم مدير مكتبه عام ١٩٧٦. ولوران فابيوس، يمثل جيل الشباب الطموح في الحزب الاشتراكي دون أن يتخلى عن وفائه لفرنسوا ميتران، تصدى بقوة لمحاولة ميشال روكار ترشيح نفسه للرئاسة، واشترك اشتراكاً فعالاً وحاسماً في اعداد معركة ميتران داخل الحزب وعلى المستوى الوطني. انتُخب نائباً عام ١٩٧٨، وأصبح داخل الجمعية الوطنية الناطق باسم تجمع النواب الاشتراكيين فيما يختص بشؤون ميزانية الدولة.

انيق الكلام والهندام، لوران فابيوس بجذوره الاجتماعية وباسلوبه وبتنشئته اقرب الى «الجيسكاردية» منه الى الاشتراكية.

مؤلف كتاب «اللامساواة في فرنسا».

١١ـ لويس مكساندرو

٥٠ سنة ـ من مواليد ٦ يوليو / تموز ١٩٣١

نائب وأمين قومي لشؤون التربية الوطنية

وزير حالي للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية

مجاز بالتاريخ، درّس هذه المادة في مدينة كان

ناضل باكراً في صفوف نقابة المعلمين ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، ولم يلبث أن استقال منه عندما اجتاحت الدبابات السوفياتية المجر عام ١٩٥٦ لينضم الى حركة المؤسسات الجمهورية، وأسس لها فرعاً في منطقته، منطقة كالفادوس، عام ١٩٦٦، وأصبح عضواً في مكتبها السياسي من عام ١٩٦٩ الى حين ذوبانها في الحزب الاشتراكي، عام ١٩٧١.

انتخب نائباً عن منطقته عام ١٩٧٣ ثم عام ١٩٨١، واشترك مع روجيه كيو بوضع «المشروع الاشتراكي للتربية الوطنية».

يعتبر مكساندو من أشد المدافعين عن أهمية التربية الوطنية ومكانها البارز في حياة المواطنين. كما انه من دعاة المدرسة العلمانية ومن مناهضي التعليم الخاص. وهو من المقربين الى فرنسوا ميتران، الذي يُصغي الى آرائه باهتمام، ويحيي فيه العمل الدؤوب، ولكن قد لا يستمع اليه بالنسبة لتأميم التعليم الخاص، على الاقل في

السنوات الاولى من الحكم، لأنه يدرك مدى تعلق الفرنسيين بحرية التعليم، مع العلم ان التعليم الخاص في فرنسا هو دون التعليم الرسمي بكثير، ان من حيث المستوى العلمي أو من حيث الحجم والكمية والانتشار. ولهذا السبب لم يجعل منه ميتران وزيراً للتربية، كي لا يتذرع به اليمين ويفتح معركة «حرية المدارس الخاصة»، والعهد بغنى عنها في بدايته، بل دعاه لأن يكون وزير البريد والبْرق والهاتف، حيث يجب عليه أن يدرس الملفات الكثيرة والتقنية الدقيقة لكي يكون على بيّنة مما يجري في وزارته.

١٢- لويس مرماز

٥٠ سنة - من مواليد ١٩٣١

نائب وعضو في المكتب التنفيذي

رئيس الجمعية الوطنية

مجاز بالتاريخ، درّس هذه المادة في جامعتي لومان وكليرمون فران.

اشتغل في السياسة من خلال الحركات والاحزاب اليسارية وهو لما يزل يتابع دراسته الجامعية. ترشح للنيابة، ولم ينجح عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٦٣، ساهم مع فرنسوا ميتران بتأسيس حركة المؤسسات الجمهورية، ولم يلبث ان أصبح أمينها العام، عندما أعلن ميتران ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ضد الجنرال ديغول عام ١٩٦٥. من أشد المتحمسين لتوحيد اليسار، وعلى هذا الاساس ساهم مساهمة كبيرة في توحيد الحزب الاشتراكي، عام ١٩٧١، بزعامة ميتران، ثم في تحقيق التفاهم مع الحزب الشيوعي والتوقيع معه على برنامج الحكم المشترك عام ١٩٧٢.

انتخب نائباً عن مقاطعة ايزير لأول مرة عام ١٩٦٧، ثم خسر نيابته في العام التالي عندما حل الجنرال ديغول الجمعية الوطنية بعد احداث مايو / ايار ١٩٦٨. لكنه تمكن من انتزاع المقعد النيابي عام ١٩٧٣، وحافظ عليه عام ١٩٧٨، وليس من

المستغرب أن يعود الى الجمعية الوطنية بعد فوز ميتران. بل انتخبه النواب رئيسا لهم، بإيحاء من ميتران.

من أقرب المقربين الى فرنسوا ميتران الذي يعهد اليه بالمهمات الدقيقة والتي تتطلب صبراً وجلداً كبيرين. وقد اختاره ميتران، عام ١٩٦٥، ليكون لولب معركته الرئاسية، وقال عنه، عام ١٩٧٤، عندما كان على وشك الفوز انه يتمتع «بخامة رئيس وزراء»، وها هو يكافئه على وفائه بأن يفسح له في المجال ليبرهن عن ان لديه خامة جيدة كرئيس للمجلس، بعد ان اختبره لمدة شهر كوزير للتجهيز والنقل والمواصلات.

لويس مرماز يمتاز بالدقة والحذر. لا يجيد الخطابة، لكنه لا يتردد في التكلم أمام الجماهير أو داخل الجمعية الوطنية ليقول رأيه، ليس دائماً بوضوح، ولكن دائماً بحزم.

١٣ـ نيكول كيستيو

٥١ سنة

من أعضاء المكتب التنفيذي ـ وزيرة حالية للتضامن الاجتماعي

متخرجة من معهد الدراسات السياسية في باريس ومن المعهد الوطني للادارة.

دخلت مجلس الشورى (مجلس الدولة) حيث كانت الامرأة الاولى التي تعين مفوضاً للحكومة لدى مجالس الاستئناء، عام ١٩٦٣. تخصصت في الشؤون الاجتماعية، وساهمت في وضع أكثر من مؤلف حول هذه المواضيع. انتسبت الى حركة المؤسسات الجمهورية التي أسسها فرنسوا ميتران في أواسط الستينات، وعام ١٩٧٠، ترأست الوفد الوطني الذي عمل على توحيد كلمة الاشتراكيين الذين كانوا مشتتين في أكثر من حزب وناد وحركة. وساهمت مساهمة فعالة في تحقيق هذه الوحدة في مؤتمر ١٩٧١، الذي أسفر عن قيام الحزب الاشتراكي بشكله الراهن وبزعامة ميتران.

عام ١٩٧٥، اختارها فرنسوا ميتران لتكون امينة قومية لشؤون المجموعة الاوروبية، الا انها لم تلبث ان استقالت من هذا المنصب لاختلافها في الرأي مع عدد من قياديي الحزب، حول المسيرة السياسية الاوروبية. رشحها الحزب مرتين للنيابة، دون أن تنجح.

يقول عنها اصدقاؤها ان سلاحها الاساسي الهدوء والنعومة وطول الانـات. وانها تتـوصـل دائماً الى فـرض نفسهـا واقنـاع الآخرين بوجهة نظرها عن طريق التفهم والحوار، ودون مباغتة ولا ضجيج. ولعل هذه الصفات هي التي حدت برئيس الوزراء بيار موروا لأن يختارها وزيرة للتضامن الاجتماعي.

١٤ـ بيار جوكس

٤٧ سنة ـ من مواليد ٢٨ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٣٤
نائب، عضو في المكتب التنفيذي، امين الصندوق منذ عام ١٩٧٩

رئيس مجموعة النواب الاشتراكيين داخل الجمعية الوطنية

ابن الدبلوماسي والوزير السابق لويس جوكس، تخرج من المعهد الوطني للادارة. وعين في ديوان المحاسبة، ثم مقرراً للمفوضية العامة للتخطيط (١٩٦٣) ثم عضواً في هيئة المؤسسات العامة (١٩٦٦) ومكلفاً بمهمة لدى وزير الخارجية (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠).

ناضل منذ نشأته في الحركات والاندية الاشتراكية، وعندما انضمت حركة المؤسسات الجمهورية الى الحزب الاشتراكي في مؤتمر عام ١٩٧١ ، كان بيار جوكس الامين العام المساعد لهذه الحركة، أي الشخص الثاني بعد فرنسوا ميتران، الذيّ «كافأه» على وفائه بتعيينه اميناً قومياً في الحزب الجديد للشؤون الادارية والتنشئة والتدريب.

يعتبر بيار جوكس من أوفى الاوفياء لفرنسوا ميتران، ولقد ذهب جورج مارشيه، الامين العام للحزب الشيوعي الفرنسي، الى حد وصفه ذات يوم، اثناء مقابلة تلفزيونية حول التدخل

السوفياتي في افغانستان، بانه « دمية في يد فرنسوا ميتران وخادمه الصغير ». والحقيقة ان الاهانة ارتدت الى مطلقها الذي كان يتحدث مباشرة من موسكو. هذا، بالرغم من ان بيار جوكس هو من الماركسيين القلائل في الحزب الاشتراكي خارج صفوف « السيريس »، ومن الداعين لاحياء برنامج الحكم المشترك مع الحزب الشيوعي الفرنسي.

نائب في الجمعية الوطنية منذ ١٩٧٣، اختاره الحزب ليترأس مجموعة النواب الاشتراكيين داخل اللجنة النيابية التي تشكلت عام ١٩٨٠ لدراسة وتحديد مسؤولية وزير الداخلية ميشال بونياتوفسكي في قضية اغتيال الوزير دوبروي.

وبعد ان عينه وزيراً في حكومة بيار موروا الاولى، طلب منه الرئيس ان ينصرف لمهمة رئيس مجموعة النواب الاشتراكيين داخل الجمعية الوطنية، فقبل على مضض، وعلى حساب جان بوبرن...

١٥ـ جاك لانغ

٤٢ سنة، من مواليد ٢ سبتمبر / ايلول ١٩٣٩

وزير حالي للثقافة

دكتور في الحقوق واستاذ في القانون الدولي ومدير وحدة الدروس والبحوث للعلوم القضائية والاقتصادية والمسرحية منذ عام ١٩٧٧ في جامعة نانسي.

لم يشتغل في السياسة الا مناضلاً في الحركات ثم الاحزاب اليسارية، ولم يترشح عام ١٩٧٧، الى عضوية بلدية باريس، الا ليدافع عن الوجه الثقافي للعاصمة الفرنسية وليعمل على تنشيط الفنون وصيانة الاحياء التي تحفظ لباريس طابعها الخاص.

عام ١٩٧٨، اختاره فرنسوا ميتران مستشاراً شخصياً له، ومنذ ذلك التاريخ، اصبح جاك لانغ رجل الثقافة ورجل المهرجانات الكبيرة في الحزب الاشتراكي. وجاك لانغ مقلع غني بالافكار الفذة التي لا تحقق دائماً الاجماع عليها. لكنه يتحرك ويُحرك دائماً، ويأخذ في تياره المترددين. عام ١٩٦٣، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، أسس في مدينة نانسي المهرجان الدولي للمسرح. ونظراً لنجاحه الكبير ولاصرار مؤسسه على اعطائه بعداً عالمياً، تحول هذا المهرجان عام ١٩٦٨ الى المهرجان العالمي للمسرح، وأصبح محط أنظار الفرق العالمية الكبرى. وكان

لانغ يدور على العواصم العالمية، وبنوع خاص عواصم العالم الثالث، ليطلع على الحركة المسرحية فيها، وليرى ما اذا كان بوسعه دعوة بعض الفرق الى مهرجانه في نانسي. وهكذا التقى لطيفة وانطوان ملتقى ودعا فرقتهما للاشتراك في المهرجان. كما دعا فرقاً عربية أخرى كثيرة، من القاهرة وتونس والجزائر. وعام ١٩٧٢، تخلى عن رئاسة هذا المهرجان ليعينه وزير الثقافة في حكومة جورج بومبيدو مديراً للمسرح الوطني في قصر شايو. الا ان أعماله لم تعجب كثيراً الوزير التالي، عام ١٩٧٤، فعزله من منصبه، الامر الذي أحدث ضجة كبرى في الاوساط الثقافية والفنية والسياسية.

جاك لانغ هو الذي أشرف على تنظيم الاحتفالات الشعبية التي تلت فوز ميتران بالرئاسة، وبنوع خاص مهرجان البانتيون، حيث انحنى الرئيس الجديد أمام قبري جان مولين وجان جوريس. وهو مؤسس المهرجان الاوروبي للسينما والصورة و «الحوار المتوسطي».

١٦ـ بيار بيريغوفوا

٥٦ سنة ـ من مواليد ٢٣ ديسمبر / كانون الاول ١٩٢٥

أمين قومي، عضو في المكتب التنفيذي، خاض أكثر من معركة انتخابية ولم يُكتب له النجاح.

المدير العام لقصر الرئاسة.

يكاد يكون العامل الوحيد في دوائر المسؤولية العليا في الحزب الاشتراكي. اشتغل في الخراطة وهو دون الخامسة عشرة، وعند اندلاع الحرب، انضم الى السكك الحديدية، وإلى تنظيم المقاومة فيها، قبل ان ينتسب الى الشعبة الفرنسية للأممية العمالية بعد تحرير باريس. وبينما كان يُثقف نفسه راح من خلال التدريب المهني، يعمل على تحسين وضعه، فأخذ يصعد في سلم الرتب والوظائف. ومن السكك الحديدية انتقل الى غاز فرنسا، وظل يتقدم فيها حتى بلغ رتبة مكلّف بمهمة في عام ١٩٧٨ ثم انتدبته ليكون ممثلها في المجلس الاقتصادي والاجتماعي، منذ عام ١٩٧٩.

كان بين الذين بدأوا يملّون من غي موليه ومن سيطرته على الشعبة، وعندما عاد الجنرال ديغول الى الحكم عام ١٩٥٨، وصفّق له غي موليه، كان بيريغوفوا بين الذين غادروا الشعبة ليؤسسوا الحزب الاشتراكي المستقل ثم الحزب الاشتراكي الموحد، قبل ان يؤسس نادياً اشتراكياً باسم «الاشتراكية الحديثة». وعندما أعلن

ميتران ترشيحه ضد الجنرال ديغول عام ١٩٦٥ ، كان بيريغوفوا بين الذين دعموا هذا الترشيح، ثم ساعده كثيراً في عملية توحيد اليسار واحياء الحزب الاشتراكي والسيطرة عليه.

فشله في المعارك الانتخابية لم يؤثر على مسيرته داخل الحزب حيث برهن عن صفات مهمة كمفاوض بارع انتدبه فرنسوا ميتران،ليكون رئيس لجنة الاتصال بالحزبين العضويين في اتحاد اليسار. وهو الذي قاد مع الحزب الشيوعي مفاوضات تحديث برنامج الحكم المشترك، وهي مفاوضات باءت بالفشل ليس لسوء المفاوضين انما لسوء نية الحزب الشيوعي.

١٧ ـ جان بيار شفنمان

٤٢ سنة ـ نائب وأمين قومي وعضو في المكتب التنفيذي، وعضو في الهيئة الادارية، ووزير دولة حالي، للعلوم والبحوث التقنية.

مجاز بالحقوق، تخرج من معهد الدراسات السياسية ومن المعهد الوطني للادارة.

بدأ حياته المهنية في الادارة، فكان ملحقاً تجارياً في وزارة المال والاقتصاد، ثم ملحقاً تجارياً في جاكارتا، وعندما اراد جيسكار ديستان وزير المال آنذاك ابعاده عن الوزارة بتعيينه ملحقاً تجارياً في نيويورك، اعتزل شفنمان الادارة وانصرف كلياً الى العمل السياسي في صفوف الحزب الاشتراكي، ورشح نفسه عن دائرة بلفور، ففاز بالانتخابات مرتين على التوالي عام ١٩٧٣ و١٩٧٨. وبالطبع لم يفشل في المرة الثالثة عام ١٩٨١.

انضم الى الحزب الاشتراكي عام ١٩٦٤، وبعد سنتين كان أحد أبرز مؤسسي مركز الدراسات والبحوث والتربية الاشتراكية، المعروف بمركز «سيريس» أو الجناح اليساري في الحزب الاشتراكي. وفي عام ١٩٧١، انضم الى تيار فرنسوا ميتران في مؤتمر توحيد الاشتراكيين، وهو المؤتمر الذي انبثق عنه الحزب الاشتراكي الحالي، وساهم باستبعاد غي موليه والان سافاري. ولم ينس ميتران هذا الموقف، فجعل منه أميناً قومياً

للحزب (١٩٧١ - ١٩٧٥). ونظراً لحدة ذكائه ولمهارته في التفاوض، اختار ميتران هذا المثقف الشاب ليكون أحد المفاوضين الرئيسيين مع الحزب الشيوعي الفرنسي للتوصل الى وضع البرنامج المشترك، سيما وان شفنمان متخصص بالشؤون الاقتصادية ويولي اهتماماً كبيراً للمسائل العسكرية. وفي هذا الاطار، تجدر الاشارة الى انه كان أحد الاشتراكيين الاوائل الذين «اقتنعوا» بأهمية قوة الردع الفرنسية الذرية، ودافعوا عنها في صفوف الحزب ولدى القياديين، حتى تمكنوا من تغيير موقف الحزب وموقف امينه الاول فرنسوا ميتران بالذات من هذه القضية.

عام ١٩٧٥، اختلف شفنمان مع فرنسوا ميتران، فاخرجه من الامانة القومية فتولى «زعامة» المعارضة داخل الحزب، واستمر في معارضته حتى مؤتمر ميتز عام ١٩٧٩، حيث تحالف مجدداً مع فرنسوا ميتران، وبذلك قطع الطريق على محاولة ميشال روكار وبيار موروا ارغام ميتران على عدم ترشيح نفسه للرئاسة تمهيداً لاقصائه عن زعامة الحزب. وهكذا يكون شفنمان قد لعب للمرة الثانية في أقل من ١٠ سنوات دوراً حاسماً في مساندة فرنسوا ميتران، الذي أعاده مجدداً الى الامانة القومية للحزب.

جان بيار شفنمان كاتب ومحاضر وخطيب. فهو الذي وضع «المشروع الاشتراكي» الذي جعل منه ميتران القاعدة الاساسية لبرنامجه الانتخابي، وله كتاب شهير في انتقاد المدرسة الوطنية للادارة التي تخرّج منها، وعدة كتب أخرى منها «المفاتيح للاشتراكية»، و«القديم والازمة والحديث» و«الاشتراكيون والشيوعيون والآخرون».

يعتبر شفنمان من الاشتراكيين الذين يتعاطفون مع القضايا العربية دون أن يكون معادياً للتيار الآخر. وله مواقف شهيرة في

هذا المجال، ففي عام ١٩٧٣ ، انتقد البيان الرسمي الذي أصدره حزبه الاشتراكي غداة اندلاع حرب تشرين، لاعتباره « خفيف اللهجة » حيال اسرائيل، كما قام بزيارة أكثر من دولة عربية واجتمع بعدد من الشخصيات الفلسطينية.

وشفنمان و « جماعته » في مركز السيريس من الاشتراكيين القلائل الذين يصرون على اعتبار أنفسهم ماركسيين. كما انه من دعاة تنسيق العمل واحياء برنامج الحكم المشترك مع الشيوعيين الفرنسيين.

١٨ ـ ميشـــال روكار

٥١ سنة ـ من مواليد ٢٣ اغسطس /آب ١٩٣٠

نائب وعمدة مدينة كونفلان ـ سانتونورين

وزير دولة حالي للتخطيط

سكرتير قومي، عضو في المكتب التنفيذي

أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي الموحد وأمينه العام لمدة سنتين.

مرشح سابق لرئاسة الجمهورية، عام ١٩٦٩، حصل على ٣،٦٦ بالمئة من الاصوات.

من رواد نظرية الادارة الذاتية. يحمل من الشهادات عدداً ينوء به كأهل أكثر من مثقف، خريج المدرسة الوطنية للادارة. نجل أحد «اباء» القنبلة الذرية الفرنسية. فقد كان ابوه ايف روكار مدير مختبر الفيزياء في المدرسة الاعدادية العليا. لكنه لم يسر على خطى والده العلمية، بل اختار الآداب والسياسة التي قادته من معهد الدراسات السياسية الى المدرسة الوطنية للادارة، فتخرج منها مفتشاً مالياً. وانخرط في العمل السياسي فانضم الى رابطة الطلاب الاشتراكيين ثم أصبح أمينها العام، قبل أن يغادرها ويغادر الشعبة الفرنسية للأممية العمالية مع من غادرها، عندما عاد الجنرال ديغول الى الحكم عام ١٩٥٨، وصفق له غي موليه. وشـــارك في تـــأسيس الحزب الاشتراكـــي الموحـــد ثم الحزب

الاشتراكي المستقل الذي أصبح أمينه العام عام ١٩٦٧ . ترشح مرتين للنيابة دون أن ينجح. وكان من أنشط رجال اليسار، خلال أحداث مايو /أيار ١٩٦٨ . ترشح للرئاسة عام ١٩٦٩ ، وصارت له قاعدة شعبية في كل أنحاء فرنسا. نيابته الاولى انتزعها في العام ذاته على حساب كوف دي مورفيل، ثم خسر مقعده في انتخابات ١٩٧٣ ، ليعود فينتزعه في انتخابات ١٩٧٨ و ١٩٨١ .

يعرف فرنسوا ميتران منذ مدة طويلة، دون أن يكونا على اتفاق دائم. فقد حال دون تحقيق التقارب بين الحزب الاشتراكي الموحد واتحاد اليسار الديمقراطي والاشتراكي، وهو تقارب كان يسعى اليه ميتران. الا انه تعاون معه عندما اتفق اليسار على ترشيحه عام ١٩٧٤ ، وفي العام ذاته ترك روكار حزبه لينضم الى الحزب الاشتراكي مع جماعة من اصدقائه. وقد رحب به ميتران أحسن ترحيب، وفي العام التالي جعل منه اميناً قومياً. غير انه لم يلبث أن اختلف معه من جديد، فتحالف روكار مع بيار موروا ليشكلا تياراً جديداً يرى في تحليله ان فرنسوا ميتران يشكل عقبة دون فوز اليسار. وراح يعمل من أجل ان يختاره الحزب كمرشح مقبل لرئاسة الجمهورية بدلا من الامين الاول للحزب. وساعده في ذلك ان استطلاعات الرأي كانت تعطيه دائماً شعبية متقدمة على كل شخصيات اليسار. وعندما فتح الحزب باب الترشيح سارع روكار الى اعلان ترشيحه على أمل وضع فرنسوا ميتران أمام الامر الواقع. لكنه لم ينجح في مناورته.

وميشال روكار من المتعاطفين مع القضايا العربية دون أن يستعدي إسرائيل. وقد عبر عن تأييده للقضايا العربية في أكثر من مناسبة، وزار عدداً من العواصم العربية وقابل ياسر عرفات.

الخاتمة

دخلت يوماً على غسان كنفاني برفقة صحافية فرنسية جاءت الى لبنان وعبرت عن رغبتها بزيارة أحد المخيمات الفلسطينية. ولما كنت أعرف ان غسان لا يقرأ الصحف الفرنسية، رحت أحدثه عن المخلوقة وأفضالها. وفجأة قاطعني غسان بابتسامة ساخرة:

ـ ارجوك، لا تجعل منها بطلة قومية، انا أعرف انها لا تحبنا كثيراً، ولكن دعني أتظاهر بانها تؤيد قضيتنا، ومن مصلحتي أن أساعدها على زيارة المخيمات، لأنه لا يمكن أن تعود منها الا بنظرة ايجابية لقضيتنا. غداً تنتظركم سيارة أمام الفندق لتأخذكم الى عين الحلوة أو الى مخيم الباص أو مخيم البارد. وأضاف بالفرنسية وبالنبرة الرائعة الخاصة به **«كما تحب الرفيقة العزيزة»**.

لم نحاول أن نجعل من فرنسوا ميتران بطلا قومياً، ولا من الحزب الاشتراكي رافع لواء القضية الفلسطينية في فرنسا. فلا هذه هي الغاية المرجوة من الكتاب، ولا فائدة تجنى من هذه الاساليب. ولكن أردنا أن نساهم بازالة الفكرة السائدة لدى العرب، بان ميتران هو صديق اسرائيل وحسب، وبأن الحزب الاشتراكي هو اداة الدعاية الصهيونية في فرنسا.

مرة أخرى نقول أن فرنسوا ميتران ليس طرفاً في النزاع، والحزب الاشتراكي الفرنسي لم يجعل من القضية الاسرائيلية أو

العربية المبدأ الاول والاخير لنضاله. وبالتالي فانهما لا يستطيعان الا أن يكونا صديقين أو حليفين لهذا الفريق أو ذاك أو للاثنين معاً. ونحن نعلم ان ميتران والحزب الاشتراكي هما صديقان لاسرائيل. وانهما في الوقت نفسه قطعا أشواطاً بعيدة على درب مصادقة العرب. وقد رأينا أن هناك مصالح كبيرة جداً بين فرنسا والعرب، تفوق بكثير المصالح القائمة أو التي يمكن أن تقوم بين فرنسا واسرائيل.

وعلينا أن نعمل الباقي.

ونحن من الذين يؤمنون بأن لدينا من القوة ومن الارادة ومن الذكاء ما من شأنه أن يكلل المساعي بالنجاح. شرط أن نأخذ المبادرة. وسنفاجأ بالنتائج.

الفهرس

شعبان لارض واحدة. شعبان وقرون تشهد لكل منهما هل هو متطرف ذاك الذي يريد وطنا ؟

● .. من اجل احقاق العدل في لبنان ، هذا الوطن الممزق الذي تخلوا عنه للموت لانه ، لصغره ، لا يزعج سير الزمن المجرد من الاحساس .

سؤال : هل ترفض اعتبار القدس « عاصمة ابدية لاسرائيل ؟ »

فرنسوا ميتران : ان في تصرف الكنيست شيئا من الاستفزاز والاستفزاز غير مفيد . ولكن في تعلق اسرائيل بهذه المدينة ...